موسوعة أهل البيت عليهم السلام

سيرة الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام

جمع وإعداد

السيد علي عاشور

الجزء الثامن

دار نظير عبود

موسوعة

أهل البيت عليهم السلام

شماره ثبت:
تاريخ ثبت :

موسوعة

أهل البيت عليهم السلام

سيرة الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام

جمع وإعداد

السيد علي عاشور

الجزء الثامن

دار نظير عبود

شبكة كتب الشيعة
shiabooks.net
mktba.net رابط بديل

جميع حقوق الطبع محفوظة
للناشر

الطبعة الأولى

١٤٢٧ هـ ـ ٢٠٠٦ م

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو اختزال مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو، وبأي طريقة سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو بالتسجيل أو خلاف ذلك، إلا بموافقة الناشر على ذلك كتابة ومقدما.

هاتف: ٧٨٠٠٠٧/٠٣ ـ ٩٣٦٧٧٢/٠٩ ـ بيروت لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

هو الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصيّ، أبُو محمّد الهاشمي.

أمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ وأمها خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العُزّى بن قُصَي.

سبط رسول الله ﷺ وريحانته وأحد سيديّ شباب أهل الجنّة. ولد للنصف من شعبان سنة ثلاث من الهجرة.

روى عن النبي ﷺ أحاديث وعن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام.

روى عنه: ابنه الحسن بن الحسن، والمُسيَّب بن نَجَبَة، وسُويد بن غَفَلَة، والْعَلاء بن عبد الرحمن، والشعبي، وهُبيرة بن يَرْيَم، والأصبغ بن نباته، وجابر بن[1] خالد، وأبو الحوراء، وعيسى بن مأمُون بن زُرارة ويقال ابن المأموم، وأبُو يحيى عُمير بن سعيد النّخعي، وأبو مريم قيس الثقفي، وطحرب العجلي، وإسحاق بن يسار والد مُحمّد بن إسحاق، وعبد الرّحمن بن عوف، وسفيان بن الليل، وعمرو بن قيس الكوفيون.

❀ ❀ ❀

(١) كذا وفي ترجمته عن ابن عساكر تحقيق الشيخ المحمودي: «جابر أبو خالد».

مولد الحسن عليه السلام

في الكافي والتهذيب: ولد الحسن بن عليّ ﷺ في شهر رمضان في سنة بدر، سنة إثنين بعد الهجرة، وروي أنّه ولد في سنة ثلاث ومضى ﷺ في شهر صفر في آخره من سنة تسع وأربعين. ومضى وهو ابن سبع وأربعين سنة وأشهر. وأمّه فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

وروي أنّه ولد سنة ثلاث ومضى آخر صفر سنة تسع وأربعين وعمره سبع وأربعون سنة وأشهر.

وفي الدروس أنّه ولد منتصف شهر رمضان.

وعن مُحمّد بن عمر: وُلد الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ في النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة[١].

عن قتادة، قال: ولدت فاطمة الحسن بعد أُحد بسنتين، وكان بين وقعة أُحد وبين مقدم النبي ﷺ ستتان وستة أشهر ونصف، فولدته لأربع سنين وتسعة أشهر ونصف، من التاريخ.

وعقّ رسول الله ﷺ عنه يوم سابعه بكبش، وأمر أن يحلق رأسه وأن يتصدّق بزنته فضّة[٢].

وعن سودة بنت مسرح قالت: كنت فيمن حضر فاطمة بنت رسول الله ﷺ حين ضربها المخاض قلت: فأتانا رسول الله ﷺ فقال: «كيف هي؟ كيف هي ابنتي فديتها»؟

قالت: قلت: إنها لتجهد يا رسول الله.

قال: «فإذا وضعت، فلا تسبقيني به بشيء» قالت: فوضعته فسررته ولففته في خرقة صفراء، فجاء رسول الله ﷺ فقال: «ما فعلت ابنتي فديتها، وما حالها؟ وكيف هي»؟

فقلت: يارسول الله وضعته وسررته ولففته في خرقة صفراء فقال: «لقد عصيتني» قالت: قلت: أعُوذ بالله من معصية الله ومعصية رسول الله ﷺ سررته يارسول الله ولم أجد من ذلك بداً، قال: «ائتني به» قالت: فأتيته به فألقى عنه الخرقة الصفراء ولفّه في خرقة بيضاء، وتفل في فيه وألباهُ بريقه قالت: فجاء علي فقال رسول الله ﷺ: «ما سميته يا علي»، قال: سميته جعفراً يا رسول الله قال: «لا ولكنه حسن، بعده حُسَين، وأنت أبو الحسن والحسين»[٣].

مُحمّد بن علي ﷺ، عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه سمى ابنه الأكبر حمزة، وسمي حُسيناً

---

(١) تاريخ الطبري: ٢/ ٥٣٧، وتاريخ بغداد: ١/ ١٤٠، ومطالب السؤول: ٢/ ٥، والكامل في التاريخ: ٢/ ١٦٦.

(٢) ذخائر العقبى: ١١٨، نور الأبصار: ١١٩.

(٣) الإصابة: ٤/ ٣٣٠ رقم ٦٠٣ والمعجم الكبير: ٣/ ١٠ ومجمع الزوائد: ٩/ ١٧٤.

بعمه جعفر، قال: فدعا رسول الله ﷺ علياً فقال: «إني قد غيرّت اسم ابنيَّ هذين، قال: الله ورسُوله أعلم، فسمّى حسناً وحُسيناً»[١].

عن عبد الله بن مُحمّد بن عقيل أنّ علياً لما ولد ابنه الأكبر سمّاهُ بعمه حمزة ثم ولد ابنه الآخر فسمّاه بعمه جعفر، قال: فدعاني النبي ﷺ فقال: «إني قد أمرت أن أغير اسم ابني هذين»، قال: قلت: الله ورسُوله أعلم، قال: فسمَّاهما حسناً وحُسَيناً[٢].

وعن علي ﷺ قال: لما وُلد الحسن جاء رسول الله ﷺ فقال: «أروني ابني ما سميتموه»؟ قلت: سميته حرباً، قال: «بل هو حسن».

فلمّا ولد الحسين قال: «أرُوني ابني ما سمّيتموه»؟

قلت: سميته حرباً قال: «بلى هو حُسَين».

فلما وُلد[٣] الثالث جاء النبي ﷺ فقال: «أرُوني ابني ما سميتموه»؟ قلت: سميته حرباً قال: «هُو محسن»[٤].

ثم قال: «إنّي سميتهم بأسماء ولد هارون: شبَّر وشبير ومُشبِّر»، وفي حديث ابن الحصين وابن السبط: «فلما ولدت الثالث»[٥].

وقال الزُّبير: و روت زينب بنت أبي رافع، قالت: أتتْ فاطمة ﷺ بابنيها إلى رسول الله ﷺ في شَكْوِه[٦] الذي توفّيَ فيه، فقالت: يا رسولَ الله، هذان ابناك، فورِّثْهما شيئاً؛ فقال: أمّا الحسن فإنّ له هيبتي و سُؤدُدِي، و أما الحسين فإن له جُرأتي و جُودي.

وفي كتاب الأمالي وغيره عن عليّ بن الحسين ﷺ قال: لمّا ولد الحسن ﷺ قالت فاطمة لعليّ ﷺ: سمِّه، فقال: ما كنت لأسبق باسمه رسول الله، فجاء ﷺ فأُخرج إليه في خرقة صفراء فقال: ألم أنهكم أن تلفّوه في خرقة صفراء، فرمى بها ولفّه في خرقة بيضاء، فقال لعليّ: هل سمّيته؟

قال: ما كنت لأسبقك باسمه.

فقال: وما كنت لأسبق باسمه ربّي عزّ وجلّ، فأوحى تبارك وتعالى إلى جبرئيل ﷺ إنّه قد ولد لمحمّد ابن فاهبط فاقرئه السلام وهنّه وقل له: إنّ عليّاً منك بمنزلة هارون من موسى فسمّه باسم ابن هارون شبّر، قال: لساني عربيّ. قال: سمِّه الحسن.

(١) مسند أحمد: ١/١٥٩ ط. الميمنية. (٢) المسند: ١/١١٨.

(٣) في مسند أحمد: ولدت.

(٤) كذا في المصدر وسوف يأتي أن فاطمة عليها السلام أسقطته خلف الباب.

(٥) مسند الإمام أحمد ١ : ١١٨ وباختلاف في السند أخرجه في ١ : ٩٨.

(٦) الشكو: المرض.

فلمّا ولد الحسين عليه السلام أوحى الله تبارك وتعالى إلى جبرئيل عليه السلام انّه قد ولد لمحمّد ابن فاهبط إليه وهنّه وقل له: إنّ عليّاً منك بمنزلة هارون من موسى فسمه باسم ابن هارون شبير قال: لساني عربيّ، قال: سمه الحسين فسمّاه به.

قال السيد الجزائري في الرياض[1] في القاموس شبّر كبقم وشبير كقمير ومشبر كمحدث أبناء هارون عليه السلام، قيل وبأسمائهم سمّي النبيّ صلى الله عليه وآله الحسن والحسين والمحسن.

وعن عليّ بن الحسين عليه السلام إنّه صلى الله عليه وآله عقّ عن الحسن يوم سابعه بكبشين أملحين والملحة بياض يخالطه سواد، وأعطى القابلة فخذاً وديناراً وحلق رأسه وتصدّق بوزن الشعر ورقاً وطلى رأسه بالخلوق وهو طيب معروف مركّب يتّخذ من الزعفران وغيره تغلب عليه الحمرة أو الصفرة وقال: إنّ الدم فعل الجاهلية وكذلك فعل بالحسين عليه السلام.

وفي كتاب البشائر: كنية الحسن أبو محمّد ولد بالمدينة [ليلة] النصف من [شهر][2] رمضان سنة ثلاث من الهجرة والحسين عليه السلام ولد بالمدينة لخمس خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة.

وفي مسند أحمد وأبي يعلا قال: لمّا ولد الحسن سمّاه حمزة، فلمّا ولد الحسين سمّاه جعفراً قال عليّ: فدعاني رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: إنّي أمرت [أن] أغيّر اسم هذين فسمّاهما حسناً وحسيناً.

وفي كتاب المناقب قال: حكى أبو الحسين النسّابة: كان الله عزّ وجلّ حجب هذين الإسمين عن الخلق يعني حسناً وحسيناً حتّى تسمّى بهما ابنا فاطمة عليها السلام فإنّه لا يعرف أنّ أحداً من العرب تسمّى بهما في قديم الأيّام إلى عصرهما، وإنّما يعرف فيها «حسْن» بسكون السين، و«حسين» بوزن حبيب، فأمّا حسن بفتح الحاء والسّين ولا نعرفه إلّا اسم جبل معروف.

وفي الكتاب عن برة الخزاعي قال: لمّا حملت فاطمة بالحسن خرج النبيّ صلى الله عليه وآله في بعض وجوهه فقال لها: إنّك ستلدين غلاماً فلا ترضعيه حتّى أصير إليك، فلمّا وضعته بقي ثلاثة أيّام ما أرضعته فأدركتها رقّة الأمّهات فأرضعته.

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: أبى الله عزّ وجلّ إلّا ما أراد، فلمّا حملت بالحسين قال: إنّك ستلدين غلاماً قد هنّأني به جبرئيل فلا ترضعيه حتّى أجيء إليك ولو أقمت شهراً وخرج في بعض وجوهه فولدت الحسين عليه السلام، فمّا أرضعته حتّى جاء رسول الله صلى الله عليه وآله فأخذه فجعل يمصّ إبهامه وفيه غذاؤه، ويقال: بل كان يدخل لسانه في فيه فيزقّه كما يزقّ الطير فرخه وقال: إيهاً حسين إيهاً حسين أبى الله إلّا ما يريد بل هي فيك يعني الإمامة.

وفي عيون المعجزات للمرتضى: روي أنّ فاطمة ولدت الحسن والحسين من فخذها الأيسر.

---

(١) رياض الأبرار للسيد نعمت الله الجزائري مخطوط، قيد التحقيق.

(٢) زيادة من المصدر.

وروي أنّ مريم ولدت المسيح من فخذها الأيمن وحديث هذه الحكاية في كتاب الأنوار وفي كتب كثيرة.

وعن أمّ الفضل زوجة العبّاس إنّها قالت: يارسول الله صلّى الله عليك رأيت في المنام كأنّ عضواً من أعضائك في حجري فقال ﷺ: تلد فاطمة غلاماً إن شاء الله فتكفليه فوضعت فاطمة الحسن عليه السلام فدفعه إليها النبيّ ﷺ فأرضعته بلبن قثم بن العبّاس.

وفي كتاب الأمالي مسنداً إلى الصادق عليه السلام قال: أقبل جيران أمّ أيمن إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إنّ أمّ أيمن لم تنم البارحة من البكاء فطلبها وقال لها: يا أمّ أيمن لا أبكى الله عينك إنّ جيرانك أخبروني إنّك لم تزلي الليل تبكين .

قالت: يارسول الله رأيت رؤيا عظيمة فبكيت رأيت كأنّ بعض أعضائك ملقى في بيتي فقال: يا أمّ أيمن تلد فاطمة الحسين فتربيّنه وتلينه فتكون بعض أعضائي في بيتك، فلمّا ولد الحسين وكان يوم السابع أقبلت به أمّ أيمن إلى رسول الله فقال: مرحباً بالحامل والمحمول،يا أمّ أيمن هذا تأويل رؤياك.

وروي أنّ فاطمة عليها السلام كانت ترقّص ابنها حسناً وتقول شعر:

أشبه أباك يا حسن واخلع عن الحقّ الرّسن
وأعبد إلهاً ذا منن ولا توال ذا الإحن

❋ ❋ ❋

أولاد الحسن عليه السلام

قال ابن عساكر في ترجمة الإمام الحسن عليه السلام: ولد الحسن محمّد الأكبر وبه كان يكنّى.

[وولد الحسن بن علي عليه السلام مُحمّداً الأصغر وجعفراً وحمزة، وفاطمة درجوا. وأمهم أم كلثوم بنت الفضل بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم.

و[أيضاً ولد الحسن] مُحمّداً الأكبر ـ وبه يكنى ـ والحسن وامرأتين هلكتا ولم تبرزا.

وأمهم خولة بنت منظور بن زيان بن سيار بن عمرو بن . . . عقيل بن هلال بن سمي بن مازن بن فزارة بن ذبيان بن يغيض [بن] مرة بن غطفان][1].

وفي كتاب البشائر: أولاد الحسن بن علي خمسة عشر ذكر وأنثى، زيد بن الحسن وأختاه أمّ الحسن وأمّ الحسين وأمّهم بنت أبي مسعود الخزرجية، والحسن بن الحسن أمّه خولة الفزارية،

(١) مستدرك من أول ترجمة الإمام الحسن عليه السلام من الطبقات الكبرى.

وعمرو بن الحسن وأخواه القاسم وعبد الرحمن أمّه أمّ ولد، والحسين بن الحسن الملقّب بالأثرم وأخوه طلحة وأخته فاطمة أمّهم أمّ إسحاق التيمية، وأمّ عبد الله وفاطمة وأمّ سلمة ورقية لأمّهات شتّى.

فأمّا زيد بن الحسن فكان يلي صدقات رسول الله ﷺ وكان جليل القدر كثير البرّ ومدحه الشعراء وقصده الناس من الآفاق لطلب فضله، ولمّا تولّى الخلافة سليمان بن عبد الملك عزله عن الصدقات ثمّ ردّها عليه ابن عبد العزيز وخرج زيد من الدُّنيا وله تسعون سنة ولم يدع الإمامة ولا ادّعاها له أحد، لأنّه كان مسالماً لبني أميّة.

وأمّا الحسن بن الحسن فكان جليلاً فاضلاً وربما كان يلي صدقات أمير المؤمنين ﷺ وسار يوماً الحجّاج وهو أمير المدينة، فقال للحسن: أدخل عمر بن علي عمّك معك في الصدقات، فقال الحسن: لا أغيّر شرط علي ولا أدخل فيه من لم يدخله.

فقال الحجّاج: أنا أدخله معك فسار الحسن إلى باب عبد الملك فمرّ به يحيى بن أمّ الحكم وسأله عمّا جاء به ثمّ قال له سأنفعك عند عبد الملك، فلمّا دخل الحسن على عبد الملك رحّب به وكان الحسن قد أسرع إليه الشيب.

فقال له عبد الملك: لقد أسرع إليك الشيب.

فقال يحيى: وما يمنعه شيبه ويأتيه الركب من أهل العراق يمنّونه الخلافة فقال له الحسن: بئس الرفد رفدت ليس كما قلت.

فقال له عبد الملك: هلمّ ما وفدت له فأخبره بقول الحجّاج فقال: ليس ذلك له وكتب له كتاباً ووصله، فلمّا خرج من عنده لقيه يحيى فعاتبه الحسن على سوء محضره.

فقال له يحيى: إيهاً عنك فوالله لا يزال يهابك ولولا هيبتك ما قضى لك حاجة وما ألوتك رفداً.

وكان الحسن حضر مع عمّه الطف، فلمّا قتل الحسين ﷺ وأسر الباقون جاءه أبو حسّان خاله فانتزعه من بين الأسارى.

وروي أنّه خطب إلى عمّه الحسين ﷺ إحدى ابنتيه فقال له: اختر يا بنيّ أيّهما أحبُّ إليك، فلم يتكلّم حياءً فقال له الحسين ﷺ: اخترت لك ابنتي فاطمة فهي أكثرهما شبهاً بفاطمة أمّي، وقبض الحسن بن الحسن وله خمس وثلاثون سنة، ولمّا مات ضربت زوجته فاطمة على قبره فسطاطاً وكانت تقوم الليل وتصوم النهار وكانت تشبّه بالحور العين لجمالها، فلمّا كان رأس السنة أمرت ليلاً برفع الفسطاط فسمعت صوتاً يقول: هل وجدوا ما فقدوا، فأجابت بل يئسوا فانقلبوا، ولم يدع الإمامة ولا ادّعاها له أحد.

وأمّا عمر والقاسم وعبد الله، فإنّهم قتلوا بين يدي عمّهم الحسين عليه السلام، وعبد الرحمن بن الحسن خرج مع عمّه الحسين عليه السلام إلى الحجّ فتوفّي بالأبواء وهو محرم.

وروي أنّه خطب الحسن بن علي عليه السلام إلى عبد الرحمن بن الحارث ابنته فأطرق ثمّ قال: والله ما على وجه الأرض أعزّ عليّ منك، ولكن تعلم أنّ ابنتي بضعة منّي وأنت مطلاق فأخاف أن تطلّقها فيتغيّر قلبي عليك فإن شرطت أن لا تطلّقها زوجتك فقال عليه السلام: ما أراد عبد الرحمن إلّا أن يجعل ابنته طوقاً في عنقي.

وروي أنّ يزيد لعنه الله رأى امرأة عبد الله بن عامر فهام بها وشكى ذلك إلى أبيه، فلمّا حضر عبد الله عند معاوية قال: لقد عقدت لك على ولاية البصرة ولولا أنّ لك زوجة لزوّجتك رملة فمضى عبد الله وطلّق زوجته طمعاً في رملة، فأرسل معاوية أبا هريرة يخطبها ليزيد وبذل لها ما أرادت من الصّداق فاطّلع عليه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر فاختارت الحسن فتزوّجها[1].

أزواجه

وذكر ابن سعد في طبقاته ضمن ترجمة الإمام الحسن عليه السلام: أنّ له من النساء ستّاً، وأربعاً من أمهات الأولاد.

وذكر المدائني أنّ أزواجه عشر.

النص على الإمام الحسن عليه السلام

وذلك من طرق:

* **الطريق الأول**: أنه كان أفضل أهل زمانه وأعلمهم وأشجعهم وأورعهم[2].

قال توفيق أبو علم: كان الحسن أعبد وأزهد وأفضل أهل زمانه[3].

ومما يدل على فضلهما (الحسن والحسين) الى من سواهم قضية المباهلة ولو وجد رسول الله صلى الله عليه وآله أفضل منهما ومن أبويهما لباهل بهم.

قال تعالى: ﴿فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ٣/ ١٩٩، والبحار: ٤٤/ ١٧٢.

(٢) سوف يأتي أن أهل البيت أفضل أهل الأرض مع أدلته، وراجع الفصول المهمة: ١٤٧ ـ ١٤٨ و١٦٤ ط. دار الأضواء، والمحاسن والمساوىء للبيهقي: ٥٥ محاسن الحسن والحسين.

(٣) أهل البيت: ٢٦٨ الإمام الحسن.

فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾[(١)].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦١، ونزولها فيهم من المتواترات:

مصادر المباهلة

السنن الكبرى: ٧/ ٦٣، وإمتاع الأسماع: ١/ ٥٠٢، والشفاء: ٢/ ٤٨، والجواهر: ١٩٥ ـ ٢٨٨ الباب الأول والسادس عن الكاظم وسعد، وفرائد السمطين: ٢/ ٢٠٥ باب ٤٠ ح٤٨٤ عن ابن عباس وسعد وابن جريح، وشرح الأخبار: ١/ ١٧١ باب ٢٢ عن سعد، ورشفة الصادي: ٢٥ ـ ٢٧ الباب الأول، وفضائل الصحابة: ٢/ ٧٧٦ ح١٣٧٤ عن الحسن، والمصنف لابن أبي شيبة: ٦/ ٣٨١ ح٣٢١٧٥ عن الشعبي كتاب الفضائل فضائل الحسن والحسين، وفرائد سمطين: ٢/ ٢٣ عن جابر باب ٤ و٢٠٥ باب ٤٠ ح٤٨٤ عن ابن عباس وسعد وابن جريح، ومشكاة المصابيح: ٣/ ١٧٣١ ح٦١٢٦، وفضائل علي ومصابيح السنة: ٤/ ١٨٢ ح٤٧٩٥ سعد، ولوامع أنوار الكوكب الدري: ٢/ ٧٤، وكتاب معرفة علوم الحديث: ٥٠ نوع ١٧ وقال إنه متواتر فيهم.

صحيح مسلم: ١٥/ ١٧ كتاب الفضائل ح ٦١٧٠، وينابيع المودة: ١/ ٨ ـ ٥٢ ـ ٢٩٩ ط. استانبول ١٣٠١ هـ و٨ ـ ٥٧ ـ ٣٥٩ ط. النجف ـ المقدمة وباب ٧ ـ ٥٩، وكفاية الطالب: ١٤١، وأسباب النزول للواحدي: ٦٧، وأسد الغابة: ٤/ ٢٦، والمسند: ١/ ١٨٥ ط.م و٣٠٢ ط. ب، والدر المنثور: ٢/ ٣٨ ـ ٣٩ من طرق، والفصول المهمة: ٢٤ ـ ١٢٠ ـ ٢٢٧ عن جابر وعلي بن عيسى والشعبي وابن عباس والبراء وسعد والكاظم، ومقتل الحسين: ١/ ٢ المقدمة عن سعد، وترجمة الحسين: ٢٩ ـ ٣٠، وذخائر العقبى: ٢٥ عن أبي سعيد، ونور الأبصار: ١٦٤ ط. الهند و٣٠١ ـ ٢٢٣ ط. قم الباب الثاني ـ الفصل ١٠ ذكر مناقب الكاظم، إرشاد القلوب: ٢/ ٢٦٢ عن أبي ذر، تاريخ السيوطي: ١٦٩ الاحاديث الواردة في فضله عن مسلم عن سعد. المسند: ١/ ١٨٥ ط.م و١/ ٣٠٢ ط.ب ح ١٦١١ عن سعد.

وكفاية الطالب: ٥٤ ـ ٨٥ ـ ١٤٢ عن سعد الباب الأول والعاشر والثاني والثلاثون، والصواعق: ١٢١ و١٤٥ ط. مصر وط. بيروت ١٨٧ ـ ٢٢٤ ـ ٢٣٨ باب ٩ فصل ٢ وباب ١١ الفصل ١ عن سعد.

والكامل في التاريخ: ١/ ٦٤٦ ذكر وفد نجران، وأسد الغابة: ٤/ ٢٦ ترجمة علي ـ فضائله عن سعد، وجلاء الأفهام: ١٥٢ المسألة الثانية معنى الذرية، والاختصاص: ١٤٤، وحقائق التاويل: ٢٢٩، والطرائف: ١/ ٤٢، ودلائل النبوة: ٢٩٧ ـ ٢٩٨ ـ ٢٩٩ قصة السيد والعاقب، أخبار الدول: ١٠٢ باب ٢ فصل ٤، وترجمة الحسين من تاريخ دمشق: ١٧٧ ح ١٦١ عن علي، ترجمة علي من تاريخ دمشق: ١/ ٢٩ ح ٢٨ و٢٢٧ ح ٢٧١ عن سعد، وشواهد التنزيل: ١/ ١٥٥ إلى ١٦٦ و١٨٢ ح ١٦٨ إلى ح ١٧٦ ـ ١٩٤ عن سعد بن معاذ وابن عباس وجابر الأنصاري وسعد بن أبي وقاص وحذيفة بن اليمان وعطاء بن السائب عن أبي البختري.

ترجمة علي من تاريخ دمشق: ٣/ ١١٦ ح ١١٤٠ عن عمرو بن واثلة مناشدته يوم الشورى لهم.

ومناقب ابن المغازلي: ١٩٦ و١٧١ ط. بيروت وط. طهران ٣١٨ ح ٣٦٢ عن ابن عباس و٢٦٣ ح ٣١٠ عن جابر، والمستدرك: ٣/ ١٥٠ عن سعد وصححه مناقب الال، وروضة الواعظين: ١٦٤، وكنز الفوائد: ١٦ رسالة في وجوب الإمامة، وتذكرة الخواص: ٢٣ ـ ٢٧ الباب الثاني عن جابر وسعد، وتفسير الطبري: ٣/ ٢١١ ـ ٢١٣ عن عامر الشعبي وزيد بن علي والسدي وقتادة وابن زيد وعلباء بن أحمر البشكري.

وتفسير الكشاف: ١/ ٤٣٤ مورد الآية، والدر المنثور: ٢/ ٣٨ ـ ٣٩ عن سلمة بن عبد يشوع عن أبيه عن جده وجابر وابن عباس والشعبي وسعد بن أبي وقاص وعلباء بن أحمر.

قال الحاكم في المعرفة: قد تواترت الأخبار في التفاسير أنّ رسول الله ﷺ أخذ يوم المباهلة بيد علي وحسن وحسين وجعلوا فاطمة وراءهم ثم قال: «هؤلاء أبناؤنا وأنفسنا ونساؤنا فهلّموا أنفسكم وأبناءكم ونساءكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين»[١].

وفي الآية قال الزمخشري: وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء[٢].

ومناظراته العلمية مع العلماء والخلفاء خير مدلل على علو فضله على من عاصره[٣].

وقال أبو صالح عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿وقل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى﴾.

قال: هم أهل بيت رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين وأولادهم الى يوم القيامة، هم صفوته وخيرته من خلقه[٤].

وقال رسول الله في حقّه: «أمّا الحسن فإنّ له هيبتي وسؤددي وأمّا الحسين فانّ له جودي [جرأتي] وشجاعتي»[٥].

وقال ﷺ: «الحسن والحسين خير أهل الأرض بعدي وبعد أبيهما»[٦].

وقال ﷺ: «الحسن والحسين سبطان من الأسباط»[٧].

وورد: «أنّ الحسن بن علي أعطي من الفضائل مالم يعط احد من ولد آدم»[٨].

وأخرجه الديلمي عن حذيفة بلفظ: «الحسين بن علي أعطي من الفضل ما لم يعط أحد من ولد آدم خلا يوسف»[٩].

---

(١) معرفة علوم الحديث: ٥٠ ذكر النوع السابع عشر.

(٢) تفسير الزمخشري: ١/ ٤٣٤ مورد الآية.

(٣) الاحتجاج: ٢/ ٢٨٥ ـ ٢٨٨ ـ ٢٩٢ ـ ٢٩٨، والمحاسن والمساوىء: ٥٥ محاسن الحسنين.

(٤) البحار: ٤٣/ ٢٧٩. والاية من آل عمران: ٦١.

(٥) تهذيب تاريخ ابن عساكر: ٤/ ٢١٤، وذخائر العقبي: ١٢٩ ذكر أنهما سيدا شباب أهل الجنة، وشرح النهج: ١٦/ ١٠ الكتاب ٢٩ ـ ترجمة الحسن ـ، وكفاية الطالب: ٤٢٤ باب أولاد علي، والصواعق المحرقة: ١٩١ ط. مصر وط. بيروت ٢٩٠، ومقتل الحسين: ١/ ١٠٥ الفصل السادس فضائل الحسنين، وكنز العمال: ١٢/ ١١٧ ح ٣٤٢٧٢ فضائل الحسن والحسين ١٣/ ٦٧٠ ح ٣٧٧٠٩ من الإكمال كتاب الفضائل، وربيع الأبرار: ٣/ ٥٨٣ باب القرابات والأنساب، وأعلام الورى: ٢١٠، والبحار: ٤٣/ ٢٦٣.

(٦) عيون أخبار الرضا: ٢/ ٦٢ باب ٣١ ح٢٥٢.

(٧) الصواعق المحرقة: ١٩١ ط. مصر وط. بيروت ٢٩١، وأسد الغابة: ٢/ ١٩، ومقتل الحسين: ١/ ١٣٠، وكفاية الأثر: ٦٣ ـ ٧٦ ـ ٨٠ ـ ١١٧.

(٨) كنز العمال: ١٢/ ١٢٤ ح ٣٤٣٠٦ فضائل الحسن من الإكمال.

(٩) الفردوس بمأثور الخطاب: ٢/ ١٥٩ ح ٢٨٠٦ ط. دار الكتب العلمية و٢٥٨ ح ٢٦٢٩ ط. دار الكتاب العربي.

وقال المدائني وابن قدامة: وكان سيداً سخياً حليماً خطيباً [كان من أجود الناس كفاً وأسخاهم نفساً وأحسنهم كلاماً وأكثرهم صواباً][١].

وقال ابن عمر: ألا أخبركم بأحب أهل الأرض الى أهل السماء؟

قالوا: بلى.

قال: هو هذا الماشي ما كلّمني كلمة منذ ليالي صفّين ولئن يرضى عني أحب إلي من أن يكون لي حمر النعم[٢].

وتواتر عنه ﷺ كونهما: «سيدا شباب أهل الجنة»[٣].

---

(١) التبيين في أنساب القرشيين: ١٠٤ الحسن بن علي.

(٢) أسد الغابة: ٣/ ٢٣٤ والحديث طويل.

(٣) مصادر حديث: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة».

تهذيب الكمال: ٦/ ٢٢٩ ترجمة الحسن، والمعجم الأوسط: ٣/ ١٠٤ ح٢٢١١ عن أبي سعيد، ومجمع الزوائد: ٩/ ١٨٤ وبغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٩/ ٢٩٢ إلى ٢٩٤ و٣٢٤، وفضائل صحابة: ٢/ ٧٧٩ ح١٣٨٤ صحيح و٧٨٨ ح١٤٠٦ صحيح عن أبي سعيد، والفردوس: ٤/ ٣٤٣ ح٦٩٩٣، والفردوس: ٤/ ١٣٤ ط. كتب و٥/ ٧٦ ح٧٢٢٧ ط كتاب عن أنس، و٢/ ١٥٨ ح٢٨٠١ ط. كتاب، و٢٥٦ ح٢٦٢٤ ط كتاب عن أبي سعيد، والمصنف لابن أبي شيبة: ٦/ ٣٨١ ح٣٢١٦٧ وما بعده، وعن أبي سعيد وحذيفة وعلي باب الفضائل فضائل الحسن والحسين، ومصابيح السنّة: ٤/ ١٩٣ ح٤٨٢٧ أبو سعيد كتاب المناقب مناقب آل بيت النبي، وترتيب صحيح ابن حبان: ٩/ ٥٥ ح٦٩٢٠ و٦٩٢١، والمقاصد الحسنة: ٢٠٠ ح٤٠٧ وبين طرقه.

وفي التيسير عن السيوطي أنه متواتر عن نظم المتناثر من الحديث المتواتر: ٢٠٨ ح ٢٣٥ وقال: أورده في الأزهار من طريق ستة عشر نفساً، والأزهار المتناثرة ٧٧ ح ١٠٥، وإتحاف ذوي الفضائل: ١٦٩ ح ٢١٩.

وكنز العمال: ٥/ ٧٢٥ ح ١٤٢٤٣ خلافة عثمان و١٢/ ٩٦ ـ ١١٩ ـ ١١٥ ـ ١١٢ ـ ١٢٠ ح ٣٤٢٤٦ ـ ٣٤٢٥٩ ـ ٣٤٢٨٢ ـ ٣٤٢٨٥ ـ ٣٤١٥٨ عن الحويرث والبراء وعمر والخدري وجابر وأبي امامة وابن عباس وابن عمر وابن مسعود و١١/ ٧٥٦ ح ٣٣٦٨٢ عن عائشة و٥٧٣ ح ٣٢٧١٣ و١٣/ ٦٤٠ ـ ٦٦٥ ـ ٦٦١ ـ ٦٧٥ ح ٣٧٦١٧ عن حذيفة وح٣٧٦٨٢ عن علي وح٣٧٦٩٣ ـ ٣٧٧٢٧ عن أنس وجهم.

الفتوح لابن أعثم: ٢/ ١٨٢ كتاب عبيد الله ليزيد عن أبي بريدة الاسلمي، والعقد الفريد: ٤/ ٢٥١ ـ ٢٩٢ عن أبي هريرة كتاب الخلافة خلافة أبي بكر ـ وفاته وخلافة علي، وترجمة علي من تاريخ دمشق: ٣/ ١١٧ ـ ١١٩ ح ١١٤٠ عن واثلة محتجاً، و١/ ٢٦٠ ح ٣٠٣ عن علي الهلالي، والكامل في التاريخ: ٢/ ٥٦٢ عن الحسين حوادث سنة ٦١، وترجمة الحسين من تاريخ دمشق: ٦٢ ـ ٦٤ ح ٦٢ ابن يثيع عن علي والحارث و٦٦ إلى ٨٦ عن ابن عباس وعمر بن الخطاب وابن عمر وابن مسعود ومالك بن الحويرث.

وخصائص النسائي: ١١٨ ـ ١١٩ ـ ١٢٤ ح ١٢٦ ـ ١٢٧ ـ ١٣٧ ـ ١٣٨ ـ ١٣٩ عن أبي سعيد وأبي هريرة، وصفة الصفوة: ٢/ ٣٢١، وترجمة الحسين من تاريخ دمشق: ٧٣ عن حذيفة بن اليمان وأبي سعيد وجابر وانس، والمعجم الكبير: ٣/ ٣٥ إلى ٤٠ و٥٨ ح ٢٥٩٨ وما بعده ترجمة الحسن ـ بقية أخباره ـ عن عمر والحارث وابن يحيى عن علي وأبي هريرة وحذيفة وأبي سعيد وجابر وابن قرة واسامة بن زيد الهلالي =

وجاء في وصف الحسن بن علي عليه السلام الدال على كونه أفضل أهل زمانه:

= و١٩/٢٩٢ ترجمة مالك بن الحويرث الليثي، وصحيح الترمذي: ٦٥٦/٥ ـ ٦٦١ ط. دار الحديث، وكنوز الحقائق: ٤٠٠ ـ ٤٣٥، وسنن ابن ماجه: ٤٤ من المقدمة باب فضائل اصحاب الرسول، ومناقب الأمير للكوفي: ٢/ ٢٢٣ ـ ٢٣٨ ـ ٥١٣ ـ ٥٩٥ ـ ٢٥٧ ـ ٢٥٠ ـ ٢٤٥ ح ٦٨٧ عن أبي سعيد وح ١٠١٤ عن علي بن الحسين عن جده وح ١١٠٠ عن سليمان الأعمش وح ٧١٦ عن الحويرث، وكفاية الطالب: ٣٤١ ـ ٣٤٢ باب ٩٧ عن ابن عمر وعلي وعمر وحذيفة وجابر وأبي هريرة وأبي سعيد وأسامة بن زيد وابن قرة باب الثامن بعد المائة عن حذيفة وابن عمر.

ونور الأبصار: ١٢٦ ط. الهند و٢٣١ ط. قم باب ٢ ذكر مناقبهما من طرق، وتاريخ الخلفاء للسيوطي: ١٨٩ فضل الحسن عن أبي سعيد، ومناقب الخوارزمي: ١٠٦ ـ ٢٩٠ ـ ٢٩٤ ـ ١٩٩ فصل ٩ ـ ١٦ ـ ١٩ ح١١١ ـ ٢٤٠ ـ ٢٧٩ ـ ٢٨٣ عن بريدة وعمار وسليمان الأعمش والرضا، والفصول المهمة: ١٣٨ ـ ١٦٣ عن حذيفة وابن عمر، والصواعق: ١٩١ ط. مصر وط. بيروت ٢٨٤ ـ ٢٩٠ الفصل الثاني والثالث من الخاتمة عن حذيفة وعمر وأبي سعيد وعلي وجابر وأبي هريرة وأسامة والبراء وابن مسعود.

ومقتل الحسين للخوارزمي: ١/ ٦٥ ـ ٨١ ـ ٩٢ ـ ١٣٠ ـ ١٣٩ ـ ١٤٠ و٢٥٣ الفصل ٥ ـ ٦ ـ ـ ١١ عن الرضا وحذيفة وأبي بكر وأبي هريرة وابن الحنفية والحسين.

وشرح العقائد النسفية: ١٠٤، وترجمة الحسين من الطبقات الكبرى: ٢٨ ح ٢١١ عن أبي سعيد، والجامع الصغير: ١/ ٢٥٤، وأسد الغابة: ٢/ ٩ ـ ١٨ ترجمة الحسن والحسين، وإرشاد القلوب: ٢/ ٤٣١ ـ ٤١٩ عن سلمان الفارسي وسلمان الأعمش.

وكمال الدين: ١/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨ ـ ٢٦٠ ـ ٢٦٣ باب ٢٤ النص على القائم عن جابر والرضا وسلمان.

والبحار: ٣٦/ ٢٢٨ ـ ٢٥٤ ـ ٢٦٣ ـ ٢٧٢ ـ ٢٨٩ ـ ٣١٩، ومائة منقبة: ٤٤ منقبة ٢ عن ابن عباس عن علي، والطرائف: ١/ ٢٠١، وكشف اليقين: ٣٢٥، ونهج الحق: ٥١٣ ـ ٣٩٢ ـ ٢٥٥، وغيبة النعماني: ٣٩ عن الحسين بن الحسن البصري يرفعه باب ٤، وكفاية الأثر: ٣٨ ـ ١٠ ـ ١٠٢ ـ ١٢٤ ـ ٢٢٢ ـ ١٤٤ عن ابن عباس وأبي ذر وزيد وعمار وعلي، وعيون أخبار الرضا: ٢/ ٢٦ ٣٢ باب ٣١ ح ١٢٨ و٥٦ عن الرضا و١٢٠ باب ٣٥ ح١ عن الرضا.

وكشف الغمة: ٢/ ٧٨ ـ ١٤٧ ـ ١٥٢ و١٥٩ ـ ١٧٧ ـ ٢٢٢ ـ ٢٢٥ ـ و٣/ ٢٥٨.

ينابيع المودة ١/ ١٥٣ ـ ١٦٤ إلى ١٦٨ ـ ٢١٤ ـ ٢٢٢ ـ ٢٢٧ ط. استانبول ١٣٠١ هـ و١٨٠ ـ ١٩٣ ـ ١٩٤ ـ ١٩٦ ٢٥٢ ـ ٢٦٢ ـ ٢٦٩ ط. النجف باب ٥٤ عن أبي سعيد وحذيفة والحويرث وابن عمر و٢٦١ ـ ٣٠٩ ـ ٣١٠ ط. استانبول ١٣٠١ هـ و٣١١ ـ ٣٧١ ـ ٣٧٣ ط. النجف باب ٥٨ ـ ٥٩ عن معاذ وحذيفة وعمر وعلي وجابر وأبي هريرة وأسامة والبراء وابن مسعود، والمسند: ٣/ ٣٦٩ ـ ٤٧٣ ـ ٤٦٩ ـ ٥٠٢ ط.ب عن أبي سعيد ح ١٠٦١٦ ـ ١١٢٢٤ ـ ١١٣٦٨ و٦/ ٥٤٢ ط.ب عن حذيفة و٣/ ٣ ـ ٦٢ ـ ٦٤ ـ ٨٢ ط. م و٥/ ٣٩١ ـ ٢٩٢ ـ ٦٢ ـ ٨٢ ـ ٦٤ ط.م، وذخائر العقبة: ١٢٩ ـ ١٣٦ عن عمر وابن عمر وأبي بكر وأبي سعيد وحذيفة والهلالي.

والصواعق: ١٣٧ ط. مصر وط. بيروت ٢١١ عن أبي سعيد الفصل الثاني من الباب العاشر، وشرح النهج: ١٦/ ١٤ كتاب ٣١ عن أبي هريرة، وكمال الدين ٢/ ٦٦٩ عن الاصبغ بن نباته عن علي باب ٥٨ ح١٤.

والرواة هم: أبو سعيد وحذيفة بن اليمان ـ مالك بن الحويرث ـ وابن عمر ـ عمر بن الخطاب ـ علي وجابر ـ أبو هريرة ـ قرة ابن اياس ـ أسامة ـ البراء ـ ابن قرة ـ والحارث والهلالي وأنس وابن عباس والحسين بن علي وأبو امامة وجهم وأبو بريدة الأسلمي ـ واثلة وعلي بن الحسين وسليمان الأعمش وعمار وعلي بن =

(علم منثور ودر منثور من مزرع الزهراء، في أهل العباء والكسا، معدن السخاء، شجرة الصفاء، اشبه الخلق بالمصطفى، قبلة العارفين وعلم المتهدين، وثاني الخمسة الميامين، الذي افتخر بهم الروح الامين وباهَلَ بهم الله المباهلين، ومنبع الحكمة اجلّ الخلائق في زمانه وافضلهم واعلاهم حسباً ونسباً وعلماً..)(١).

وصلى عليه ابن عربي بقوله: (على سر الأسرار ومشرق الأنوار الظاهر بالبرهان والباطن بالقدرة والشأن، فاتحة مصحف الوجود، بسملة كتاب الموجود، حقيقة نقطة البائية، المتحقق بالمراتب الانسانية، حيدر إمام الأبداع، الكرار في معارك الاختراع، النير الجلي والنجم الثاقب إمام الأئمة الحسن بن علي بن أبي طالب)(٢).

* **الطريق الثاني:** انه صلوات الله عليه دعا الناس الى بيعته والقول بإمامته لعدم خلو الأرض من الحجة، وهو محق في ذلك للقطع بعدالته وعصمته بآية التطهير وحديث الثقلين.

* **الطريق الثالث:** النص عليه من رسول الله ﷺ:

جاء في خطبة الغدير بعد تنصيب عليّ إماماً: «إنهما لسيدا شباب أهل الجنة وانهما لإمامان بعد أبيهما علي»(٣).

واشتهر عنه ﷺ: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»(٤).

وفي لفظ: «بأبي أنتما من امامين صالحين اختاركما الله مني ومن أبيكما وأمكما واختار من صلبك يا حسين تسعة أئمة»(٥).

وعن علي بن موسى الرضا عن آبائه: قال رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين إماما أمتي بعد أبيهما وسيدا شباب أهل الجنة»(٦).

ومنها قوله ﷺ في حقهما: «... وأما الحسن فانه ابني وولدي وبضعة مني وقرة عيني وضياء

= موسى الرضا وأبو بكر وابن الحنفية ـ أبو ذر وزيد بن أرقم وسلمان الفارسي ـ ومالك بن الحويرث ـ وابن مسعود.

(١) مناقب آل أبي طالب: ٤/ ٤.
(٢) وسيلة الخادم والمخدوم: ٢٩٣.
(٣) روضة الواعظين: ٩٨ مجلس في ذكر الإمامة.
(٤) أهل البيت لتوفيق أبو علم: ١٩٥ ذكر أولاده ـ وصرح بأنه متواتر، والطرائف: ١/ ١٩٦، ومناقب آل أبي طالب: ٣/ ٣٦٨، والإرشاد: ٢/ ٣٠، وأعلام الورى: ٢٠٨، وكفاية الأثر: ٣٨ ـ ١١٧، وكشف الغمة: ٢/ ١٥٩، والعوالم: ١٥/ ١٧٤، روضة الواعظين: ١٥٦ مجلس في ذكر إمامتهما، والبحار: (٦)/ ٣٢٥ ـ ٢٨٩ ـ ٣١٩.
(٥) أعلام الورى: ٣٨٢.
(٦) كمال الدين: ١/ ٢٦٠ ح ٦ من الباب ٢٤.

قلبي وثمرة فؤادي وهو سيد شباب أهل الجنة وحجة الله على الأمة، أمره أمري وقوله قولي من تبعه فإنه مني ومن عصاه فليس مني.

وأما الحسين فإنه مني وهو ابني وولدي وخير الخلق بعد أخيه وهو إمام المسلمين ومولى المؤمنين وخليفة رب العالمين وغياث المستغيثين وكهف المستجيرين.

وحجة الله على خلقه أجمعين وهو سيد شباب أهل الجنة وباب نجاة الأمة أمره امري وطاعته طاعتي من تبعه فانه مني ومن عصاه فليس مني..»[١].

وقال ﷺ: «والذي بعثني بالحق نبياً ان الحسين بن علي في السماء اكبر منه في الأرض وإنه مكتوب على يمين عرش الله: مصباح هاد وسفينة نجاة وامام غير وهن وعز وفخر وعلم وذخر»[٢].

وروي عن أبي سعيد عقيصا عن الحسن قوله: «ألا تعلمون أني إمامكم ومفترض الطاعة عليكم واحد سيدي شباب أهل الجنة بنص رسول الله ﷺ عليّ؟»

قالوا: بلى[٣].

* **الطريق الرابع**: النص عليه من أبيه أمير المؤمنين عليه السلام:

والنص من الإمام السابق مما أجمع عليه الفريقان انه يثبت الإمامة[٤].

منها ما في كتاب الإمام الحسن الى معاوية: قال عليه السلام: «وبعد... فإن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لما نزل به الموت ولاني هذا الأمر بعده»[٥].

وفي لفظ آخر: «ان علياً لما مضى لسبيله ولّاني المسلمون الأمر بعده»[٦].

وقال في إثبات الوصية: إن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «إني أوصي إلى الحسن والحسين فاسمعوا لهما وأطيعوا أمرهما»[٧].

ونص المدائني على ذلك في حديث ابن عباس: «إن أمير المؤمنين عليه السلام توفّي وقد ترك خلفاً فإن أحببتم خرج إليكم»[٨].

---

(١) أمالي الصدوق: ١٠٠، وإرشاد القلوب: ٢/ ٢٩٦، وفرائد السمطين: ٢/ ٣٥.

(٢) أعلام الورى: ٣٧٨. (٣) كفاية الأثر: ٢٢٥.

(٤) كما صرح بذلك القاضي اللايجي في مواقفه المقصد الثالث عنه الغدير: ٧/ ١٤١ وكذلك الروزبهان كما في إحقاق الحق: ٢/ ٣٣٦.

(٥) مناقب آل أبي طالب: ٤/ ٣١، وشرح النهج للمعتزلي: ١٦/ ٣٦ ـ ٤٠ ط. مصر.

(٦) مقاتل الطالبين: ٦٦، وشرح النهج لابن أبي الحديد: ١٦/ ٣٤ كتاب ٢٩ ترجمة الحسن.

(٧) إثبات الوصية: ١٣١.

(٨) شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٦/ ٢٢ كتاب ٢٩ ترجمة الحسن، وجواهر المطالب: ٢/ ١٩٥ باب ٦٨.

قال ابن قدامة وغيره: وعهد اليه أبوه حين ضرب، فلما مات علي رضي الله عنه بايع الحسن أكثر من أربعين ألفاً[١].

وقال في مروج الذهب وأنساب الأشراف: وقد ذكرت طائفة من الناس أن علياً أوصى الى ابنه الحسن والحسين لأنهما شريكاه في آية التطهير، وهذا قول كثير ممن ذهب الى القول بالنص[٢].

وقال ﷺ: «أنتما إمامان بعدي سيدا شباب أهل الجنة والمعصومان حفظكما الله ولعنة الله على من عاداكما»[٣].

وقال سليم بن قيس الهلالي[٤]: شهدت أمير المؤمنين حين أوصى الى ابنه الحسن ﷺ وأشهد على وصيته الحسين ﷺ ومحمداً وجميع ولده ورؤساء شيعته وأهل بيته ثم دفع إليه الكتاب والسلاح وقال له:

«يا بني إنه أمرني رسول الله ﷺ أن أوصي إليك وأدفع إليك كتبي وسلاحي كما أوصى إليّ ودفع إليّ كتبه وسلاحه، وأمرني أن آمرك إذا حضرك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين ﷺ»[٥].

وفي حديث الأصبغ بن نباتة: قال خرج علينا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ وهو يقول: « . . . إن خير الخلق بعدي وسيدهم إبني هذا إمام كل مسلم وولي كل مؤمن بعد وفاتي، ألا وإنه سيظلم بعدي كما ظلمت بعد رسول الله ﷺ، وخير الخلق وسيدهم بعد الحسن ابني الحسين المظلوم بعد أخيه المقتول بأرض كربلاء»[٦].

وفي رواية: «الحسن والحسين من عترتي وأوصيائي وخلفائي»[٧].

ونحو ذلك من النصوص[٨].

البيعة ومعانيها

ومما يناسب ذكره ويفيد لما يأتي تحديد معنى البيعة.

تطرح البيعة في عصر النص لمن لا يؤمن به، وإلا مع التسليم للنص على الخلفاء لا معنى لها.

---

(١) التبيين في أنساب القرشيين: ١٠٥ الحسن بن علي، وتاريخ دمشق: ١٣/ ٢٦١ ترجمة هشام.

(٢) مروج الذهب: ٢/ ٤٢ ط. مصر ١٣٤٦ و٢/ ٤١٣ ط. الأندلس ـ بيروت، وأنساب الأشراف: ٢/ ٥٠٤ ـ ٤٩٧ أمر ابن ملجم وقتل علي مع تفاوت وعدم ذكر الحسين.

(٣) كفاية الأثر: ٢٢١.

(٤) روى عن جابر عن الباقر.

(٥) أعلام الورى: ٢٠٧.

(٦) أعلام الورى: ٣٧٧.

(٧) كفاية الأثر: ٢٢١، وإثبات الهداة: ٥/ ١٣٩.

(٨) راجع أصول الكافي: ١/ ٢٩٧ ـ ٣٠٠.

وهي الإتفاق التعاقدي القائم على ركنين:

أ ـ ركن الإيجاب ويتمثل في: أهل الحل والعقد أو أهل الإختيار.

ب ـ ركن القبول ويتمثل في المرشح للخلافة.

وعند عقد الإيجاب وصفق يد المبايع على المبايَع له يصبح الثاني أميراً أو خليفة أو ولياً، ويجب على الطرف الأول الإلتزام بأوامره.

والبيعة كانت متداولة في عصر النبي الأعظم والأئمة الأطهار فوردت عنهم بعض الروايات حولها ونزلت بها بعض الآيات كما يأتي.

وهي على معاني وأقسام:

١ ـ بيعة القلوب:

وهذا المعنى من المعاني الثابتة، والمراد به تجرّد الإنسان وانسلاخه عن كل شيء ليبيع نفسه لله تعالى ويسلّم أمره لوليه، ومصداقها بيعة الرضوان أو بيعة الشجرة[١] وغيرهما لرسول الله ﷺ قال تعالى: **﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم﴾**

وقال: **﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً﴾**[٢].

وقال عزّ من قائل **﴿إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾**[٣].

فهذا التعهد والإلتزام القلبي والمعاملة الرابحة مع الله تعالى نابع من القلب السليم للإنسان المؤمن الذي رضي الله عنه وأيّده وأيّد بيعته.

ومن التاريخ بل الصحيح أنه أشرف بيعة قلبية، بيعة أصحاب الإمام الحسين ليلة عاشوراء ـ ونحن في اليوم العاشر ـ فإنهم بايعوا الإمام الحسين على الطاعة والإلتزام القلبي قبل العملي، بايعوه مع معرفتهم أنها بيعة موت أو بيعة حبّ وفناء في أبي عبد الله الحسين عليه السلام وحتى أصبح أحدهم يقف أمام الإمام وهو يصلّي والسهام تغرس في صدره.

وأيضاً هناك بيعة في آخر الزمان لإمامنا المفدى المهدي عليه السلام من قِبل حزب الله الغالبون الذين وعد الله بهم **﴿يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾**[٤] **﴿أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه... أولئك حزب الله الا إن حزب الله هم المفلحون﴾**[٥].

---

(١) راجع أمالي المفيد: ١١٤، ومناقب آل أبي طالب: ١/٣٠٣.

(٢) سورة الفتح، الآية: ١٠ و١٨.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١١١.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(٥) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

جعلنا الله من أصحاب بيعة القلوب لإمامنا المهدي ﷺ تلك البيعة التي تنتظرها ألوية حزب الله المفلحون أناء الليل وأطراف النهار، وتدعو بتعجيل الفرج من أجلها.

جاء في دعاء العهد: اللهم بلّغ مولاي صاحب الزمان صلوات الله عليه عن جميع المؤمنين والمؤمنات في مشارق الأرض ومغاربها وبرها وبحرها وسهلها وجبلها حيّهم وميتهم عني وعن والدي وولدي من الصلوات والتحيات زنة عرش الله ومداد كلماته ومنتهى رضاه وعدد ما أحصاه كتابه وأحاط به علمه.

اللّهم إني أُجدد له في هذا اليوم وفي كل يوم عهداً وعقداً وبيعة في رقبتي...[١].

وهذا المعنى للبيعة لا يتنافى مع الولاية بل هو شرط في كمالها وشرفها.

٢ ـ بيعة الإلزام:

وهي أن نلزم من يعتقد أنّ البيعة هي الموجبة لصيرورة الشخص خليفةً على قاعدة (ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم)[٢] ومصداقها بيعة أمير المؤمنين ﷺ بعد موت عثمان، فالقوم كانوا معتقدين لذلك فوافق الأمير لإلزامهم بها، قال ﷺ لمعاوية: «إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد»[٣].

وقال له: «إنّ بيعتي لزمتك وأنت بالشام لأنه بايعني القوم الذين بايعوا أبابكر وعمر وعثمان»[٤].

وهذا المعنى لا يعني أنّ الخلافة لم تكن ثابتة قبل البيعة، إذ خلافة الأمير ثابتة قبلها، نعم هي ملزمة لمعاوية وأصحابه المعتقدين لصحة مثل هذه البيعة.

والأمر كذلك في الولاية في عصر الغيبة فكل من يعتقد أنّ تصدّي الفقيه للأمور السياسية أو مبايعة أهل الحل والعقد موجباً لصيرورته قائداً، حتى لو لم يكن يؤمن بولاية الفقيه العامة؛ ملزمٌ بقبول الولاية وأحكامها.

لذا على رأي كثير من فقهاء السنّة فإنهم ملزمون بإمامة ولي الفقيه الفعلي في زماننا، لأنّهم يرون صحة عقد الإمامة بواحد من أهل الحل كما صرح به إمام الحرمين الجويني[٥]، والقرطبي[٦]، وأبي الحسن الأشعري[٧]، وقيل: تنعقد برجلين[٨] وقيل بخمسة[٩].

---

(١) مفاتيح الجنان: ٨٩١، دعاء العهد، وبحار الأنوار: ٩٦/٥٣.

(٢) وسائل الشيعة: ١٧/ ٤٨٥ ح ٥، والفصول المهمة للحر العاملي: ٤٧٩/٢ ح ٢٣١٦.

(٣) نهج البلاغة ٣٦٦ط صبحي الكتاب ٦.

(٤) وقعة صفين: ٢٩٠.

(٥) الإرشاد في أصول الاعتقاد: ٤٢٤ط مصر.

(٦) تفسير القرطبي: ٢٦٩/١ ط. مصر.

(٧) أصول الدين للبزدوي: ١٨٩.

(٨) أصول الدين للبغدادي ٣٨١.

(٩) الملل والنحل لابن حزم: ١٦٧/٤ ط مصر ١٣٢١ هـ.

وهذا المعنى من البيعة ثابت أيضاً كسابقه، نعم تفترق عن المعنى الأول بأنها ليست نابعة من القلب ولا تحمل صفاته، وكذلك تفترق عن المعاني الأخرى الآتية من جهة أنها مختصة بمن يؤمن بمثلها فتلزمه وإن كان مخالفاً للمبايع له، فليست هي بيعة تأكيد لأنهم لا يؤمنون بإمامته، ولا بيعة تأسيس لأنهم ما أرادوها.

٢ ـ بيعة التأكيد وتجديد العهد:

وهي الإيمان بثبوت الخلافة أو الإمامة والولاية سابقاً ثم تأكيد وتجديد العهد بواسطة البيعة، وهذا المعنى ثابت بل هو معنى شريف مطلوب من كل إنسان، لأنه يعبّر عن الرضى واستمراره بالطاعة والولاء وبيع النفوس والإموال لله تعالى وحده لا شريك له، وتجسيد ذلك بالإلتزام بأوامر الخليفة أو الولي، وتعتبر البيعة بهذا المعنى من متممات الإمامة والولاية.

ومصداقها الأساسي بيعة الغدير، فقد كان النبي ثبّت ولاية الأمير منذ اليوم الأول يوم نزول قوله تعالى **﴿وانذر عشيرتك الأقربين﴾**[١]، ولكن أخذ يؤكّد عليها طيلة حياته، بقوله: أنت مني بمنزلة هارون من موسى[٢]، وبحديث الثقلين[٣]، إلى أن وصل إلى غدير خم فَنَصّبه علماً للناس وأمر الناس أن يبايعوه على الطاعة والولاية في ذلك المكان الجامع الحار الغريب ليكون التأكيد أبلغ لا ينسى بمرّ الزمن وتغير الأحوال، وليكون تجديد العهد في كل عام من السنة بحلول عيد الغدير فيستحب للإنسان تجديد تلك البيعة.

وقد أيّدت الآية النازلة في غدير خم حيث قال تعالى قبل عقد البيعة لأمير المؤمنين: **﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾**[٤].

ثم قال ﷺ يوم الغدير: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه[٥].

ومصداقها الآخر بيعة الإمام المهدي في كل يوم كما ورد في دعاء العهد: (اللهم إني أجدد له في هذا اليوم وفي كل يوم عهداً وعقداً وبيعة في رقبتي)[٦].

فروحي فداه ثبتت طاعته وإمامته وقيادته في أعناقنا منذ بدء إمامته منتظرين لخروجه المبارك،

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.

(٢) محاسن البرقي: ١/١٥٩ ح ٩٧، والكافي ٨/٢٦، والخصال ٢١١ ح ٣٤.

(٣) البصائر: ٤٣٢، وكمال الدين ٦٤، ومعاني الأخبار ٩٠ ـ ٩١ ـ ٩٣.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٥.

(٥) بحار الأنوار: ٣٧/١٣٨، وأمالي الصدوق: ٥٠، ومعاني الأخبار: ٦٧، ودلائل الإمامة: ١٨.

(٦) دعاء العهد، مفاتيح الجنان: ٨٩١.

إنما نجدد له في كل يوم بيعة له في أعناقنا للتأكيد على الطاعة، وبيع النفس والأموال من أجله أرواح العالمين له الفدى.

ومن مصداقها بيعة الولي الفقيه، لما ثبت في محلّه[١] أن الأدلّة على ولايته ثابتة بالأدلة الخاصة من أهل البيت ﷺ، ولكن ينبغي تأكيد هذا الثبوت بالبيعة له لتوثيق الإلتزام وطاعة ولي أمر المسلمين.

بل ينبغي تجديد هذه البيعة في كل عام لما فيها من مصالح جمّة، كتوحيد الصفوف وإرهاب الأعداء بوحدة الكلمة والثبات على الإلتزام بقيادة الولي، وبتنفيذ جميع أوامره للدفاع عن المقدّسات الإسلامية وحماية المستضعفين في جميع أقطار العالم، ومساعدتهم في نيل حقوقهم المشروعة.

قال تعالى: **﴿وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم﴾**[٢].

ومما لا شك فيه أنّ تجديد البيعة لولي أمر المسلمين إرهابٌ لعدو الله وعدونا بل لفئة آخرين لا يعلمهم إلّا الله، لما فيها من قوة وعزة ومنعة للمسلمين والإسلام.

قال تعالى: **﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا[٣] ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحُكم﴾**[٤].

وقال رسول الله: «يد الله مع الجماعة»[٥] أو «على الجماعة»[٦] ومراده بالجماعة الجماعة في البيعة قال تعالى: **﴿إنّ الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم﴾**[٧].

وقد وجدنا أثر هذه البيعة في إيران الإسلام لولي الأمر وكيف كان الاستكبار يرهب منها ويحسب لها ألف حساب، وهكذا في لبنان بتجديد البيعة للمجاهدين، تلك البيعة المستمدة والتابعة لبيعة ولي الأمر، لما فيها من إرهاب العدو ونظم الصفوف وتشجيع المجاهدين على المضي في عقيدتهم.

٤ ــ بيعة العهد:

ومرادنا منها أنّ الخلافة ثابتة من قَبل ولكن فعليتها وخروجها من حيّز النظرية إلى التطبيق متوقف على البيعة، فيجب على الناس مبايعة الخليفة أو الإمام والولي لتصح منهم الطاعة وتسقط عنهم تكاليف الولاية.

---

(١) فصلّناه في كتاب: ولاية لبفقيه الدستور الإلهي للمسلمين.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.
(٤) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.
(٥) مجمع الزوائد: ٥/٢٢١.
(٦) نهج البلاغة: ٢/٨ (محمد عبده) رقم ١٢٧.
(٧) سورة الفتح، الآية: ١٠.

ويعبّر عنها البعض ببيعة العقد، أي هناك عاقد ومعقود له ويجب على العاقد تنفيذ العقد.

وهذا المعنى للبيعة من المعاني المنفية، إما لعدم الدليل عليه، وإما لتنافيه مع الآراء المطروحة في النبوة والإمامة والخلافة، إذ من يؤمن بالنص لايرتضيه، وكذا من يؤمن بالشورى والإنتخاب كما يأتي، وهكذا من يؤمن بالولاية.

٥ ــ بيعة التاسيس:

ونعني بها أنّ البيعة شرط لإنشاء الولاية، ولا ولاية ولا إمامة ولا خلافة قبل البيعة، وهذا المعنى من المعاني المنفية أيضاً بل هو أخطرها، ولم يذهب إليه أحد من المتقدمين ولا المتأخرين، نعم استحسنه إستحساناً بعض المعاصرين، وهو مبتني على أمور:

١ ـ إنكار كون أدلّة ولاية الفقيه تدل على عموم النصب، أي ليس لكل فقيه ولاية.

٢ ـ عموم النصب يؤدي إلى الهرج الغريب في المجتمع.

٣ ـ أنّ الشارع أوكل أمر الإختيار إلى الناس أنفسهم في هذا العصر.

٤ ـ أنه المتّبع في الجمهورية الإسلامية في إيران.

٥ ـ أنها الطريقة المألوفة عند العقلاء.

ثم طرح أدلّة على هذا المعنى إعترف نفسه بعدم صلاح سندها، وإن كانت أيضاً الدلالة غير صالحة[1].

وأمّا الأمر الأول فوقع خلط فيه، إذ الفقهاء عندما يقولون أنّ الأدلّة تدل على عموم النصب وأنّ لكل فقيه ولاية لا يقفون عند هذا الحّد ليعترض أنّ الفقيه في نفس الوقت يكون ولياً ومولًى عليه.

إنما يشترطون الأعلمية والتصدي كدليل عقلي على تقديم بعض الفقهاء، ليصبح الفقيه الأعلم والأفضل والأقدر المتصدي ولياً على الجميع، وإلّا فحتى على البيعة التأسيسية سوف يكون الفقيه ولياً ومتولى عليه قبل البيعة، فالأعلمية والتصدي لا أقل تعتبر كالبيعة المزعومة.

أما الأمر الثاني: أن عموم النصب يؤدي إلى الهرج، فأولاً: ذكرنا أن عموم النصب مشروط بالتصدّي فلا يؤدي إلى الهرج، بل يؤدي إلى إلغاء الهرج وتوحيد الصفوف ورفع الظلم كما حصل عند تصدي الإمام الراحل الخميني (قدس سره).

ثانياً: تعدد ولاية الفقهاء ليست كتعدد الزعامات، ففقهاؤنا أعزهم الله لا يحكمون إلّا بما أنزل الله تعالى، نعم وحدة الولاية أمر مطلوب كما ذكرناه مفصلاً في كتاب الولاية، لكن لا للزوم الهرج المذكور.

---

(١) راجع ولاية الأمر للشيخ الآصفي: ٩٥.

والأمر الثالث: من كون الشارع أوكل الإختيار للإنسان، فهو واضح البطلان إما للأدلة الخاصة التي تنص أن تولية الولي من قِبل المعصومين ﷺ، وإما للزومه اختلاف الناس على اختلاف آرائهم وتوجهاتهم.

والأمر الرابع: فيه خلط، فليس المتبع في إيران الإسلام أنّ الولي الفقيه يبايع من قِبل الناس أو ينتخب، نعم أوضحنا في محلّه أنّ دستور الجمهورية يشترط تعين الولي من قِبل الخبراء وهذا غير ثبوت الولاية العامة.

والأمر الخامس: كسابقيه فليس ديدن العقلاء على البيعة بهذا المعنى في الأمور الخطيرة كالولاية والإمامة، بل نجد العقلاء على تقديم الأعلم والأفضل بالتعيين والنص، نظير لو وجد عدة أطباء بنفس التخصص فإننا لا نجد عاقلاً يقول إنتخبوا أحدهم أو تعالوا لنبايع أحدهم، بل نجدهم وبلا تردد يعينون الأعلم والأجدر منهم، نعم إذا كانت البيعة بالمعنى الأول والثالث صحّ.

إلّا إذا قدمت المصالح الشخصية فعندها على العقول السليمة السلام.

ومن الشواهد على بطلان البيعة بهذا المعنى الإنتخاب والشورى بناء على تماميتها، كما ذكرناه في محلّه.

والخلاصة ماقيل في البيعة التأسيسية غير سليم ولا دليل معتبر عليه، بل لعله من الأفكار المتسربة من التاريخ الدخيل العامّي إذ مازالوا ينادون بالبيعة وألّفوا فيها الكتب لإلغاء النص المتبع عند مذهب أهل بيت العصمة والطهارة ﷺ.

نعم، للبيعة بهذا المعنى مصداق وقع في صدر الإسلام وهو البيعة التي حصلت في سقيفة بني ساعدة بقوة الإرهاب والرشوة وقد أوضحنا ذلك في كتابنا هذا، فهذه البيعة التي حصلت في السقيفة أنشأت خلافة مزعومة إستمرت سنتين، إلّا أنها بيعة باطلة لمخالفتها لنص رسول الله ﷺ على الخليفة الحقيقي الإمام علي بن أبي طالب ﷺ.

وبطلانها يتبين من تصريحات الصحابة أنفسهم منذ انعقاد هذه البيعة، فإنهم صرّحوا أنّ أمير المؤمنين أولى من غيره لأعلميته وأفضليته ولنص النبي عليه، كتصريح: معاوية، وسلمان، والعباس، وأبو سفيان، وابن عباس، والمقداد كما تقدم في سيرة أمير المؤمنين ﷺ[١].

- وهناك عدة آيات وروايات تنفي توكيل أمر الأمة للإنسان نحو:

- ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾[٢].

---

(١) شرح النهج ٩/ ٢١ خطبة ١٣٥، وتاريخ المدينة ٣/ ٩٣١ ذيل أخبار عمر.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٦.

ـ ﴿ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾(١).

ـ ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإذا تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾(٢).

ـ ﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أُولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾(٣).

ومن الروايات ما يأتي في روايات الشورى نحو قول أمير المؤمنين لابن عباس: «عليك أن تشير عليّ فإذا خالفتك فأطعني»(٤).

وفي النهج: «لك أن تشير علي وأرى فإن عصيتك فأطعني»(٥).

وعن الإمام الرضا ﷺ: «إنّ رسول الله كان يستشير أصحابه ثم يعزم على ما يريد الله»(٦).

هذا وقد صرح أمير المؤمنين أن بيعة العامة لا أساس لها إنما الميزان في اختيار الخليفة والقائد هو كونه أعلم بأمر الله وأقواهم عليه قال: «أيها الناس إن أحق الناس بهذا الأمر أقواهم عليه وأعلمهم بأمر الله فيه، فإن شغب شاغب استعتب، فإن أبى قوتل. ولعمري لئن كانت الإمامة لا تنعقد حتى تحضرها عامة الناس فما إلى ذلك سبيل ولكن أهلها يحكمون على من غاب عنها»(٧).

ونحو ذلك من الروايات(٨).

فَعُلِمَ أنّ المعاني الثلاثة الأولى ثابتة في البيعة دون الأخيرتين.

ومنه يعلم أنّ حرمة نقض البيعة مختص بالمعاني الثلاثة الأولى، فيجب على المبايع الوفاء ببيعته على حسب مراتبها، قال أمير المؤمنين ﷺ: «أيها الناس إنّ لي عليكم حقاً ولكم عليّ حق، فأمّا حقكم عليّ فالنصيحة لكم وتوفير فيئكم، وتعليمكم كيلا تجهلوا، وتأديبكم كيما تعملوا، وأمّا حقي عليكم فالوفاء بالبيعة، والنصيحة في المشهد والمغيب والإجابة حين أدعوكم والطاعة حين آمركم»(٩).

وقال إمامنا الصادق ﷺ: «من فارق جماعة المسلمين ونكث صفقة الإمام جاء إلى الله عزّ وجلّ أجذم»(١٠).

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.
(٢) سورة النساء، الآية: ٥٩.
(٣) سورة النساء، الآية: ٨٣.
(٤) الوسائل: ٨/٤٢٨ عن نهج البلاغة.
(٥) نهج البلاغة ٤/٧٦ (محمد عبده) رقم ٣٢٢.
(٦) بحار الأنوار: ٧٢/١٠١ ح ٢٣.
(٧) نهج البلاغة: الخطبة: ١٧١.
(٨) راجع بحار الأنوار ٧٢/٩٨ إلى ١٢٥ ح ١ إلى ٤١.
(٩) نهج البلاغة: ٧٩ الخطبة ٣٤.
(١٠) أصول الكافي ١/٤٠٥.

ونكث صفقة الإمام أي نكث البيعة[١] وقال رسول الله ﷺ: «ثلاث موبقات: نكث الصفقة وترك السنّة وفراق الجماعة»[٢].

❀ ❀ ❀

أسرار الحسن بن علي عليه السلام

فمن ذلك: أنه لما قدم من الكوفة جاءت النسوة يعزينه في أمير المؤمنين عليه السلام، ودخلت عليه أزواج النبي ﷺ، فقالت عائشة: يا أبا محمد ما مثل فقد جدّك إلّا يوم فُقد أبوك، فقال لها الحسن: نسيت نبشك في بيتك ليلاً بغير قبس بحديدة، حتى ضربت الحديدة كفك فصارت جرحاً إلى الآن فأخرجت جرداً أخضر فيه ما جمعته من خيانة حتى أخذت منه أربعين ديناراً عدداً لا تعلمين لها وزناً ففرقتيها في مبغضي علي صلوات الله عليه من تيم وعدي، وقد تشفيت بقتله، فقالت: قد كان ذلك[٣].

ومن ذلك: أنّ معاوية لمّا أراد حرب علي عليه السلام وجمع أهل الشام، سمع بذلك ملك الروم فقيل له: رجلان قد خرجا يطلبان الملك، فقال: من أين؟

فقيل له: رجل بالكوفة ورجل بالشام، فقال: (فسألهم عن صفتهما، فوصفوهما له، ثم قال لخزان بيوت خزائنه: أخرجوا إلي الأصنام، فنظر إليها فقال: الشامي ضال والكوفي هاد)[٤] ثم كتب إلى معاوية أن ابعث إلي أعلم أهل بيتك، وبعث إلى أمير المؤمنين عليه السلام إبعث إلي أعلم أهل بيتك، حتى أجمع بينهما وأنظر في الإنجيل مَنْ أحق بالملك منكما وأخبركما، فبعث إليه معاوية ابنه يزيد، وبعث إليه أمير المؤمنين الحسن عليه السلام، فلما دخل يزيد أخذ الرومي يده فقبّلها، ولما دخل الحسن عليه السلام قام الرومي فانحنى على قدميه فقبلهما، فجلس الحسن عليه السلام لا يرفع بصره، فلما نظر ملك الروم إليهما أخرجهما معاً، ثم استدعى يزيد وحده، وأخرج له من خزانته ١١٣ صنماً تماثيل الأنبياء وصورهم وقد زيّنت بكل زينة، فأخرج صنماً فعرضه على يزيد فلم يعرفه، ثم عرض آخر فلم يعرفه، ثم سأله عن أرزاق العباد وعن أرواح المؤمنين، وأرواح الكفار، أين تجمع بعد الموت؟ فلم يعرف، فدعا الحسن بن علي عليه السلام وقال: إنّما بدأت بهذا حتى يعلم أنّك تعلم ما لا يعلم، وأن أباك يعلم لا أبوه وأن أباك ربّانيّ هذه الأمّة، وقد نظرت في الإنجيل فرأيت الرسول محمداً والوزير علياً ونظرت إلى الأوصياء فرأيت أباك فيها وصي محمد.

---

(١) راجع البحار ٢/٢٦٦ ح ٢٥.

(٢) الخصال ١/ ٤٢.

(٣) الهداية الكبرى للخصيبي: ١٩٧.

(٤) زيادة عن البحار: (٣٣/ ٢٣٤ ح ٥١٧) لتقويم المعنى.

فقال للرومي: سلني عمّا بدا لك من علم التوراة، والإنجيل والفرقان، أخبرك، فدعا الأصنام، فأوّل صنم عرضه عليه على صفة القمر.

فقال الحسن عليه السلام: هذه صفة آدم أبي البشر، ثم عرض عليه آخر في صفة الشمس، فقال: هذه صفة حواء أمّ البشر، ثم عرض آخر، فقال: هذا عليه صفة شيث بن آدم، وهذا أوّل من بعث وكان عمره في الدنيا ١٥٤٠ سنة، ثم عرض عليه آخر فقال: هذه صفة نوح صاحب السفينة، وكان عمره في الدنيا ٢٥٠٠ سنة ولبث في قومه ألف سنة إلّا خمسين عاماً، ثم عرض عليه آخر، فقال: هذه صفة إبراهيم عريض الصدر طويل الجبهة، ثم عرض عليه آخر، فقال: هذه صفة موسى بن عمران وكان عمره ٢٤٥ سنة وكان بينه وبين إبراهيم ٥٠٠ سنة، ثم عرض عليه آخر، فقال: هذه صفة إسرائيل وهو يعقوب الحزين، ثم عرض عليه آخر، فقال: هذه صفة إسماعيل، ثم عرض عليه آخر، فقال: هذه صفة يوسف بن يعقوب، ثم عرض عليه آخر، فقال: هذه صفة داود صاحب الجراب، ثم عرض عليه آخر فقال: هذه صفة شعيب، ثم زكريا، ثم عيسى ابن مريم روح الله وكلمته، وكان عمره في الدنيا ٢٣ سنة ثم رفعه الله إليه ثم يهبط إلى الأرض بدمشق ويقتل الدجّال، ثم عرضت عليه أصنام الأوصياء، والوزراء، فأخبر بأسمائهم، ثم عرضت عليه أصنام في صفة الملوك وقال له ملك الروم: هذه أصنام لم نجد صفتها في التوراة والإنجيل.

فقال الحسن عليه السلام: هذه صفة الملوك، فقال ملك الروم عند ذاك: أشهد لكم يا آل محمد أنكم أوتيتم علم الأوّلين والآخرين، وعلم التوراة والإنجيل، وصحف إبراهيم وألواح موسى، وإنّا نجد في الإنجيل أن أوّل فتنة هذه الأمّة وثوب شيطانها الضليل على ملك نبيّها واجترائه على ذريته، ثم قال للحسن عليه السلام: أخبرني عن سبعة أشياء خلقها الله تعالى، لم تركض في رحم.

فقال الحسن عليه السلام: آدم وحواء، وكبش إبراهيم، وناقة صالح، وإبليس والحية والغراب الذي ذكر في القرآن.

ثم سأله عن أرزاق الخلائق فقال الحسن عليه السلام: في السماء الرابعة تنزل بقدر وتبسيط، وسأله عن أرواح المؤمنين أين تكون؟ فقال: تجتمع عند صخرة بيت المقدس في كل ليلة جمعة وهي العرش الأدنى ومنها يبسط الله الأرض وإليها يطويها وإليها المحشر. ثم سأله عن أرواح الكفّار فقال: تجتمع في وادي حضرموت عند مدينة في اليمن ثم يبعث الله ناراً من المشرق وناراً من المغرب ويتبعها ريح شديد فيحشر الناس عند صخرة بيت المقدس فأهل الجنة عن يمينها، وأهل النار عن يسارها في تخوم الأرض السابعة، فتحشر الناس عند الصخرة، فمن وجبت له الجنة دخلها ومن وجبت له النار دخلها، وذلك قوله: فريق في الجنة وفريق في السعير.

فالتفت الملك إلى يزيد وقال: هذا بقيّة الأنبياء وخليفة الأوصياء، ووارث الأصفياء وثاني النقباء، ورابع أصحاب الكساء، والعالم بما في الأرض والسماء، أفقياس هذا بمن طبع على قلبه

وهو من الضّالين، ثم كتب إلى معاوية: مَنْ آتاه الله العلم والحكمة بعد نبيّكم وحكم التوراة والإنجيل وأخبار الغيب، فالحق والخلافة له، ومَنْ نازعه فإنّه ظالم، ثم كتب إلى أمير المؤمنين عليه السلام إنّ الحق لك والخلافة فيك وفي ولدك إلى يوم القيامة، فقاتل من قاتلك يعذّبه الله بيدك، فإنّ مَنْ عصاك وحاربك عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين(١).

ومن ذلك من كراماته ما روي عن مولانا الباقر عليه السلام أنّ جماعة من أهل الكوفة قالوا للحسن عليه السلام: يابن رسول الله ما عندك من عجائب أسرار أمير المؤمنين عليه السلام الذي كان يرينا أي شيء نريد يرينا إيّاه؟

فقال: هل تعرفون أمير المؤمنين عليه السلام؟ فقالوا: نعم، فرفع ستراً كان على باب البيت، وقال: أنظروا، فنظروا فإذا أمير المؤمنين، فقالوا: نعم، هذا أمير المؤمنين لا نشك فيه ونشهد أنك خليفته حقاً وصدقاً(٢).

❁ ❁ ❁

شباهة الحسن بالنبي صلى الله عليه وآله

وكان الحسن رضي الله عنه يشبه رسول الله صلى الله عليه وآله ما بين الصدر إلى الرأس، والحسين يشبه ما كان أسفل من ذلك(٣).

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: من سرّه أن ينظر إلى أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله ما بين عنقه إلى وجهه وشعره فلينظر إلى الحسن بن علي، ومن سرّه أن ينظر إلى أشبه الناس برسول الله ما بين عنقه إلى كعبه خلقاً ولوناً فلينظر إلى الحسين بن علي عليهما السلام(٤).

وعن عُقبة بن الحارث قال: صلى بنا أبو بكر العصر ثم خرج وعلي يمشيان فرأى الحسن يلعب مع الغلمان فأخذه فحمله على عنقه قال: ثم قال:

بأبي شَبَه النبي [غير] شبيه بعلي

[قال:] وعلي يتبسّم أو يضحك. رواه البخاري عن أبي عاصم [أيضاً](٥).

---

(١) بحار الأنوار: ٣٣/ ٢٣٧ ح٥١٧ والحديث طويل جدّاً اختصر هنا.

(٢) مدينة المعاجز: ٣/ ٧٦ ـ ٥١٢.

(٣) صحيح الترمذي: ٥/ ٦٥٩/ ح ٣٧٧٦، ومطالب السؤول: ٢/ ١٥.

(٤) صحيح الترمذي: ٥/ ٦٦٠/ ح ٣٧٧٩، والمعجم الكبير: ٣/ ٩٨/ ح ٣٧٦٨.

(٥) مسند الإمام أحمد ١: ٨، وفي صحيح البخاري في باب صفة النبي صلى الله عليه وآله ج ٤: ٢٢٧ من طريق أبي عاصم، وفيه: =

وعن مُصعب بن عبد الله قال: ذكر عن [عبد الله] البهيّ مولى الزبير قال: تذاكرنا من أشبه النبي ﷺ من أهله[١] فدخل علينا عبد الله بن الزبير فقال: أنا أحدّثكم بأشبه أهله إليه، وأحبّهم إليه الحسن بن علي. رأيته يجيء وهو ساجد فيركب رقبته ـ أو قال: ظهره ـ فما ينزله حتى يكون هو الذي ينزل، ولقد رأيته يجيء وهو راكع فيفرج له بين رجليه حتى يخرج من الجانب الآخر[٢].

وعن أنس بن مالك قال: لم يكن منهم أحد أشبه برسول الله ﷺ من الحسن بن علي[٣].

وعن أبي جُحيفة قال: رأيت رسول الله ﷺ أبيض قد شاب وكان الحسن بن علي ﷺ يشبهه[٤].

وعن علي ﷺ، قال: الحسن أشبه برسول الله ﷺ ما بين الصدر إلى الرأس والحسين أشبه الناس برسول الله ﷺ ما كان أسفل من ذلك[٥].

ويروى أنّ وجه الحسن كان يشبه وجه رسول الله ﷺ وكان جسد الحسين يشبه جسد رسول الله ﷺ[٦].

❋ ❋ ❋

توديع النبي للحسن ﷺ

عن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ﷺ قال: لما ثقل رسول الله ﷺ في مرضه الذي قُبض فيه، كان رأسه في حجري والبيت مملوء من أصحابه من المهاجرين والأنصار، والعباس بين يديه يذبّ عنه بطرف ردائه، فجعل رسول الله ﷺ يغمى عليه ساعة ويفيق أُخرى، ثمّ وجد خفة فأقبل على العباس فقال: يا عباس يا عمّ النبيّ إقبل وصيتي في أهلي وفي أزواجي واقض ديني وأنجز عداتي وأبرئ ذمّتي.

فقال العباس: يا نبي الله أنا شيخ ذو عيال كثير غير ذي مال ممدود وأنت أجود من السحاب الهاطل والريح المرسلة فلو صرفت ذلك عني إلى من هو أطوق له مني، فقال رسول الله ﷺ: أما

= بأبي شبيه النبي لا شبيه بعلي

وعلي يضحك.

(١) في نسب قريش: «من أشبه الناس بالنبي ﷺ، فدخل...».

(٢) في كتاب نسب قريش للمصعب الزبيري: ٢٣.

(٣) مصنف عبد الرزاق ح ٢٠٩٨٤، وسنن الترمذي: ١٣/ ١٩٦ مناقب الحسن والحسين..

(٤) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، الباب (٢٩)، حديث رقم ٢٣٤٣.

(٥) أخرجه الترمذي في المناقب ح ٣٧٨١ وحسّنه، وصححه ابن حبّان ح ٢٢٣٥.

(٦) صحيح الترمذي: ٥/ ٦٥٩/ ح ٣٧٧٧، ومطالب السؤول: ٢/ ١٤.

إني سأعطيها من يأخذها بحقها ومن لا يقول مثل ما تقول، يا عليّ هاكها خالصة لا يحاقك فيها أحد، يا عليّ إقبل وصيتي وأنجز مواعيدي وأدّ ديني، يا عليّ اخلفني في أهلي وبلّغ عني من بعدي.

قال عليّ عليه السلام: فلمّا نعى إليّ نفسه رجف فؤادي وألقي عليّ لقوله البكاء، فلم أقدر أن أجيبه بشي، ثمّ عاد لقوله فقال: يا عليّ أوتقبل وصيتي؟

قال: فقلت: وقد خنقتني العبرة ولم أكد أن أبيّن: نعم يا رسول الله.

فقال صلى الله عليه وآله: يا بلال ائتني بسوادي إئتني بذي الفقار ودرعي ذات الفضول إئتني بمغفري ذي الجبين، ورايتي العقاب، إئتني بالعنزة والممشوق[1] فأتى بلال بذلك إلّا درعه كانت يومئذ مرتهنة، ثمّ قال: إئتني بالمرتجز والعضباء واليعفور والدلول[2]، فأتى بهما فوقفهما في الباب، ثمّ قال: إئتني بالأتحمية والسحاب، فأتاه بهما فلم يزل يدعو بشي شيء فافتقد عصابة كان يشد بها بطنه في الحرب فطلبها فأتي بها والبيت غاصٌّ يومئذ بمن فيه من المهاجرين والأنصار، ثمّ قال: يا عليّ قم فاقبض هذا، ومدّ اصبعه وقال: في حياة مني وشهادة من في البيت لكيلا ينازعك أحدٌ من بعدي، فقمت وما أكاد أمشي على قدم حتّى استودعت ذلك جميعاً منزلي، فقال: يا عليّ أجلسني، فأجلسته وأسندته إلى صدري، قال عليّ عليه السلام: فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وإن رأسه ليثقل ضعفاً وهو يقول: يسمع أقصى أهل البيت وأدناهم: إنّ أخي ووصيي ووزيري وخليفتي في أهلي عليّ بن أبي طالب يقضي ديني وينجز موعدي، يا بني هاشم يا بني عبد المطلب لا تبغضوا عليّاً ولا تخالفوا عن أمره فتضلّوا، ولا تحسدوه وترغبوا عنه فتكفروا، أضجعني يا عليّ، فأضجعته فقال: يا بلال إئتني بولدي الحسن والحسين، فانطلق، فجاء بهما فأسندهما إلى صدره فجعل صلى الله عليه وآله يشمهما، قال عليّ عليه السلام: فظننت أنهما قد غمّاه - قال الجارودي يعني أكرباه - فذهبت لآخذهما عنه، فقال: دعهما يا عليّ يشمّاني وأشمّهما ويتزوّدا منّي وأتزود منهما فسيلقيان من بعدي [زلزلاً][3] وأمراً عضالاً فلعن الله مَنْ يخيفهما اللّهمّ إنّي استودعكهما وصالح المؤمنين[4].

❋ ❋ ❋

إخبار الحسن عليه السلام بالغيب

عن أبي أسامة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خرج الحسن بن عليّ عليه السلام إلى مكّة سنة ماشياً،

---

(١) العنزة: العكازة، والممشوق من القضبان: الطويل الدقيق، والمرتجز: الفرس.

(٢) اليعفور: حماره، والدلول: بغلة شهباء كانت له صلى الله عليه وآله، والأتحمية: ضرب من البرود.

(٣) ليس في المصدر.

(٤) أمالي الطوسي: ٦٠٠ ح ١٢٤٤ المجلس: ٢٧ ح ١.

فورمت قدماه، فقال له بعض مواليه: لو ركبت لسكن عنك هذا الورم، فقال: كلّا إذا أتينا هذا المنزل فإنّه يستقبلك أسودٌ ومعه دهنٌ فاشتر منه ولا تماكسه، فقال له مولاه: بأبي أنت وأمّي ما قدمنا منزلاً فيه أحدٌ يبيع هذا الدواء.

فقال له: بلى إنّه أمامك دون المنزل، فسارا ميلاً فإذا هو بالأسود، فقال الحسن عليه السلام لمولاه: دونك الرّجل، فخذ منه الدُّهن وأعطه الثّمن.

فقال الأسود: يا غلام لمن أردت هذا الدّهن؟ فقال: للحسن بن عليّ.

فقال: إنطلق بي إليه، فانطلق فأدخله إليه فقال له: بأبي أنت وأمّي لم أعلم أنّك تحتاج إلى هذا أو ترى ذلك ولست آخذ له ثمناً، إنّما أنا مولاك ولكن أدع الله أن يرزقني ذكراً سويّاً يحبّكم أهل البيت؛ فإنّي خلّفت أهلي تمخض،

فقال عليه السلام: انطلق إلى منزلك فقد وهب الله لك ذكراً سويّاً وهو من شيعتنا[١].

فضائل الحسن عليه السلام

نقل ابن شاذان بإسناده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «خير هذه الأمّة من بعدي عليّ بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فمن قال غير هذا فعليه لعنة الله»[٢].

ويروى أنّ عمرو بن العاص لما أقبل الحسن بن علي عليهما السلام قال: هذا أحبّ أهل الأرض إلى أهل السماء[٣].

عن مُصعب بن عبد الله قال: ذكر عن [عبد الله] البهيّ مولى الزبير قال: تذاكرنا من أشبه النبي صلى الله عليه وآله من أهله[٤] فدخل علينا عبد الله بن الزبير فقال: أنا أحدثكم بأشبه أهله إليه، وأحبّهم إليه الحسن بن علي. رأيته يجيء وهو ساجد فيركب رقبته ـ أو قال: ظهره ـ فما ينزله حتى يكون هو الذي ينزل، ولقد رأيته يجيء وهو راكع فيفرج له بين رجليه حتى يخرج من الجانب الآخر.

وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنه ريحانتي من الدنيا وإنّ إبني هذا سيد وعسى الله أن يُصلح به بين فئتين من المُسلمين»[٥].

---

(١) الكافي: ١/٤٦٣ ح ٦، وكشف الغمة: ٢/١٨٠.

(٢) مائة منقبة: ١٢٦، كنز الفوائد: ١/٦٣، بحار الأنوار: ٢٧/٢٢٨/٣١.

(٣) البداية والنهاية: ٨/٢٠٧، والإصابة: ٢/٧٨.

(٤) في نسب قريش: «من أشبه الناس بالنبي صلى الله عليه وآله، فدخل...».

(٥) في كتاب نسب قريش للمصعب الزبيري: ٢٣.

وقال: «اللهُم إني أحبّه فأحبّه وأحبّ من يُحبّه».

وعن أسامة، قال: كان رسول الله ﷺ يأخذني والحسن بن علي ﷺ فيقول: «اللهُمّ أحبهما فإني أحبّهما»[١].

عن أسامة بن زيد، قال: كان رسول الله ﷺ يأخذني فيقعد[ني] على فخذه ويقعد الحسن على فخذه الآخر فيقول: «اللهُمّ ارحمهما فإني أرحمهما»[٢].

عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أحبّ الحسَن والحسَين فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني»[٣].

عن أبي هريرة، قال: سمعت أذناي هاتان وأبصرت عيناي هاتان رسول الله ﷺ وهو آخذ بكفيه جميعاً يعني حسناً أو حسيناً وقدماه على قدم رسول ﷺ وهو يقول: «حزُقّة حزُقّة ترقّ عين بقة» فيرقأ الغلام حتى يضع قدميه على صدر رسول الله ﷺ ثم قال له: «إفتح فاك» ثم قبّله ثم قال: «اللّهمّ أحبّه فإني أحبّه»[٤].

عن علي ﷺ أنّ النبي ﷺ أخذ بيد حسن وحُسين فقال: «من أحبّني وأحبّ هذين وأباهُما وأمّهما كان معي في درجتي يوم القيامة»[٥].

عن ابن عباس، قال: جاء العباس يعودُ النبي ﷺ في مرضه فرفعه فأجلسه على السرير فقال له رسول الله ﷺ: «رفعك الله ياعم» ثم قال العباسُ: هذا علي يستأذن قال: فدخل ودخل معه الحسن والحسين عليهم السّلام فقال العباس: هؤلاء ولدك يارسول الله قال: «وهم ولدك ياعم» فقال: «أتحبّهم»؟ فقال: [إني أحبهم. قال:] «أحبّك الله كما أحبّهم»[٦].

زهير بن الأقمر، قال: بينما الحسن بن علي ﷺ يخطُب بعدما قُتل علي إذ قام رجل من الأزد آدمُ طوال، فقال: لقد رأيت رسول الله ﷺ واضعه في حبونة يقول: «من أحبني فليُحبه، فليبلّغ الشاهدُ الغائب ولولا عزمة رسول الله ﷺ ما حدّثتكم»[٧].

وعن عائشة أمّ المؤمنين قالت: خرج رسول الله ﷺ ذات غداة وعليه مرط مرحّل من شعر أسود فجلس، فأتت فاطمة فأدخلها فيه، ثم جاء علي، فأدخله فيه، ثمّ جاء الحسن فأدخله فيه، ثم

---

(١) صحيح البخاري في فضائل اصحاب النبي ﷺ باب ذكر أسامة بن زيد ٧: ٧٠ وأحمد في مسنده ٥: ٢١٠.

(٢) صحيح البخاري: ٥/ ٣٠ ذكر أسامة.

(٣) تاريخ بغداد: ١/ ١٤١. (٤) مجمع الزوائد: ٩/ ١٧٦.

(٥) سنن الترمذي، مناقب علي بن أبي طالب (باب ١٣) (ح ٣٧٣٤)، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٢٥٤.

(٦) المعجم الصغير: ١/ ٩٠ ومجمع الزوائد: ٩/ ١٧٣.

(٧) المسند: ٥/ ٣٦٦.

جاء حُسين فأدخله فيه، ثم قال: ﴿إنما يُريُد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾[1].

وعن أمّ سلمة حدّثته قالت: بينا رسول الله ﷺ في بيتي إذ قالت الخادم: إن علياً وفاطمة بالسُّدَّة.

قالت: فقال لي: «قومي فتنحّي لي عن أهل بيتي» قالت: فقمت فتنحيت في البيت قريباً، فدخل علي وفاطمة ومعهما الحسن والحسين وهُما صبيان صغيران، فأخذ الصبيين فوضعهما في حجره، فقبّلهما واعتنق علياً بإحدى يديه وفاطمة باليد الأخرى، فقبّل فاطمة وقبّل علياً فأغدف عليهم خميصة سوداء فقال: «اللهُمّ إليك لا إلى النار أنا وأهل بيتي» قالت: فقلت: وأنا يارسول الله. فقال: «وأنت»[2].

وعن أمّ سلمة زوج النبي ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال لفاطمة: «ائتني بزوجك وابنيك» فجاءت بهم فألقى عليهم رسول الله ﷺ كساء كان تحتي خيبرياً أصبناه من خيبر ثم قال: «اللّهمّ هؤلاء آل مُحمّد، فاجعل صلواتك وبركاتك على آل مُحمّد كما جعلتها على آل إبراهيم». وقال الشحامي: على إبراهيم ـ «إنك حميد مجيد» قالت أمّ سلمة: فرفعت الكساء ـ وفي حديث الشحامي: أحسبه قال: فأخذت بطرف الكساء ـ لأدخل معهم فجذبه رسول الله ﷺ ـ زاد ابن المقرىء والشحامي: من يدي، ـ وقالوا: وقال: «إنّك على خير»[3].

عن حُذيفة، قال: قالت لي أمّي: متى عهدك بالنبي ﷺ؟ فقلت: مالي به عهد مذ كذا وكذا فنالت مني، قلت لها: دعيني فإني آتيه وأصلي معه المغرب وأسأله أن يغفر لي [ولك] قال: فأتيته وهو يُصلي المغرب فقال: «ما رأيت العارض الذي عرض لي» قلت: بلى..

قال: «فذاك ملك لم يهبط إلى الأرض قبل السّاعة، استأذن ربّه عزّ وجلّ في السّلام علي فسلّم عليّ، وبشّرني بأنّ الحسن والحُسين سيدا شباب أهل الجنة وأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنّة»[4].

عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «من سرَّه أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظر إلى الحسن بن علي»[5].

عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ للحسن بن علي: «إن ابني هذا سيّد ويُصلح الله به بين فئتين من المُسلمين»[6].

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.
(٢) مسند الإمام أحمد ٦: ٢٩٦.
(٣) كتاب الأربعين: ٣٧١، وتاريخ مدينة دمشق: ١٣/ ٢٠٣.
(٤) المسند: ٥/ ٣٩٢ ومجمع الزوائد: ٩/ ١٨٣.
(٥) مسند أبي يعلى: ٣/ ٣٩٧ ح١٨٧٤ بلفظ الحسين بن علي.
(٦) المعجم الصغير: ١/ ٢٧١.

وفي كتاب اللوامع لما صالح الحسن ﷺ معاوية قال: «يا أيها الناس لو أنكم طلبتم من جابلق إلى جابلس رجلاً جدّه رسول الله ﷺ ما وجدتم غيري وغير أخي».

وفي رواية أنه قيل لمعاوية: لو أمرت الحسن أن يخطب، فإنّه حديث السنّ لم يتعوّد الخطب، فيجتمع الناس إليه فيحضر فيكون في ذلك ما يصغّره في أعين الناس.

فقال كما قال لهم أوّل مرّة، فقالوا: إنّه قد شمخ أنفاً ورفع رأساً واشرأبت إليه قلوب الناس بالثقة والمقة فمره بذلك حتّى ترى فأرسل إليه معاوية فأمره أن يخطب؛ فلمّا صعد المنبر وقد جمع معاوية كهول قريش وشبّانها، حمد الله تعالى وأثنى عليه وصلّى على النبيّ ﷺ ثمّ قال: أيّها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي بن أبي طالب، أنا ابن رسول الله ﷺ ما بين جابلقا وجابرصا، ما أحد جدّه نبيّ غيري، أنا ابن نبي الله، أنا ابن رسول الله، أنا ابن البشير النذير، أنا ابن السراج المنير، أنا ابن بريد السماء، أنا ابن من بُعث رحمةً للعالمين، أنا ابن مَنْ بُعث للجنّ والإنس، أنا ابن مَنْ قابلت معه الملائكة، أنا ابن من جعلت له الأرض مسجداً وطهوراً، أنا ابن من أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، فلمّا سمع معاوية ذلك أراد أن يسكته ويخلط عليه مخافة أن يبلغ به المنطق ما يكرهه، فقال له: يا حسن إنعت لنا الرطب فقال: يا سبحان الله أين هذا من هذا ثمّ قال: الحرّ يُنضّجه، والليل يبرّده والريح تلقّحه.

ثمّ استفتح كلامه الأوّل وقال: ـ أنا ابن مَنْ كان مستجاب الدعوة، أنا ابن الشفيع المطاع أنا ابن أوّل من تنشقّ عنه الأرض وينفض رأسه من التراب، أنا ابن أوّل من يقرع باب الجنّة، أنا ابن من رضاه رضى الرحمان وسخطه سخط الرحمان، أنا ابن من لا يسامى كرماً، فقال له قومه: حسبك يا أبا محمد ما أعرفنا بفضل رسول الله ﷺ فقال الحسن: يا معاوية إنّما الخليفة مَنْ سار بسيرة رسول الله ﷺ وعمل بطاعته، وليس الخليفة مَنْ دان بالجور وعطّل السُنن، واتّخذ الدنيا أُمّاً وأباً لكن ذاك ملك تمتّع في ملكه وكان قد انقطع وانقطعت لذّته وبقيت بيعته، ثمّ قال: وإن أدري لعلّه فتنة لكم ومتاع إلى حين ثمّ نزل عن المنبر ﷺ[١].

قيل: جابلس بفتح اللام بلد بالمشرق ليس وراءه شيء وجابلق بلد بالمغرب. وفي المغرب قالوا: جابلقا وجابلسا قريتان إحداهما بالمغرب والأخرى بالمشرق، ولا يبعد أن تكون المدينتان هاتين القريتين.

وروي عن أبي عبد الله ﷺ: إنّ من وراء اليمن وادياً يقال له وادي برهوت لا يجاوز ذلك

---

(١) أخرجه البيهقي والمحبّ الطبري، كما في الغدير في مسند المناقب ومرسلها بتغيير يسير، غير أن في أوّله: أنّ عمرو بن العاص هو الذي قال لمعاوية ذات يوم: ابعث إلى الحسن بن علي فمره أن يخطب على المنبر، فلعلّه يحصر فيكون ذلك ممّا نعته به. الحديث.

الوادي إلّا الحيات السود، وخلف ذلك الوادي قوم يقال لهم الذريح، لما بعث الله محمداً ﷺ صاح عجل لهم فيه وضرب بذنبه فنادى فيهم: يا آل ذريح بصوت فصيح أتى رجل بتهامة يدعو إلى شهادة أن لا اله إلّا الله، قالوا لأمر ما أنطق الله هذا العجل، فنادى فيهم ثانية فعزموا على أن يبنوا سفينة فبنوها ونزل فيها سبعة منهم وحملوا من الزاد ما قذف الله في قلوبهم ثم رفعوا شراعاً وسيّبوها في البحر فمازالت تسير بهم حتى رمت بجدة، فأتوا النبي ﷺ فقال لهم النبي ﷺ: أنتم أهل الذريح نادى فيكم العجل قالوا نعم، قالوا: أعرض علينا يارسول الله الدين والكتاب، فعرض عليهم رسول الله ﷺ الدين والكتاب والسنن والفرائض والشرائع كما جاء به من عند الله وولى عليهم رجلاً من بني هاشم سيّره معهم فما بينهم اختلاف حتى الساعة. ولا يبعد أن تكون هذه إحدى هاتين المدينتين[١].

وللسهروردي تأويل في جابلق وجابلس ذكره في كتابه حكمة الإشراق تركناه تحرزاً من الإطناب.

وفي هامش شرح الكافي للمازندراني: قوله «وللسهروردي تأويل» أوّله شارحه قطب الدين بعالم المثال وأصل الخبر على مافي معجم البلدان واللوامع لا يحتاج إلى تأويل كما قلنا، وأما في الكتاب فمشتمل على غرائب من المبالغات التي تسري الأخبار على ما هو معهود في نقل الوقائع لأنَّ ألف ألف مصراع يقتضي كون محيط البلد أعظم من محيط كرة الأرض خمس مرات إن فرض بين كل باب وباب آخر أربعمائة ذراع فقط ومحيط الأرض لا يزيد على ستة آلاف فرسخ، والمقدار المذكور يناهز ثلاثين ألف فرسخ. وأيضاً سبعون ألف ألف لغة يقتضى على فرض كون المتكلّم بكل لغة ألف إنسان على الأقل - إذ لا يتصور لأقل من هذا العدد لغة مستقلة - أن يكون عدة نفوس تلك المدينة سبعين ألف ألف إنسان وأهل الأرض كلها في زماننا جزء من ثلاثين جزءاً من هذا العدد، وبالجملة فهذه الأمور مما أوجبت على عقلاء الناس إما تأويله بعالم المثال أو ردّه بجهالة حال الرواة لئلا يستهزئ الملاحدة بالأخبار المنسوبة إلى المعصومين عليهم السلام ولا يطعنوا فيها فكم شكّكوا ضعفاء العقول من المؤمنين بهذا الخبر وأمثاله، والإصرار في تصحيح الخبر وحمله على ظاهره مفسدة للدين ومنفرة للمؤمنين ولا حاجة إليه بعد الشك في صدوره من المعصوم أو اليقين بعدم صدوره (ش)[٢].

وفي كتاب كشف اليقين عن إسحاق بن سليمان الهاشمي عن أبيه قال: كنّا عند أمير المؤمنين هارون الرشيد فتذاكروا عليّ بن أبي طالب، فقال هارون: تزعم العوام إنّي أبغض عليّاً وولديه حسناً وحسيناً ولا والله ما ذلك كما يظنّون ولكن ولده هؤلاء طالبونا بدم الحسين فثرنا معهم حتّى قتلنا قتلته ثمّ أفضى هذا الأمر إلينا فحسدونا وخرجوا علينا فحلوا قطيعتهم، والله لقد حدّثني أبي المهدي

(١) شرح أصول الكافي: ٧/ ٢٢٨.

(٢) شرح أصول الكافي: ٧/ ٢٢٨.

عن أبيه المنصور عن محمّد بن علي عن عبد الله بن عبّاس قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ أقبلت فاطمة تبكي قالت: إنّ الحسن والحسين خرجا فما أدري أين سلكا، فقال: لا تبكي فداك أبوك فإنّ الله أرحم بهما ثمّ قال: اللّهمّ احفظهما وسلّمهما في البرّ والبحر.

فهبط جبرئيل فقال: يا أحمد لا تحزن هما فاضلان في الدُّنيا والآخرة وأبوهما خيرٌ منهما وهما في حظيرة بني النجّار نائمين وقد وكّل الله بهما ملكاً يحفظهما، فقام وقمنا معه إلى الحظيرة، فإذا هما متعانقان فإذا الملك غطّاهما بأحد جناحيه فحمل النبيّ ﷺ الحسن وأخذ الحسين الملك والناس يرون أنّه حاملهما ثمّ قال: والله لأشرفنّهما اليوم بما شرّفهما الله، فخطب فقال: أيُّها الناس ألا أخبركم بخير الناس جدّاً وجدّة؟

قالوا: بلى يارسول الله.

قال: الحسن والحسين جدّهما رسول الله وجدّتهما خديجة بنت خويلد، ألا أخبركم أيّها الناس بخير الناس أباً وأُمّاً؟

قالوا: بلى يارسول الله.

قال: الحسن والحسين أبوهما عليّ بن أبي طالب وأُمّهما فاطمة بنت محمّد، ألا أخبركم أيّها الناس بخير النّاس عمّاً وعمّة؟

قالوا: بلى يارسول الله.

قال: الحسن والحسين عمّهما جعفر بن أبي طالب وعمّتهما أُمّ هاني بنت أبي طالب، ألا أخبركم بخير الناس خالاً وخالةً؟

قالوا: بلى يارسول الله.

قال: الحسن والحسين خالهما القاسم بن رسول الله وخالتهما زينب بنت رسول الله ألا أنّ أباهما في الجنّة وأُمّهما في الجنّة وجدّهما في الجنّة وجدّتهما في الجنّة وخالهما في الجنّة وخالتهما في الجنّة وعمّهما في الجنّة وعمّتهما في الجنّة وهما في الجنّة ومَنْ أحبّهما في الجنّة.

علّة التكبير في العيدين:

أبو المفضل الشيباني في أماليه وابن الوليد في كتابه بالإسناد عن جابر قال: كان الحسن بن علي قد ثقل لسانه وأبطأ كلامه، فخرج رسول الله ﷺ في عيد من الأعياد وخرج معه الحسن بن علي، فقال النبيّ ﷺ: الله أكبر يفتتح الصلاة، فقال الحسن: الله أكبر، فسرّ بذلك رسول الله، فلم يزل يكبّر والحسن معه يكبّر حتّى كبّر سبعاً فوقف الحسن عند السابعة فوقف رسول الله ﷺ عندها ثمّ قام إلى الركعة الثانية فكبّر الحسن حتّى بلغ رسول الله ﷺ خمس تكبيرات، فوقف الحسن عند

الخامسة ووقف رسول الله عند الخامسة فصار ذلك سنّة في تكبير العيدين[١].

وعن علي بن جعفر قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿كمشكوة فيها مصباح﴾[٢] قال: «المشكاة فاطمة عليها السلام، والمصباح الحسن. والحسين الزجاجة ﴿كأنها كوكب دري﴾[٣] قال: كانت فاطمة كوكباً درياً من نساء العالمين ﴿يوقد من شجرة مباركة﴾[٤] الشجرة المباركة إبراهيم ﴿لا شرقية ولا غربية﴾[٥] لا يهودية ولا نصرانية ﴿يكاد زيتها يضيء﴾[٦] ولو لم تمسه نار﴾ ﴿نور على نور﴾[٧] قال: فيها إمام بعد إمام ﴿يهدي الله لنوره من يشاء﴾[٨] قال: يهدي الله عزّ وجلّ لولايتنا من يشاء»[٩].

عن الأصبغ بن نباتة قال: خرج علينا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ذات يوم ويده في يد إبنه الحسن عليه السلام وهو يقول: «خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم ويدي في يده هكذا وهو يقول: خير الخلق بعدي[١٠] وسيدهم بعد الحسن إبني أخوه الحسين المظلوم بعد أخيه، المقتول في أرض كربلاء، أما إنه وأصحابه من سادات الشهداء يوم القيامة، ومن بعد الحسين تسعة من صلبه خلفاء الله في أرضه وحججه على عباده، وأمناؤه على وحيه، وأئمة المسلمين، وقادة المؤمنين، وسادة المتّقين، تاسعهم القائم الذي يملأ الله عزّ وجلّ به الأرض نوراً بعد ظلمتها، وعدلاً بعد جورها، وعلماً بعد جهلها، والذي بعث أخي محمداً بالنبوة واختصني بالإمامة لقد نزل بذلك الوحي من السماء على لسان الروح الأمين جبرائيل، ولقد سئل رسول الله صلى الله عليه وآله ـ وأنا عنده ـ عن الأئمة بعده فقال للسائل: ﴿والسماء ذات البروج﴾[١١] عددهم بعدد البروج، ورب الليالي والأيام والشهور إن عدّتهم كعدّة الشهور[١٢].

فقال السائل: فمن هم يارسول الله؟ فوضع رسول الله صلى الله عليه وآله يده على رأسي فقال: أولهم هذا وآخرهم المهدي، من والاهم فقد والاني، ومن عاداهم فقد عاداني، ومن أحبهم فقد أحبني ومن أبغضهم فقد أبغضني، ومن أنكرهم فقد أنكرني، ومن عرفهم فقد عرفني، بهم يحفظ الله عزّ وجلّ

---

(١) رياض الأبرار:
(٢) سورة النور، الآية: ٣٦.
(٣) سورة النور، الآية: ٣٦.
(٤) سورة النور، الآية: ٣٦.
(٥) سورة النور، الآية: ٣٦.
(٦) في المصدر: قال: يكاد العلم أن ينطق منها.
(٧) سورة النور، الآية: ٣٦.
(٨) سورة النور، الآية: ٣٦.
(٩) المناقب لابن المغازلي: ٣١٦ ـ ٣١٧.
(١٠) في المصدر: خير الخلق بعدي وسيدهم أخي هذا، وهو إمام كل مسلم، ومولى كل مؤمن بعد وفاتي. ألا وإني أقول: خير الخلق بعدي وسيدهم ابني هذا، وهو إمام كل مؤمن، ومولى كل مؤمن بعد وفاتي، ألا وإنه سيظلم بعدي كما ظلمت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وخير الخلق وسيدهم بعد الحسن. الحديث.
(١١) سورة البروج، الآية: ١.
(١٢) في المصدر: إن عددهم كعدد الشهور.

دينه، وبهم يعمر بلاده، وبهم يرزق عباده، وبهم ينزل القطر من السماء، وبهم يخرج بركات الأرض، هؤلاء أصفيائي وخلفائي وأئمة المسلمين وموالي المؤمنين»[١].

نور الحسن وفضله عليه السلام

عن أبي سلمى راعي[٢] رسول الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليلة أسري بي إلى السماء قال لي الجليل جلّ جلاله: ﴿آمن الرسول بما أُنزل إليه من ربه﴾ قلت: ﴿والمؤمنون﴾[٣] قال: صدقت يا محمد من خلفت في أمتك؟ قلت: خيرها، قال: علي بن أبي طالب؟

قلت: نعم يا رب.

قال: يا محمد إني اطلعت إلى الأرض إطلاعة فاخترتك منها فشققت لك اسماً من اسمائي فلا أذكر في موضع إلا ذكرت معي، فأنا المحمود وأنت محمد، ثم اطلعت الثانية فاخترت منها علياً وشققت له إسماً من أسمائي فأنا الأعلى وهو علي، يا محمد إني خلقتك وخلقت علياً وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ولده من نوري[٤] وعرضت ولايتكم على أهل السماوات والأرض فمن قبلها كان عندي من المؤمنين، ومن جحدها كان عندي من الكافرين.

يا محمد لو أن عبداً من عبيدي عبدني حتى ينقطع أو يصير كالشن البالي ثم أتاني جاحداً لولايتكم ما غفرت له حتى يقرّ بولايتكم، يا محمد تحب أن تراهم؟ قال: قلت: نعم يا رب فقال لي: إلتفت عن يمين العرش فالتفت فإذا أنا بعلي وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي والمهدي في ضحضاح من نور قيام يصلّون وهو في وسطهم «يعني المهدي» كأنه كوكب دري. فقال: يا محمد هؤلاء الحجج وهو الثائر من عترتك، وعزّتي وجلالي إنّه الحجّة الواجبة لأوليائي والمنتقم من أعدائي»[٥].

ونقل الشيخ الطوسي في (مصابيح الأنوار) عن أنس بن مالك قال: صلّى بنا رسول الله ﷺ في بعض الأيام صلاة الفجر، ثم أقبل علينا بوجهه الكريم فقلت: يارسول الله إن رأيت أن تفسر لنا قول الله عزّ وجلّ ﴿أولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا﴾[٦].

---

(١) كمال الدين: ١/٢٥٩ ـ ٢٦٠ ط ١٣٩٠ هجـ ـ طهران.
(٢) في المصدر: راعي ابل.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.
(٤) في المصدر: من سنخ نوري. وسنخ الشيء أصله.
(٥) مقتل الحسين: ١/٩٦.
(٦) سورة النساء، الآية: ٦٨.

فقال ﷺ: «أمّا النبيّون فأنا، وأما الصديقون فأخي علي بن أبي طالب، وأما الشهداء فعمي حمزة، وأما الصالحون فابنتي فاطمة وولداها الحسن والحسين».

قال: وكان العباس حاضراً فوثب وجلس بين يدي رسول الله ﷺ وقال: ألسنا أنا وأنت وعلي وفاطمة والحسن والحسين من نبعة واحدة؟ قال: «وكيف ذلك ياعم»؟. قال العباس: لأنك تعرّف بعلي وفاطمة والحسن والحسين دوننا.

فتبسّم النبي وقال: «أما قولك يا عم ألسنا من نبعة واحدة فصدقت ولكن يا عم، إنّ الله خلقني وعلياً وفاطمة والحسن والحسين قبل أن يخلق الله آدم حيث لا سماء مبنية ولا أرض مدحية ولا ظلمة ولا نور، ولا جنة ولا نار، ولا شمس ولا قمر».

قال العباس: وكيف كان بدؤ خلقكم يا رسول الله؟

قال: «يا عم لمّا أراد الله أن يخلقنا تكلم بكلمة خلق منها نوراً ثم تكلم بكلمة فخلق منها روحاً فمزج النور بالروح فخلقني وأخي علياً وفاطمة والحسن والحسين فكنا نسبّحه حين لا تسبيح، ونقدّسه حين لا تقديس، فلما أراد الله أن ينشئ الصنعة فتق نوري فخلق منه العرش، فالعرش من نوري ونوري من نور الله، ونوري أفضل من العرش.

ثم فتق نور أخي علي بن أبي طالب فخلق منه الملائكة فالملائكة من نور علي ونور علي من نور الله، وعلي أفضل من الملائكة.

ثم فتق نور إبنتي فاطمة فخلق منه السماوات والأرض فالسماوات والأرض من نور إبنتي ونور إبنتي فاطمة من نور الله عزّ وجلّ، وإبنتي فاطمة أفضل من السماوات والأرض.

ثم فتق نور ولدي الحسن وخلق منه الشمس والقمر، فالشمس والقمر من نور ولدي الحسن، ونور ولدي الحسن من نور الله، والحسن أفضل من الشمس والقمر، ثم فتق نور ولدي الحسين فخلق منه الجنة والحور العين فالجنة والحور العين من نور ولدي الحسين، ونور ولدي الحسين من نور الله، وولدي أفضل من الجنة والحور العين.

ثم أمر الله الظلمات أن تمر بسحائب الظلم فأظلمت السماوات على الملائكة فضجّت الملائكة بالتسبيح والتقديس وقالت: إلهنا وسيدنا مذ خلقتنا وعرّفتنا هذه الأشباح لم نر بؤسا فبحق هذه الأشباح إلا ما كشفت عنا هذه الظلمة، فأخرج الله من نور إبنتي فاطمة قناديل فعلّقها في بطنان العرش فأزهرت السماوات والأرض، ثم أشرقت بنورها، فلأجل ذلك سميّت الزهراء.

فقالت الملائكة: إلهنا وسيدنا لمن هذا النور الزاهر الذي أشرقت به السماوات والأرض؟ فأوحى الله إليها هذا نور اخترعته من نور جلالي لأمَتي فاطمة بنت حبيبي، وزوجة وليي، وأخ نبيّي، وأب حججي على عبادي، أشهدكم يا ملائكتي أني قد جعلت ثواب تسبيحكم وتقديسكم لهذه المرأة وشيعتها ومحبّيها إلى يوم القيامة».

فلما سمع العباس من رسول الله ﷺ وثب قائماً وقبّل ما بين عيني علي عليه السلام وقال: والله أنت يا علي الحجّة البالغة لمن آمن بالله واليوم الآخر[١].

وعن جابر بن يزيد الجعفي، عن الإمام العالم موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام قال: «إن الله تبارك وتعالى خلق نور محمد من نور اخترعه من نور عظمته[٢] وجلاله وهو نور لاهوتيته الذي تبدّى من لاه، أي من إلهيته من إنيّته الذي تبدأ منه) وتجلّى لموسى عليه السلام في طور سيناء، فما استقر له ولا أطاق موسى لرؤيته، ولا ثبت له حتى خر صعقاً مغشيا عليه، وكان ذلك النور نور محمد ﷺ فلما أراد أن يخلق محمداً منه قسم ذلك النور شطرين: فخلق من الشطر الأول محمداً، ومن الشطر الآخر علي بن أبي طالب، ولم يخلق من ذلك النور غيرهما، خلقهما الله بيده ونفخ فيهما بنفسه لنفسه، وصوّرهما على صورتهما وجعلهما أمناء له، وشهداء على خلقه، وخلفاء على خليقته، وعيناً له عليهم، ولساناً له إليهم، قد استودع فيهما علمه، وعلمهما البيان، واستطلعهما على غيبه، وجعل أحدهما نفسه والآخر روحه ولا يقوم أحدهما بغير صاحبه، ظاهرهما بشرية، وباطنهما لاهوتية، ظهروا للخلق على هياكل الناسوتية، حتى يطيقوا رؤيتهما، وهو قوله تعالى: ﴿وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾ فهما مقام رب العالمين، وحجاباً لخالق الخلائق اجمعين، بهما فتح بدء الخلائق؛ وبهما يختم الملك والمقادير. ثم اقتبس من نور محمد فاطمة ابنته، كما اقتبس نوره من نوره، واقتبس من نور فاطمة وعلي الحسن والحسين كاقتباس المصابيح هم خلقوا من الأنوار، وانتقلوا من ظهر الى ظهر، ومن صلب إلى صلب، ومن رحم إلى رحم في الطبقة العليا من غير نجاسة، بل نقلاً بعد نقل، لا إنه ماء مهين، ولا نطفة خشرة كسائر خلقه، بل أنوار انتقلوا من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات، لأنهم صفوة الصفوة، اصطفاهم لنفسه، وجعلهم خزّان علمه، وبُلغاء عنه إلى خلقه، أقامهم مقام نفسه، لأنه لا يرى ولا يدرك ولا تعرف كيفية إنيته، فهؤلاء الناطقون المبلغون عنه، المتصرفون في أمره ونهيه، فيهم يظهر قوته، ومنهم ترى آياته ومعجزاته، وبهم ومنهم عرف عباده نفسه، وبهم يطاع أمره، ولولاهم ما عُرف الله، ولا يدرى كيف يعبد الرَّحْمن، فالله يجري أمره كيف يشاء، فيما يشاء، لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون»[٣].

وعن أنس قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله عزّ وجلّ آدم نظر إلى سرادق العرش فرأى مكتوباً لا إله إلّا الله محمد رسول الله وأسماء أربعة فقال آدم عليه السلام: يا إلهي خلقت خلقاً من إنس قبلي؟ فقال: لا، فقال: وما هذه الأسماء التي أراها؟ فقال: يا آدم هؤلاء خيرتي من خلقي، وصفوتي، يا آدم لولا هؤلاء [ما خلقتك ولولا هؤلاء] ما خلقت الجنّة ولا النار، إياك أن تنظر إليهم

---

(١) بحار الأنوار ١٦/٢٥. باختلاف في اللفظ.

(٢) في البحار: خلق نور محمد من اختراعه، من نور عظمته.

(٣) بحار الأنوار ٢٨/٣٥. مع اختلاف في السند والمتن.

بعين الحسد يا آدم، فلما أكل آدم عليه السلام من الشجرة وأخرج من الجنة ونال الخطيئة وأراد التوبة قال في توبته وتضرعه إلى ربه: إلهي بحق الخمسة الذين على سرادق العرش إلا غفرت لي فأوحى الله تعالى إليه: يا آدم قد غفرت لك فكان ذلك في سابق علمي فيك يا آدم، فقال آدم: إلهي بحق هؤلاء الخمسة وبحق المغفرة إلا عرفتني من هؤلاء؟ قال تعالى يا آدم هؤلاء الخمسة من ولدك شققت لهم خمسة أسماء من أسمائي العظام، فأنا المحمود وهذا أحمد، وأنا العالي وهذا علي، وأنا الفاطر وهذه فاطمة، وأنا المحسن وهذا الحسن، وأنا الإحسان وهذا حسين»[١].

وعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «لما خلق الله تعالى آدم أبو البشر، ونفخ فيه من روحه، إلتفت آدم يمنة العرش فإذا في النور خمسة أشباح سجّداً وركّعاً قال آدم: يا رب هل خلقت أحداً من طين قبلي؟ قال: لا يا آدم، قال: فمن هؤلاء الخمسة الذين أراهم في هيئتي وصورتي؟ قال: هؤلاء خمسة من ولدك، لولاهم ما خلقتك، هؤلاء خمسة شققت لهم خمسة أسماء من أسمائي، لولاهم ما خلقت الجنة، ولا النار، ولا العرش، ولا الكرسي، ولا السماء ولا الأرض، ولا الملائكة، ولا الانس، ولا الجن، فأنا المحمود وهذا محمد، وأنا العالي وهذا عليّ، وأنا الفاطر وهذه فاطمة، وأنا الإحسان وهذا الحسن، وأنا المحسن وهذا الحسين، آليت بعزتي أنه لا يأتني أحد بمثقال حبة من خردل من بغض أحدهم إلا أدخلته ناري ولا أبالي، يا آدم هؤلاء صفوتي بهم أنجيهم[٢] وبهم أهلكهم، فإذا كان لك إلي حاجة فبهؤلاء توسل. فقال النبي صلى الله عليه وآله: نحن سفينة النجاة من تعلق بها نجى ومن حاد عنها هلك، فمن كان له إلى الله حاجة فليسأل بنا أهل البيت»[٣].

وعن سلامة عن أبي سلمى راعي إبل رسول الله صلى الله عليه وآله قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «ليلة أسري بي إلى السماء قال لي الجليل جلّ جلاله ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه﴾ قلت: والمؤمنون، قال صدقت يا محمد، قال: مَن خلّفت في أمتك؟ قلت: خيرها، قال: عليّ بن أبي طالب؟ قلت: نعم يا رب قال: يا محمد إني اطلعت إلى الأرض اطّلاعة فاخترتك منها وشققت لك اسماً من أسمائي، فلا أذكر في موضع إلّا ذكرت معي، فأنا المحمود وأنت محمد، ثم اطّلعت الثانية فاخترت منها علياً وشققت له إسماً من أسمائي فأنا الأعلى وهو عليّ، يا محمد إني خلقتك وخلقت علياً وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ولده من شبح نوري، وعرضت ولايتكم على أهل السموات وأهل الأرض فمن قبلها كان عندي من المؤمنين ومن جحدها كان عندي من الكافرين.

يا محمد لو أنّ عبداً من عبيدي عبدني حتى ينقطع أو يصير كالشن البالي، ثم أتاني جاحداً

---

(١) كتاب الأربعين: ٣٩٦، والغدير: ٢/ ٣٠٠.

(٢) في الفرائد: (هؤلاء صفوتي من خلقي بهم أنجيهم).

(٣) فرائد السمطين ١: ٣٦/ ح ١.

لولايتكم ماغفرت له حتى يقرّ بولايتكم، يا محمد تحبّ أن تراهم؟ قلت: نعم يا رب، فقال لي: التفتْ عن يمين العرش، فالتفتُّ فإذا بعلي وفاطمة والحسن والحسين وعليّ بن الحسين ومحمد بن عليّ وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعليّ بن موسى ومحمد بن عليّ وعليّ بن محمد والحسن بن عليّ والمهدي، في ضحضاح من نور قياماً يصلون وهو في وسطهم ـ يعني المهدي ـ كأنّه كوكب درّي وقال: يا محمد هؤلاء الحجج وهو الثائر من عترتك، وعزّتي وجلالي إنّه الحجّة الواجبة لأوليائي والمنتقم من أعدائي»[١].

توسل آدم بالحسن عليه السلام

ابن بابويه قال: حدّثني محمد بن موسى بن المتوكل قال: حدّثني يحيى بن أحمد عن العباس بن معروف عن بكر بن محمد قال: حدّثني أبو سعيد المدايني يرفعه في قول الله عز وجل ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات﴾[٢] قال: سأله بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين.[٣]

العياشي في تفسيره بإسناده عن عبد الرحمن بن كثير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى عرض على آدم في الميثاق ذريّته، فمرّ به النبيّ صلى الله عليه وآله وهو متكئ على علي عليه السلام، وفاطمة عليها السلام تتلوهما، والحسن والحسين عليهما السلام يتلوان فاطمة، فقال الله: يا آدم إياك أن تنظر إليهم بحسد أهبطك من جواري.

فلمّا أسكنه الله الجنّة مثل له النبي صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم، فنظر إليهم بحسد، ثم عُرضت عليه الولاية فأنكرها فرمته الجنة بأوراقها، فلمّا تاب إلى الله من حسده وأقرّ بالولاية ودعا بحق الخمسة محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم غفر الله له، وذلك قوله ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات﴾[٤] الآية[٥].

كرامات ومعاجز الحسن عليه السلام

في الأمالي عن الصادق عليه السلام قال: مرض النبيّ صلى الله عليه وآله المرضة التي عوفي منها فعادته فاطمة ومعها الحسن والحسين عليهما السلام فقعد الحسن عليه السلام على جانبه الأيمن والحسين عليه السلام على جانبه الأيسر، فأقبلا يغمزان بدن رسول الله صلى الله عليه وآله، فما أفاق من نومه فقالت: إرجعا حتّى يفيق وترجعان إليه فلم

(١) فرائد السمطين ٢/ ٣٢٠ ح ٧٥١.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٧.
(٣) معاني الأخبار ١٢٥/١.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٣٧.
(٥) تفسير العياشي ١/ ٤١ ح ٢٧.

يقبلا فاضطجع الحسن على عضده الأيمن والحسين على عضد النبيّ ﷺ الأيسر فانتبها قبل أن ينتبه النبيّ ﷺ وقد كانت فاطمة لمّا ناما إنصرفت إلى منزلها فقالا لعائشة: ما فعلت أمّنا؟

قالت: رجعت إلى منزلها، فقاما وخرجا في ليلة ظلماء ذات رعد وبرق فسطع لهما نور فمشيا حتّى أتيا حديقة بني النجّار فبقيا لا يعلمان أين يأخذان.

فقال الحسن: نام حتّى نصبح فاضطجعا متعانقين فانتبه النبيّ ﷺ من النوم فطلبهما في منزل فاطمة وافتقدهما فقال: إلهي وسيّدي هذان شبلاي خرجا من المجاعة، اللّهم أنت وكيلي عليهما، فسطع له نور ومشى في ذلك النور إلى حديقة بني النجّار فإذا هما نائمان متعانقان وقد تقشّعت السماء فوقهما كطبق وهي تمطر ولم تمطر عليهما، وقد اكتنفتهما حية لها شعرات كأجام القصب وجناحان، جناح غطّت به الحسن وجناح غطّت به الحسين عليه السلام، فلمّا أن بصر بهما النبيّ ﷺ تنحنح فانسابت الحيّة وهي تقول: اللّهم إنّي أشهدك إنّي قد حفظت شبلي نبيّك ودفعتهما إليه سالمين فقال لها: أيّتها الحيّة مَنْ أنتِ؟

قالت: أنا رسول الجنّ إليك نسينا آية من كتاب الله فبعثوني إليك لتعلّمنا ما نسينا، فلمّا بلغت هذا الموضع سمعت منادياً ينادي: أيّتها الحيّة هذان شبلا رسول الله فاحفظيهما فأخذت الآية وانصرفت، فوضع الحسن على عاتقه الأيمن والحسين على الأيسر.

فقال أبو بكر: إدفع إليّ بأحد شبليك أخفّف عنك فقال: إمض فقد سمع الله كلامك وعرف مقامك.

وقال لعمر مثل ما قال لأبي بكر، فتلقّاه عليّ عليه السلام فقال: ادفع إليّ أحد شبليك أخفّف عنك فقال للحسن: هل تمض إلى كتف أبيك؟

فقال: يا جدّاه إنّ كتفك لأحبّ إليّ من كتف أبي، وقال له الحسين مثل قول أخيه فأقبل إلى منزل فاطمة وقد ادّخرت لهما تميرات فأكلا وشبعا وفرحا . فقال لهما النبيّ ﷺ: قوما الآن فاصطرعا فقال النبيّ ﷺ: يا حسن شدّ على الحسين فاصرعه.

فقالت فاطمة: يا أبه واعجباه أتشجّع الكبير على الصغير، فقال: يا بنيّة هذا جبرئيل يقول: يا حسين شدّ على الحسن فاصرعه[1].

وفي كتاب البصائر عن الصادق عليه السلام قال: خرج الحسن عليه السلام في بعض عمره ومعه رجل من ولد الزبير كان يقول بإمامته فنزلوا تحت نخل يابس فقال الزبيري: لو كان في هذا النخل رطب لأكلنا منه فرفع الحسن عليه السلام يده إلى السماء ودعى الله سبحانه بكلام لم يفهمه الزبيري، فاخضرّت النخلة ثمّ عادت إلى حالها فأورقت وحملت رطباً فقال الجمّال: سحر والله، فقال الحسن: ويلك

---

(١) البحار: ١٠٧/٣٩.

ليس بسحر ولكن دعوة ابن النبيّ مجابة فصعدوا النخلة وصرموا ممّا كان فيها(١).

وفي الخرائج عن الصادق ﷺ: إنّ الحسن ﷺ خرج من مكّة ماشياً إلى المدينة فتورّمت قدماه فقيل له: لو ركبت ليسكن عنك هذا الورم فقال: كلّا، ولكنّا إذا أتينا المنزل فإنّه يستقبلنا أسود معه دهن يصلح لهذا الورم فاشتروا منه، وساروا أميالاً، فإذا الأسود معه الدّهن فأرادوا أن يشتروه فقال: يابن رسول الله أنا عبدك لا آخذ له ثمناً ولكن ادع الله أن يرزقني ولداً سويّاً ذكراً يحبّكم أهل البيت فإنّي خلّفت امرأتي تمخض، فقال: انطلق إلى منزلك فإنّ الله تعالى قد وهبَ لك ذكراً سويّاً، فرجع فإذا امرأته قد ولدت غلاماً، فمسح ﷺ رجليه بذلك الدهن فزال الورم من ساعته(٢).

ومن كتاب مولد النبيّ ﷺ تأليف الشيخ المفيد رحمه الله بإسناده إلى الباقر ﷺ قال: جاء الناس إلى الحسن بن عليّ ﷺ فقالوا: أرنا من عجائب أبيك التي كان يرينا، فقال: وتؤمنون بذلك؟

قالوا: نعم.

قال: أوليس تعرفون أبي؟

قالوا: بل نعرفه، فرفع لهم جانب الستر فإذا أمير المؤمنين ﷺ قاعد قالوا: هذا أمير المؤمنين ونشهد أنّك الإمام من بعده ولقد أريتنا أمير المؤمنين بعد موته كما أرى أبوك أبا بكر رسول الله في مسجد قبا بعد موته، فقال الحسن: ويحكم أما سمعتم قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ فإن كان هذا نزل فيمن قتل في سبيل الله ما تقولون فينا؟

قالوا: آمنّا وصدّقنا يابن رسول الله(٣).

وعن أبي هريرة، قال: كنا مع رسول الله ﷺ في صلاة العشاء فكان إذا سجد ركب الحسن والحسين على ظهره، فإذا رفع رأسه رفعاً رفيقاً، ثم إذا سجد عادا، فإذا قضى صلاته أقعدهما في حجره.

فقال أبو هريرة: فقمت إليه فقلت: يارسول الله ألا أذهب بهما إلى أمّهما؟ قال: فبرقت برقة فلم يزالا في ضوئها حتى دخلا على أمهما(٤).

وعن ابن شداد قال: خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدى صلاتي العشاء [أو] الظهر أو العصر وهو حامل حسناً أو حسيناً فتقدم النبي ﷺ فوضعه، ثم كبّر في الصّلاة فسجد بين ظهري صلاته

(١) البحار: ٤٣/ ٣٢٣ ح ١، والكافي: ١/ ٤٦٢.
(٢) دلائل الإمامة: ١٧٣، والثاقب في المناقب: ٣١٥ ح ٢، والخرائج والجرائح: ١/ ٢٣٩.
(٣) البحار: ٤٣/ ٣٢٩ ح ٨.
(٤) مجمع الزوائد: ٩/ ١٨١ وقال رجاله ثقات، وسنن الترمذي: ١٣/ ١٩٤.

سجدة أطالها فقال أبي: فرفعت رأسي فإذا الصّبي على ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجد، فرجعت في سُجودي فلما قضى رسول الله ﷺ الصّلاة قال الناسُ: يارسول الله إنك سجدت بين ظهري صلاتك سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمرٌ، وأنه يُوحى إليك. قال: «كل ذلك لم يكن ولكن، إن ابني ارتحلني، فكرهتُ أن أعجله حتى يقضي حاجته». وهذا لفظ حديث يزيد بن هارون[١].

عن جابر قال: دخلت على رسول الله ﷺ والحسن والحسين على ظهره وهو يمشي بهما على أربع وهو يقُول: «نعم الجمل جملكما، ونعم العدلان أنتما»[٢].

عن جابر، قال: دخلت على النبي ﷺ وهو يمشي على أربع وعلى ظهره الحسن والحسين عليهما السلام وهو يقول: «نعم الحمل حملكما ونعم العدلان أنتما».

عن أبي هريرة، قال: نظر رسول الله ﷺ ـ وفي حديث ابن الحُصين: النبي ﷺ إلى عليّ والحسن والحُسَين وفاطمة فقال: «أنا حربٌ لمن حاربكم، سلمٌ لمن سالمكم»[٣].

عن المقدام بن معدي كرب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقُول: «الحسَن مني والحُسَين من علي»[٤].

وعن البرّاء بن عازب، قال: قال النبي ﷺ للحسن أو الحسين: «هذا مني وأنا منه، وهو يحرمُ عليه ما يحرم عليّ»[٥].

وعن إسحاق بن أبي حبيبة مولى رسول الله ﷺ، عن أبي هريرة: أنّ مروان بن الحكم أتى أبا هُريرة في مرضه الذي مات فيه فقال مروان لأبي هُريرة: ما وجدت عليك في شيء منذ اصطحبنا إلّا في حبك الحسن والحُسين قال: فتحفّز أبو هريرة فجلس فقال: أشهد لقد خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا ببعض الطريق، سمع رسول الله ﷺ صوت الحسن والحسين عليهما السلام وهما يبكيان ـ وهما مع أمّهما ـ فأسرع السّير حتى أتاهما فسمعته يقول: «ما شأن ابنيّ؟»

فقالت: العطش. قال: فأخلف رسول الله ﷺ إلى شنّة[٦] يتوضّأ بها فيها ماء، وكان الماء يومئذ أغداراً والنّاس يُريدون الماء فنادى: «هل أحد منكم معه ماء»؟ فلم يبق أحد إلّا أخلف يده إلى كلاله يبتغي الماء في شنّه فلم يجد أحدهم قطرة فقال رسول الله ﷺ «ناوليني أحدهما» فناولته إيّاه من تحت الخدر، فرأيت بياض ذراعيهما حين ناولته فأخذه فضمه إلى صدره وهو يصغو ما يسكت

---

(١) المستدرك: ٣/ ١٦٥.
(٢) ذخائر العقبى: ١٣٢.
(٣) مسند الإمام أحمد ٢: ٤٤٢.
(٤) المعجم الكبير: ٢٠/ ٢٦٩ والفردوس: ٢/ ١٥٨ ح٢٨٠٣.
(٥) تاريخ بغداد: ٣/ ٣٥٧.
(٦) الشنة بهاء القربة الخلق الصغير ج شنان (القاموس).

فأدلع له لسانه فجعل يمصّه حتى هدأ وسكن فلم أسمع له بكاء، والآخر يبكي كما هو ما يسكت فقال: «ناوليني الآخر» فناولته إيّاه ففعل به كذلك، فسكت فلم أسمع لهما صوتاً، ثم قال: «سيرُوا» فصدعنا يميناً وشمالاً عن الظعائن حتى لقيناه على قارعة الطريق، فأنا لا أحبّ هذين؟ وقد رأيت هذا من رسول الله ﷺ؟[١].

أبو سعيد الخُدري، أن رسول الله ﷺ دخل على ابنته فاطمة وابناها إلى جانبها وعلي نائم، فاستسقى الحسن فأتى [رسول الله ﷺ] ناقةً لهُم تحلب فحلب منها، ثم جاء به فنازعه الحُسين أن يشرب قبله حتى بكى فقال: «يشرب أخوك ثم تشرب».

فقالت فاطمة: كأنه آثر عندك منه؟

قال: «ما هو بآثر عندي منه، وإنهما عندي بمنزلة واحدة، وإنّك وهُما وهذا المضطجع معي في مكان واحد يوم القيامة»[٢].

عن ابن مسعُود: أنه كان مع رسول الله ﷺ إذ مرّ الحسن والحسين وهما صبيان، فقال النبي ﷺ: «هاتوا ابنيّ أعوّذهما بما عوّذ به إبراهيم ابنيه إسماعيل وإسحاق».

فضمّهما إلى صدره وقال: «أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامّة، ومن كل عين لامّة»[٣] [٤].

عن ابن عمر، قال: كان على الحسن والحسين تعويذان فيهما زغب من زغب جناح جبريل عليه السلام[٥].

وعن أنس بن مالك قال رسول الله ﷺ: «لا يقومنّ أحد من مجلسه إلّا للحسن أو الحسين أو ذرّيتهما»[٦].

وعن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا وفاطمة والحسن والحسين مُجتمعون: هذه فاطمة وهذان الحسن والحُسَين ومن أحَبّهما يوم القيامة في الجنة يأكل ويشرب حتى يفرّق بين العباد»[٧].

وعن أبي فاختة قال: كان النبي ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين في بيت، فاستسقى

---

(١) المعجم الكبير: ٣/ ٤٣. (٢) البحار: ٣٧/ ٧٢ ح ٣٩.
(٣) الهامّة: من طير الليل وهو الصدى. واللامّة: العين المصيبة بسوء.
(٤) المعجم الوسيط: ٥/ ٣٩٩.
(٥) الذرية الطاهرة: ح١٤٥ وميزان الإعتدال: ١/ ٣٧ رقم ١٠٧ ترجمة إبراهيم بن سليمان وقد وثقه ابن حبان.
(٦) ترجمة الإمام الحسن عليه السلام: ١١٦ ح ١٨٨.
(٧) ترجمة الإمام الحسن عليه السلام: ١١٧ ح ١٨٨.

الحسن فقام رسول الله ﷺ في جوف الليل فسقاه، فسأله الحسين فأبى أن يسقيه فقيل: يارسول الله كأن حسناً أحبّ إليك من حُسين؟ قال: «لا ولكنه استسقاني قبله» ثم قال النبي ﷺ: «يافاطمة أنا وأنت وهذين وهذا الراقد ـ لعلي ـ في مقام واحد يوم القيامة»[١].

وعن عُقبة بن عامر، قال: قال رسول الله ﷺ: «لما استقرّ أهل الجنّة في الجنة، قالت الجنة: يا ربّ أليس وعدتني أن تزيّني بركنين من أركانك؟ قال: ألم أزينك بالحسن والحسين؟ قال: فماست الجنّة ميسا؟ كما تميسُ العروس»[٢].

وعن حُذيفة بن اليمان أن النبي ﷺ قال: «ألا إنّ الحسَن بن علي قد أُعطي الفضل مالم يُعط أحدٌ من ولد آدم ما خلا يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليلُ الله»[٣].

وعن ابن عباس قال: صلى رسول الله ﷺ صلاة العصر فلما كان في الرابعة أقبل الحسن والحُسين عليهما السلام حتى ركبا على ظهر رسول الله ﷺ فلمّا سلّم وضعهما بين يديه، وأقبل الحسن فحمله رسول الله ﷺ على عاتقه الأيمن والحُسين على عاتقه الأيسر، ثم قال: «أيها الناس ألاّ أخبركم بخير الناس جدّاً وجدّة ألا أخبركم بخير الناس عمّاً وعمّة؟

ألَا أخبركم بخير الناس خالاً وخالة؟ ألا أخبرُكم بخير الناس أباً وأماً؟ الحسن والحسين جدهما رسول الله ﷺ وجدّتهما خديجة بنت خويلد، وأمّهما فاطمة بنت رسول الله ﷺ وأبُوهما علي بن أبي طالب وعمّهما جعفر بن أبي طالب، وعمّتهما أمّ هاني بنت أبي طالب، وخالهما القاسمُ بن رسول الله ﷺ وخالاتهم زينب ورُقية وأمّ كلثوم بنات رسول الله ﷺ، جدّهما في الجنّة، وأبُوهُما في الجنة، وأمّهما في الجنّة، وعمّهما في الجنة، وعمّتهما في الجنّة، وخالاتاهُما في الجنة، وهُما في الجنّة ومن أحبّهما في الجنّة»[٤].

قال عمر بن الخطاب: قال رسول الله ﷺ: «إنّ فاطمة وعلياً والحسن والحسين في حظيرة القدس في قبّة بيضاء سقفها عرش الرّحمن»[٥].

وعن إبراهيم بن علي الرفعي، عن أبيه، عن جدته زينب بنت أبي رافع قالت: رأيت فاطمة بنت رسول الله ﷺ أتت بإبنيها إلى رسول الله ﷺ في شكواه الذي توفي فيه فقالت: يا رسول الله هذان ابناك فورّثهما فقال: «أمّا الحسن فإنّ له هيبتي وسُؤددي، وأمّا الحُسَين فإن له جُرأتي وجُودي»[٦].

(١) كنز العمال: ١٣/ ٦٣٩ ح٣٧٦١٢ والمستدرك: ٣/ ١٣٧.
(٢) الفردوس: ٢/ ٣١٢ ح٣٤١٠ عن حذيفة.
(٣) الفردوس: ٢/ ١٥٩ ح٢٨٠٦ وتاريخ أصبهان: ٢/ ٢١٢.
(٤) مناقب ابن المغازلي: ١٤٩ ح١٨٨ والمعجم الأوسط: ٧/ ٢٣٧.
(٥) البحار: ٤٣/ ٧٦.
(٦) المعجم الكبير: ٢٢/ ٤٢٣، وكنز العمال: ١٢/ ١١٣ ح٣٤٢٥٠.

وعن مُدرك أبو زياد قال: كنا في حيطان ابن عباس فجاء ابن عباس والحسن والحسين فطافوا في البستان فنظرُوا ثم جاؤوا الى ساقية فجلسوا على شاطئها فقال لي الحسن: يا مُدرك أعندك غداء؟

قلت: قد خبزنا.

قال: ائت به. قال: فجئته بخبز وشيء من ملح جريش وطاقتي بقل فأكل ثم قال: يا مُدرك، ما أطيب هذا؟ ثم أتي بغدائه ـ وكان كثير الطعام طيّبه ـ فقال: يامُدرك اجمع لي غلمان البستان قال: فقدّم إليهم فأكلوا ولم يأكل فقلت: ألا تأكل؟ فقال: ذاك أشهى عندي من هذا، ثم قامُوا فتوضأوا ثم قدّمت دابّة الحسن فأمسك له ابن عباس بالركاب وسوّى عليه، ثم جيء بدابّة الحسين فأمسك له ابن عباس بالركاب وسوّى عليه، فلما مضيا قلت: أنت أكبر منهما تمسك لهُما وتسوّي عليهما؟

فقال: يا لُكع أتدري من هذان؟ هذان إبنا رسول الله ﷺ أوليس هذا مما أنعم الله عليّ به أن أمسك لهما وأسوّي عليهما؟[١]

وعن أبي سعيد قال: رأيت الحسن والحسين صلّيا مع الإمام العصر، ثم أتيا الحجر فاستلماه ثم طافا سبعاً وصليا ركعتين، فقال الناس: هذان إبنا بنت رسول الله ﷺ، قال: فحطمهما الناس حتى لم يستطيعا أن يمضيا ومعهما رجُل من الركانات وأخذ الحسن بيد الركاني وردّ الناس عن الحسين ـ وكان يجله وما رأيتهما مرّا بالركن الذي يلي الحجر من جانب الحجر إلّا استلماهُ قال: قلت لأبي سعيد: فلعله بقي عليهما بقية من سُبُوع قطعته الصلاة؟

قال: لا بل طافا أسبُوعاً تاماً[٢].

وعن عبد الرزاق، قال: قال لي عبد الله بن مُصعب: كان رجُل عندنا قد انقطع في العبادة، فإذا ذكر عبد الله بن الزبير بكى، وإذا ذكر علياً نال منه، قال: فقلت: ثكلتك أمّك لروحة من علي أو غدوة [منه] في سبيل الله خير من عُمر عبد الله بن الزبير حتى مات. لقد أخبرني أبي أن عبد الله بن عروة أخبره قال: رأيت عبد الله بن الزبير قعد إلى الحسن بن علي عليه السلام في غداة من الشتاء باردة قال: فو الله ما قام حتى تفسّخ جبينه عرقاً فغاظني ذلك، فقمت إليه فقلت: يا عم! قال: ما تشاء؟

قال: قلت: رأيتك قعدت إلى الحسن بن علي عليه السلام فأقمت حتى تفسّخ جبينك عرقاً قال: يابن أخي إنه ابن فاطمة، لا والله ما قامت النساء عن مثله[٣].

وعن أبي عثمان، قال: سمعت أبا الحسن المدائني يقول: قال مُعاوية ـ وعنده عمرو بن

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ٣/١٦٨، وترجمة الإمام الحسين عليه السلام: ٢١١.

(٢) تاريخ مدينة دمشق: ١٣/٢٣٩.

(٣) تاريخ مدينة دمشق: ١٣/٢٤٠، وترجمة الإمام الحسن عليه السلام: ١٣٧ ح ٢٢٨.

العاص وجماعة من الأشراف ـ من أكرم الناس أباً وأماً وجداً وجدّة وخالاً وخالة وعماً وعمّة؟ فقام النعمان بن العجلان الزُرَقي فأخذ بيد الحسن فقال: هذا أبوه علي وأمه [فاطمة] وجده رسول الله ﷺ، وجدته خديجة، وعمّه جعفر، وعمته أمّ هاني بنت أبي طالب، وخاله القاسم، وخالته زينب. فقال عمرو بن العاص: أحبّ من بني[١] هاشم دعاك إلى ما عملت؟ قال ابن العجلان، يابن العاصي[٢] أما علمت أنّ من التمس رضى مخلوق بسخط الخالق حرّمه الله أمنيته وختم له بالشقاء في آخر عمره؟ بنو هاشم أنضر قريش عوداً وأقعدها سلماً[٣] وأفضل أحلاماً[٤].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: خرج الحسن بن عليّ عليه السلام في بعض عُمرة ومعه رجلٌ من ولد الزبير، كان يقول بإمامته، فنزلوا في منهل[٥] من تلك المناهل تحت نخل يابس، قد يبس من العطش، ففرش للحسن عليه السلام تحت نخلة وفرش للزبيري بحذاه تحت نخلة أُخرى، قال: فقال الزبيري ورفع رأسه: لو كان في هذا النخل رطب لأكلنا منه، فقال له الحسن: وإنّك لتشتهي الرُّطب؟ فقال الزبيري: نعم، قال: فرفع يده إلى السّماء فدعا بكلام لم أفهمه، فاخضرّت النخلة ثمّ صارت إلى حالها فأورقت وحملت رطباً، فقال الجمّال الّذي اكتروا منه: سحرٌ والله، قال: فقال الحسن عليه السلام: ويلك ليس بسحر ولكن دعوة ابن نبيّ مستجابة، قال: فصعدوا إلى النخلة فصرموا ما كان فيه فكفاهم.

قال المازندراني في شرح الحديث: ينبغي أن يعلم أنّ الأمر الخارق للعادة من حيث إنه دال على صدق من أتى به وحقيقته يسمى آية وعلامة وبيّنة، ومن حيث إنه دال على أنّ صاحبه مكرم من عند الله تعالى يسمى كرامة ومن حيث إنه دال على تصديقه تعالى إياه يسمى معجزة، ومن ثم قال ابن التلمساني شرط المعجزة أن يكون إخبار النبي بأنه نبي للتحدّي بها، والفرق بينهما وبين الآية أنّ المعجزة ما وقع التحدي بها فإن كان المدعي نبياً دلت على صدق نبوته وإن كان ولياً دلت على صدق ولايته[٦].

---

(١) في الجليس الصالح: فحبّ بني هاشم.
(٢) في الجليس: يابن العاص.
(٣) في الجليس الصالح: سلفاً.
(٤) المحاسن والمساوىء للبيهقي: ٨٢، والجليس الصالح الكافي ٣/ ١٥.
(٥) قال الجوهري: المنهل المورد، وهو عين ماء ترده الإبل في المراعي وتسمى المنازل التي في المفاوز على طرق السفار مناهل لأنّ فيها ماء.
(٦) شرح أصول الكافي للمازندراني: ٧/ ٢٢٧.

الآيات النازلة في الحسن عليه السلام

إضافة لما تقدم في تاريخ علي وفاطمة والحسين:

روى ابن شهر اشوب من طريق الخاصة والعامة روى ذلك عن ابن عباس وابن مسعود وجابر والبراء وأنس وأمّ سلمة والسدي وابن سيرين والباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً﴾ قال: «هو محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وفي رواية «البشر الرسول والنسب فاطمة والصهر علي»[١].

ونقل المالكي في (الفصول المهمة) عن محمد بن سيرين في قوله تعالى: ﴿وهو الذي خلق من الماء بشراً﴾ الآية، أنها نزلت في النبي وعلي بن أبي طالب عليه السلام ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وزوج ابنته فاطمة فكان نسباً وصهراً[٢].

وعن عبد الرَّحمن بن أبي ليلى قال: قال أبي: دفع النبي صلى الله عليه وآله الراية يوم خيبر إلى علي بن أبي طالب عليه السلام ففتح الله تعالى على يده وأوقفه يوم غدير خم فأعلم الناس أنه مولى كل مؤمن ومؤمنة وقال له: «أنت منّي وأنا منك» وقال له: «تقاتل على التأويل كما قاتلت على التنزيل» وقال له: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» وقال له: «أنا سلم لمن سالمك وحرب لمن حاربك» وقال له: «أنت العروة الوثقى» وقال له: «أنت تبيّن لهم ما اشتبه عليهم من بعدي» وقال له: «أنت إمام كل مؤمن ومؤمنة وولي كل مؤمن ومؤمنة بعدي» وقال له: «أنت الذي أنزل الله فيه ﴿واذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الاكبر أنّ الله بريء من المشركين ورسوله﴾[٣].

وقال له: «أنت الآخذ بسنّتي والذاب عن ملّتي» وقال له: «أنا أول من تنشق الأرض عنه وأنت معي» وقال له: «أنا عند الحوض وأنت معي» وقال له: «أنا أول من يدخل الجنّة وأنت معي تدخلها والحسن والحسين وفاطمة» وقال له: «إن الله تعالى أوحى إلي بأن أقوم بفضلك فقمت به في الناس وبلّغتهم ما أمرني الله تعالى بتبليغه» وقال له: «إتق الضغائن التي لك في صدور من لا يظهرها إلّا بعد موتي أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون» ثم بكى صلى الله عليه وآله فقيل له: مم بكاؤك يا رسول الله؟

قال: «أخبرني جبرئيل عليه السلام أنهم يظلمونه ويمنعونه حقه ويقاتلونه ويقتلون ولده ويظلمونهم بعده، وأخبرني جبرائيل عليه السلام عن الله عزّ وجلّ أن ذلك الظلم يزول إذا قام قائمهم وعلت كلمتهم واجتمعت الأمة على محبتهم وكان الشانيء لهم قليلاً والكاره لهم ذليلاً وكثر المادح لهم، وذلك حين تغيّر البلاد وضعف العباد واليأس من الفرج فعند ذلك يظهر القائم فيهم».

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ٢/ ٢٩.

(٢) الفصول المهمة: ٢٨، والعمدة عن الثعلبي: ٢٨٨ ح ٤٦٩.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٣.

قال النبي ﷺ «اسمه كاسمي، هو من ولد ابنتي فاطمة يظهر الله الحق بهم ويخمد الباطل بأسيافهم وتتبعهم الناس [بين][1] راغب إليهم وخائف [منهم]»[2].

قال: وسكن البكاء عن رسول الله ﷺ ثم قال: «معاشر المسلمين إبشروا بالفرج فإن وعد الله لا يخلف، وقضاءه لا يردّ وهو الحكيم الخبير، وإن فتح الله قريب اللهم إنهم أهلي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، اللهم اكلأهم وارعهم وكن لهم وانصرهم وأعزهم ولا تذلهم واخلفني فيهم إنك على ما تشاء قدير»[3].

وعن بشر بن حبيب عن أبي عبد الله عليه السلام إنه سُئل عن قول الله عز وجل ﴿وبينهما حجاب﴾ قال: «سور بين الجنّة والنار عليه قائم آل محمد ﷺ وعلي والحسن والحسين وفاطمة وخديجة الكبرى فينادون أين محبونا أين شيعتنا؟ فيقبلون إليهم فيعرفونهم بأسمائهم وأسماء أبائهم وذلك قوله عز وجل: ﴿يعرفون كلا بسيماهم﴾ أي بأسمائهم فى أخذون بأيديهم فيجوزون بهم على الصراط ويدخلونهم الجنة»[4].

ونقل الشيخ الطوسي في (مصابيح الأنوار) عن أنس بن مالك قال: صلى بنا رسول الله ﷺ في بعض الأيام صلاة الفجر، ثم أقبل علينا بوجهه الكريم فقلت: يارسول الله ان رأيت أن تفسر لنا قول الله عزّ وجلّ ﴿اولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا﴾[5] فقال ﷺ: «أمّا النبيون فأنا، وأما الصديقون فأخي علي بن أبي طالب، وأما الشهداء فعمي حمزة، وأما الصالحون فابنتي فاطمة وولداها الحسن والحسين».

قال: وكان العباس حاضراً فوثب وجلس بين يدي رسول الله ﷺ وقال: ألسنا أنا وأنت وعلي وفاطمة والحسن والحسين من نبعة واحدة؟ قال: «وكيف ذلك ياعم»؟. قال العباس: لأنك تعرّف بعلي وفاطمة والحسن والحسين دوننا فتبسم النبي وقال: «أما قولك يا عم ألسنا نبعة واحدة فصدقت ولكن يا عم، إن الله خلقني وعلياً وفاطمة والحسن والحسين قبل أن يخلق الله آدم حيث لا سماء مبنية ولا أرض مدحية ولا ظلمة ولا نور، ولا جنة ولا نار، ولا شمس ولا قمر»[6].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيْدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه[7]، قال: قال رسول الله ﷺ وسلم: «نزلت هذه الآية

---

(١) زيادة من أمالي الطوسي: ٣٥٢ ح ٧٢٦.
(٢) وفي بعض المصادر: لهم.
(٣) المناقب: ٦١/ ح ٣١.
(٤) البحار: ٢٤/٢٥٥ ح ١٩.
(٥) سورة النساء، الآية: ٦٨.
(٦) بحار الأنوار ٢٥/١٦. باختلاف في اللفظ.
(٧) وحديث أبي سعيد صححه الحاكم والذهبي كما في المستدرك وتلخيصه: ٣/١٤٦ كتاب المعرفة مناقب أهل البيت.

في خمسة: فِيَّ وفي علي وحسن، وحسين، وفاطمة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[١].

وعن أنس رضي الله عنه، أنّ النبي ﷺ وسلم كان يمر ببيت فاطمة عليها السلام ستة أشهر كلما خرج إلى الصلاة فيقول: «الصلاة أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾»[٢].

ومن حديث زيد، عن شَهر بن حَوْشَب، عن أم سلمة رضي الله عنها، قالت: كان النبي ﷺ وسلم عندي، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين، فجعلت لهم خزيرة[٣] فأكلوا، وناموا، وغطى عليهم كساءً أو قطيفةً.

ثمّ قال: «اللّهم هؤلاء أهل بيتي أذهِب عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً»[٤].

وعن أبي نعيم الفضل بن دكين قال: حدثنا عبد السلام بن حرب، عن كلثوم المحاربي عن أبي عمار قال: إني لجالس عند واثلة بن الأسقع إذ ذكروا علياً رضي الله عنه؛ فشتموه، فلما قاموا، قال: اجلس حتى أخبرك عن هذا الذي شتموه؛ اني عند رسول الله ﷺ وسلم إذ جاءه علي وفاطمة وحسن وحسين ﷺ، فألقى عليهم كساءً له، ثمّ قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً».

قلت: يا رسول الله وأنا؟.

قال: «وأنت».

قال: فوالله إنها لمن أوثق عمل عندي[٥].

---

(١) تفسير الطبري: ٢٢/٥ مورد الآية، وشواهد التنزيل ٢/٤١ ـ ٤٤ ـ ١٣٥، وكفاية الطالب: ٣٧٦ باب المائة، والمعجم الكبير ٢٣/٣٢٧ ترجمة أم سلمة رواية حكيم بن سعد عنها، و٣/٥٦ ترجمة الإمام الحسن ﷺ، والمعجم الصغير للطبراني ١/٦٥، باب من اسمه أحمد ح: ٦٤، وص: ١٣٥ باب من اسمه الحسن ح: ٦٢، وتاريخ دمشق ترجمة الإمام الحسين ﷺ: ١٠٨ ـ ١٠٩ ح ١٠٨ ـ ١٠٩.

(٢) معجم الطبراني: ٣/٥٦ ترجمة الحسن ﷺ، وج ٢٢/٢٠٠ ترجمة أبي الحمراء، وص: ٤٠٢ ترجمة فاطمة ﷺ، وأسد الغابة ٥/٥٢١ ـ ترجمة فاطمة ﷺ، وصحيح الترمذي: ٥/٣٥٢ ـ ح: ٣٢٠٦ كتاب المناقب ـ باب التفسير ط. مصر دار الحديث ـ وج ٢/٢٩ ط. بولاق ١٢٩٢، ومسند أحمد ٣/٢٥٩ ـ ٢٨٥ ط. م، وج ٤/١٥٧ ـ ٢٠٢ ط. ب، وذخائر العقبى: ٢٥، وتحفة الأحوذي (ث)ير سورة الأحزاب الحديث ٣٢٥٩، ج ٩/٦٧ ـ ٦٨.

(٣) الخزيرة، والخزير: اللحم يؤخذ فيقطع قطعاً صغيرة ثمّ يطبخ ويذر عليه الدقيق، ولا تكون الخزيرة إلّا وفيها لحم، فإذا لم يكن فيها لحم فهي العصيدة. راجع اللسان مادة: خزر.

(٤) تفسير الطبري: ٢٢/٦. بحث الآية.

(٥) تفسير الطبري: ٢٢/٦، مورد الآية، والمعجم الكبير للطبراني: ٢٢/٦٦ ترجمة واثلة ما روى شداد عنه، ←

وعن واثلة بن الأسْقَع يحدّث قال: [سألت] عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في منزله؟

فقالت فاطمة رضي الله عنها: قد ذهب يأتي برسول الله ﷺ وسلم، إذ جاء، فدخل رسول الله ﷺ وسلم، ودخلت فجلس رسول الله ﷺ وسلم على الفراش، وأجلس فاطمة عن يمينه، وعلياً عن يساره، وحسناً، وحسيناً رضوان الله عليهم بين يديه، فلفع عليهم بثوبه، وقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾. «اللهم هؤلاء أهلي، اللهم أهلي أحق».

قيبيال واثلة: فقلت من ناحية البيت: وأنا يا رسول الله من أهلك.

قال: «وأنت من أهلي».

قال واثلة: إنها لمن أرجى ما أرتجي[1].

وعن شهر بن حوشب عن أم سلمة رضي الله عنها، قالت: لمّا نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾. دعا رسول الله ﷺ وسلم علياً، وفاطمة، وحسناً، وحسيناً فجلّل عليهم[2] بكساء خيبريّ[3]، وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً».

قالت أم سلمة: ألست منهم؟

قال: «أنت إلى خير»[4].

وقال تعالى: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾[5] [6].

= وج ٣/ ٥٥ ترجمة الحسن عليه السلام، وفيه: «..عمل في نفسي»، وشواهد التنزيل: ٢/ ٦٤ ـ ٧١ ـ ٧٣، ح: ٦٨٦ ـ ٦٩١ ـ ٦٩٣.

(١) مسند الإمام أحمد: ٤/ ١٠٧، ومجمع الزوائد: ٩/ ١٦٧ ط. مصر وبغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد: ٢٦٣ ح ١٤٩٧٣، والمعجم الكبير: ٢٢/ ٦٦ ترجمة واثلة ما روى شداد عنه، وج ٣/ ٥٥ ترجمة الحسن عليه السلام وفيه: «الأرجى ما أرجوه»، وفتح القدير: ٤/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠ مورد الآية، وينابيع المودة: ١/ ١٠٨ ـ ٢٢٩ ـ ٢٩٤ ط. اسلامبول وط. النجف: ١٢٦ ـ ٢٧١ ـ ٣٥٣، وذخائر العقبى: ٢٤، وأسد الغابة: ٢/ ٢٠ ترجمة الحسن عليه السلام، وكنز العمال: ٧/ ٩٢ ط. دكن ١٣١٢.

(٢) جلل عليهم: غطاهم.

(٣) نسبة إلى خيبر.

(٤) تفسير الطبري: ٢٢/ ٧ مورد الآية، وتاريخ دمشق ترجمة الحسين عليه السلام: ٩٦ ح ٩٥ ـ ٩٦.

(٥) الشورى: ٢٣.

(٦) المصادر كثيرة منها:

مصادر نزول آية المودة في علي وفاطمة وأولادهما عليهم السلام

صحيح البخاري: ٦/ ٣٧ كتاب التفسير مورد الآية، وفتح الباري بشرح البخاري: ٦/ ٦٥٢ ح٣٤٩٧ و٨/ ٧٢٤ ح ٤٨١٨، وكنز العمال: ٢/ ٢٩٠ ح٤٠٣٠ باب فضل القرآن و٤٩٨ ح ٤٥٩٢ باب التفسير، والنور المشتعل: ٢٠٧ و٢٠٨، والمعجم الكبير: ٣/ ٤٧ ترجمة الحسن عليه السلام و١٢/ ٧٢ ترجمة ابن عباس حديث الشعبي عنه و١٩٧ ترجمة ابن عباس حديث علي بن أبي طلحة عنه، وكفاية الطالب: (١) ـ ٩٣ باب ١١، =

وعن السدي عن أبي الديلم قال: لما جيء بعلي بن الحسين أسيراً، وأقيم على درج[١] دمشق قام رجل من أهل الشام، فقال: الحمد لله الذي قتلكم، واستأصلكم، وقطع قرن الفتنة.

فقال له علي: «أقرأت القرآن؟»

قال: نعم.

قال: قرأت «آل حم»؟

قال: قرأت القرآن، ولم أقرأ «آل حم».

قال: ما قرأت: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودة في القربى﴾؟

قال: فإنكم لإياهم[٢] ؟

قال: نعم[٣].

= ومناقب الخوارزمي: ٢٠٠ ـ ٣٠٧ ح ٣٥٢ وفصل ١٥ عن ابن عباس، وتفسير الطبري: ١٦/٢٥ عن علي بن الحسين، وتفسير الكشاف: ٣/٤٦٧، وفتح القدير: ٤/ ٥٣٤ و٣٥٦ مورد الآية فيهم، والذرية الطاهرة: ١٠٨ عن الحسن، والفصول المهمّة: ١٥٢ عن الحسن ـ ذكر الحسن ﷺ ـ، ومقتل الحسين للخوارزمي: ١/ ٥٧ فصل ٥، وذخائر العقبى: ٢٥ ـ ١٣٨، وتفسير الثعالبي: ١٠٨/٤ مورد الآية، والصواعق المحرقة: ١١٠ ط. مصر ـ وط. بيروت: ١٦٩ ـ ١٧٠ ـ ٢٢٧ ـ ط. مصر و٢٥٨ ـ ٢٥٩ ـ ٣٤٠ ـ ٣٤١ ط. بيروت الآيات النازلة فيهم آية ١٤ عن ابن عباس والحسن وزين العابدين ﷺ، وشواهد التنزيل: ٢/ ١٨٩ إلى ٢١١ من ح٨٢٢ إلى ٨٤٤، وتفسير نور الثقلين: ٤/ ٥٧٠ إلى ٥٧٦، وتفسير الرازي: ٢٧/ ١٦٤، وتفسير الدر المنثور: ٦/ ٥ و٦، ومجمع البيان: ٩/ ٤٣، ومستدرك الصحيحين: ٣/ ١٧٢ كتاب المعرفة فضائل الحسن، وفضل آل البيت للمقريزي: ٧٥ الآية الخامسة، وينابيع المودة: ١٠٦/١ ط. تركيا وط. النجف: ١٢٣ باب ٣٢ عن ابن عباس وسعيد بن جبير وزاذان عن علي والباقر والحسين والرضا، ومستدرك الصحيحين: ٢/ ٤٤٤، ومناقب كوفي: ١/ ١١٧ و١٣٧، والإسعاف: ١١٣، ونزل الأبرار: ٣١ و١١١ الباب الثالث والأول والرابع عن أبي سعيد وابن عباس، وشرح الأخبار: ١/ ١٧٢ عن ابن عباس، والمعجم الأوسط: ٣/ ٨٨ ح٢١٧٦ عن الحسن، ومجمع الزوائد: ٧/ ١٠٣ ط. مصر وبغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد: ٧/ ٢٢٩ ح١١٣٢٦ عن ابن عباس و٩/ ١٦٨ ـ ١٧٢ ط. مصر وبغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد: ٩/ ٢٢٦ ـ ٢٧٢ ح١٤٩٨٢ ـ ١٥٠٠٧ عن الحسن وابن عباس، وفضائل صحابة: ٢/ ٦٦٩ ح١١٤١ (ا) عباس، وإحياء الميت للسيوطي بهامش الإتحاف: ٢٣٩ ـ ٢٤٥ ـ ٢٦٩ عن ابن جبير وابن عباس والحسن وأبي سعيد، وأمالي الشجري: ١/ ١٤٤ ـ ١٤٨ عن ابن عباس الحديث السادس، ولوامع أنوار الكوكب الدري: ٢/ ٦٤ ابن عباس، والمواهب اللدنية: ٢/ ٥٢٧ و٥٣٧، وتاريخ اصبهان: ٢/ ١٣٤ رقم ١٣٠٩، والإلمام: ٣٠٢، ورشفة الصادي: ٢١ ـ ٢٢ الباب الأول، وفرائد السمطين: ٢/ ١٣ ح ٣٥٩، والفتوح لابن أعثم: ٢/١٨٣ ذكر كتاب عبد الله إلى يزيد وبعثه برأس الحسين، وترجمة علي من تاريخ دمشق: ١/١٤٨ ـ ١٤٩، ونور الأبصار: ١٠١ ط. مصر ١٣٢٢.

(١) درج دمشق: طريقها.

(٢) في الطبري وغيره: «وإنكم لأنتم هم»؟

(٣) تفسير الطبري: ٢٢/ ٨ مورد الاية، وتفسير ابن كثير ٣/ ٥٣٥ ذيل الآية، والفتوح لابن الأعثم: ٢/ ١٨٣ =

وعن ابن عباس رضي الله عنه، قيل: يا رسول الله من قرابتك الذين أمرنا بمودتهم؟

فقال: «علي وفاطمة وابناهما»[1].

وعن علي عليه السلام: فينا في آية حم أنه لا يحفظ مودتنا إلا كل مؤمن ثم قرأ: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾[2].

آية المباهلة

قال تعالى: ﴿فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾.

وقد تواترت الروايات على نزولها بأصحاب العباء وأن المراد بـ«نسائنا» فاطمة بنت محمد فقط، من ذلك ما رواه ابن طلحة الشافعي وغيره قال: أمّا آية المباهلة: فقد نقل الرواة الثقات والنقلة الأثبات، أنّ سبب نزول آية المباهلة هي قوله تعالى: ﴿قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾[3] إنّه قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وآله ومعهم راهبان مقدمان يقال لأحدهما العاقب والآخر السيد، فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الإسلام.

فقال الراهبان: قد أسلمنا قبلك.

فقال: «كذبتما إنّه يمنعكما من الإسلام ثلاثة: عبادتكم الصليب، وأكلكم الخنزير، وقولكم لله ولد».

قالا: هل رأيت ولداً بغير أب، فمن أبو عيسى؟ فأنزل الله تعالى: ﴿إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا﴾ الآية.

فلمّا نزلت هذه الآية مصرحة بالمباهلة، دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وفد نجران إلى المباهلة، وتلا عليهم الآية قالوا له: حتى ننظر في أمرنا ثم نأتيك غداً.

= كتاب عبيد الله إلى يزيد وبعث رأس الحسين عليه السلام، ومقتل الحسين للخوارزمي: ٢/ ٦١ ـ ٦٢ الفصل الخامس، والدر المنثور: ٦/ ٧، وتقدم الحديث في آية التطهير.

(١) فضائل الصحابة لأحمد: ١/ ١٨٧ ح ٢٦٣، والمعجم الكبير للطبراني: ٣/ ٤٧ ح ٢٦١٤ ترجمة الحسن عليه السلام، ومقتل الحسين للخوارزمي: ١/ ٥٧ الفصل الخامس، وقال في مجمع الزوائد: ٩/ ١٦٨ ط. مصر وبغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٢٦٦ ح ١٤٩٨٢ «رواه الطبراني وفيه جماعة ضعفاء وقد وثقوا»، والدر المنثور: ٦/ ٧، وفتح القدير: ٤/ ٥٣٧.

(٢) تفسير آية المودة: ٥١، وكنز العمال: ١/ ٢٠٨ الطبعة الاولى.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

فلمّا خلا بعضهم ببعض، قالوا للعاقب ـ وكان ذا رأيهم وصاحب مشورتهم ـ: ما ترى من الرأي؟

فقال لهم: والله لقد عرفتم يامعاشر النصارى أنّ محمّداً نبي مرسل، ولقد جاءكم بالفصل فوالله ما لاعن قوم قط نبياً إلّا هلكوا، فإن أبيتم إلّا الإقامة على دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا.

فلمّا أصبحوا جاؤوا إلى رسول الله فخرج إليهم محتضناً الحسين آخذاً بيد الحسن وفاطمة خلفه وعلي خلفهما يقول: «اللهم هؤلاء أهلي» قال الشعبي: قوله تعالى: ﴿أبناءنا﴾ الحسن والحسين عليهما السلام ﴿ونساءنا﴾ فاطمة ﴿وانفسنا﴾ علي فقال لهم رسول الله ﷺ: «إذا أنا دعوت فأمنوا» فلمّا رأى وفد نجران ذلك، وسمعوا قوله قال لهم كبيرهم: يامعشر النصارى إنّي لأرى وجوهاً لو سألوا الله تعالى أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله، فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى منكم على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة، فاقبلوا الجزية. فقبلوها وانصرفوا.

فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إنّ العذاب قد تدلّى على أهل نجران، ولو تلاعنوا لمسخوا قردة وخنازير، ولاضطرم الوادي عليهم ناراً، ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر، ولما حال الحول على النصارى حتى هلكوا»(١).

آية النور والبرزخ

قوله تعالى: **﴿الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درّي يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء﴾**(٢).

رواه الشافعي ابن المغازلي باسناده قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن قوله عزّ وجلّ **﴿كمشكاة فيها مصباح﴾** الآية، قال: «المشكاة» فاطمة عليها السلام «والمصباح» الحسن والحسين **﴿والزجاجة كأنّها كوكبٌ دري﴾** قال: كانت فاطمة كوكباً درياً من نساء العالمين.

﴿يوقد من شجرة مباركة﴾ الشجرة المباركة إبراهيم.

﴿لا شرقية ولا غربية﴾ لا يهودية ولا نصرانية.

﴿يكاد زيتها يضيء﴾ قال: يكاد العلم أن ينطق منها.

﴿ولو لم تمسسه نار، نورٌ على نور﴾ قال: فيها إمام بعد إمام.

---

(١) تفسير الطبري ٣/ ٢١٢، التفسير الكبير للرازي ٨/ ٨٦ ـ ٨٧، الوسيط ١/ ٤٤٣ ـ ٤٤٤، مجمع البيان ١/ ٤٥٢، دلائل النبوة لأبي نعيم ٢/ ٤٥٥، الدر المنثور ٢/ ٢٣١.

(٢) سورة النور، الآية: ٣٦.

﴿يهدي الله لنوره من يشاء﴾ قال: يهدي الله لولايتنا من يشاء[١].

وقال جابر بن عبد الله الأنصاري: دخلت إلى مسجد الكوفة وأمير المؤمنين صلوات الله عليه يكتب باصبعه وتبسم.

فقلت له: يا أمير المؤمنين ما الذي يضحكك؟

فقال عليه السلام: «عجبت لمن يقرأ هذه الآية ولم يعرفها حق معرفتها».

فقلت له: أي آية يا أمير المؤمنين؟.

فقال عليه السلام: «قوله تعالى: ﴿الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء﴾ محمد صلى الله عليه وآله فيها مصباح، أنا مصباح في زجاجة، الزجاجة الحسن والحسين، كأنها كوكب دري وهو علي بن الحسين، يوقد من شجرة مباركة محمد بن علي، زيتونة جعفر بن محمد، لا شرقية موسيبن جعفر، ولا غربية علي بن موسى الرضا يكاد زيتها يضيء محمد بن علي ولو لم تمسسه نار علي بن محمد، نور على نور الحسن بن علي، يهدي الله لنوره من يشاء القائم المهدي عليه السلام ﴿ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم﴾[٢].

وقال تعالى ﴿مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخٌ لا يبغيان﴾[٣].

فعن الإمام الصادق عليه السلام في قوله ﴿مرج البحرين يلتقيان﴾، قال: عليّ وفاطمة بحران عميقان لا يبغي أحدهما على صاحبه.

وفي رواية ﴿بينهما برزخ﴾ رسول الله ﴿يخرجُ منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ الحسن والحسين عليهما السلام[٤].

وقيل: بحر النبوّة من فاطمة وبحر الفتوّة من عليّ بينهما حاجز من التقوى فلا تبغي فاطمة على عليّ [بدعوى] ولا يبغي عليّ على فاطمة [بشكوى][٥].

(١) مناقب ابن المغازلي: ١٩٥ ط. بيروت و٣١٧ ح٣٦١ ط. بيروت، وبحار الأنوار: ٤١٦/٢٣، ورشفة الصادي: ٢٩ ط. مصر، وجواهر العقدين: ٢٤٤ الباب الرابع من القسم الثاني.

(٢) عوالم العلوم: ١٥/ ٢١ ـ ٢٢ ح ١٣، والبرهان ٢/ ١٣٦ ح ١٦، وإلزام الناصب: ١/ ٧٨.

(٣) سورة الرحمن، الآية: ١٩ ـ ٢٠.

(٤) بحار الأنوار: ٣٢/٤٣، ومناقب ابن المغازلي: ٣٣٩، ح ٣٩٠، والدرّ المنثور: ٦/ ١٤٢، ومقتل الحسين للخوارزمي: ١/ ١١٣، وتذكر الخواص: ٢١٢ عن الثعلبي.

(٥) نزهة المجالس: ٢/ ٢٢٩، باب مناقب الحسن والحسين، والإلمام بالأعلام: ٥/ ٣٠١، في التشفّي من أعداء الملوك وما بين معكوفين منه.

وقال تعالى ﴿وأمُر أهلك بالصلاة﴾[(١)] .

عن أبي جعفر، عن أبيه عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها﴾[(٢)] .

قال: «نزلت في عليّ وفاطمة والحسن والحسين، كان رسول الله ﷺ يأتي باب فاطمة كلّ سحر، فيقول: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، الصلاة يرحمكم الله ﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرا﴾»[(٣)] .

آية الشجرة والوسيلة

قال تعالى: ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمةً طيّبة كشجرة طيّبة أصلُها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أُكلها كُلّ حين بإذن ربّها﴾[(٤)] .

سُئل الإمام الباقر عليه السلام عنها فقال: «الشجرة رسول الله نسبه ثابت في بني هاشم وفرع الشجرة عليّ وعنصر الشجرة فاطمة وأغصانها الأئمّة»[(٥)] .

وفي رواية: غصنها فاطمة وثمرها أولادها[(٦)] .

وورد عن رسول الله ﷺ: أنا شجرة وفاطمة فرعها وعلي لقاحها والحسن والحسين ثمرها[(٧)] .

وأخرجه ابن عساكر بلفظ: أنا شجرة وفاطمة حملها، وفي حديث آخر: وفاطمة أصلها[(٨)] .

وقال تعالى ﴿أُولئك الذين يبتغون إلى ربّهم الوسيلة﴾[(٩)] .

فعن عكرمة: هم النبيّ وعلي وفاطمة والحسن والحسين[(١٠)] .

آية الأحياء والمتّقين

قال تعالى: ﴿وما يستوي الأعمى والبصير . . . وما يستوي الأحياء﴾[(١١)] .

فعن ابن عباس: البصير عليّ . . ﴿وما يستوي الأحياء﴾ عليّ وحمزة وجعفر وحسن وحسين وفاطمة وخديجة[(١٢)] .

---

(١) سورة طه، الآية: ١٣٢.
(٢) سورة طه، الآية: ١٣٢.
(٣) بحار الأنوار: ٣٥/٢١٩، وقريب منه في تفسير القمّي: ٢/٦٧ ذيل السورة.
(٤) سورة إبراهيم، الآية: ١٤.
(٥) بصائر الدرجات: ٧٩، ح ٢، الباب الثاني.
(٦) معاني الأخبار: ٤٠٠، ح ٦١.
(٧) شواهد التنزيل: ١/٤٠٨، ح ٤٣٠.
(٨) تاريخ دمشق: ١٤/١٦٨.
(٩) سورة الإسراء، الآية: ٥٧.
(١٠) شواهد التنزيل: ١/٤٤٦، ح ٤٧٤.
(١١) سورة فاطر، الآية: ١٩ ـ ٢٠.
(١٢) شواهد التنزيل: ٢/١٥٤، ح ٧٨١، وتأويل الآيات: ٢/٤٨٠، ح ٥.

قال تعالى ﴿كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون﴾[(١)] .

فعن ابن عباس: نزلت في عليّ والحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام:[(٢)].

قال تعالى ﴿استكبرت أم كنت من العالين﴾[(٣)].

عن أبي سعيد الخدري قال: كنّا جلوساً مع رسول الله إذ أقبل إليه رجل فقال: يارسول الله أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ لإبليس: ﴿استكبرت أم كُنت من العالين﴾، فمن هم يارسول الله الذين هم أعلى من الملائكة؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا وعليّ وفاطمة والحسن والحسين كنّا في سرادق العرش نُسبّح الله وتُسبّح الملائكة بتسبيحنا قبل أن يخلق الله آدم بألفي عام، فلمّا خلق الله آدم أمر الملائكة أن يسجدوا له ولم يأمرنا بالسجود فسجدت الملائكة كلّهم إلّا إبليس فإنّه أبى أن يسجد، فقال الله تبارك وتعالى ﴿استبكرت أم كُنت من العالين﴾، أي من هؤلاء الخمس المكتوب أسماؤهم في سرادق العرش[(٤)].

آية الخصاصة والوجوه المستبشرة والعهد

قال تعالى ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾[(٥)] .

روي ابن عباس أنّها نزلت أيضاً في عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام[(٦)].

وعن أبي هريرة أنّ النبيّ أتى فاطمة فأعلمها بجوع رجل.

فقالت: ما عندنا إلّا قوت الصبية ولكنّا نؤثر به ضيفنا.

فقال عليّ عليه السلام: نوّمي الصبية وأطفي السراج فلمّا أصبح غدا على رسول لله صلى الله عليه وآله فنزلت هذه الآية: ﴿ويُؤثرون على أنفسهم﴾[(٧)].

وروي غير ذلك من القصّة وفيها نزولها في عليّ وفاطمة[(٨)].

قال تعالى ﴿وجوهٌ يؤمئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة﴾[(٩)].

فعن أنس أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: يا أنس هي في وجوهنا بني عبد المطّلب أنا وعلي وحمزة وجعفر والحسن والحسين وفاطمة، نخرج من قبورنا ونور وجوهنا كالشمس الضاحية يوم القيامة،

(١) سورة الذاريات، الآية: ١٧ ـ ١٨.
(٢) شواهد التنزيل: ٢/٢٦٨، ح ٩٠١.
(٣) سورة ص، الآية: ٧٥.
(٤) البحار: ١٥/٢١، ح ٣٤.
(٥) سورة الحشر، الآية: ٨.
(٦) شواهد التنزيل: ٢/٣٣٢، ح ٩٧٢.
(٧) تأويل الآيات: ٢/٦٧٨، ح ٤، والبحار: ٣٦/٥٩، ح ١.
(٨) راجع البحار: ٣٦/٥٩، وتأويل الآيات: ٢/٦٧٨ ـ ٦٧٩، ح ٥ ـ ٧.
(٩) سورة عبس، الآية: ٣٨ ـ ٣٩.

قال الله تعالى: ﴿وجوهٌ يومئذ مسفرة﴾، يعني مشرقة بالنور في أرض القيامة، ﴿ضاحكة﴾ فرحانة برضاء الله عنّا ﴿مستبشرة﴾، بثواب الله الذي وعدنا[١].

قال تعالى ﴿إخواناً على سُرر متقابلين﴾[٢].

أخرج الطبراني عن رسول الله ﷺ: «وإنّي وأنت والحسن والحسين وفاطمة وعقيلاً وجعفراً في الجنّة إخواناً على سُرر متقابلين، أنت معي وشيعتكَ في الجنّة، ثمّ قرأ رسول الله ﷺ ﴿إخواناً على سُرر متقابلين﴾ ينظر أحدهم في قفا صاحبه»[٣].

وقال تعالى ﴿والذين آمنوا واتّبعتهم ذُرّيتهم بإيمان﴾[٤].

فعن ابن عباس قال: نزلت في النبيّ وعلي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ[٥].

وقال تعالى ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل﴾[٦].

قال الإمام الباقر عليه السلام في الآية: كلمات في محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة من ذُرّيتهم»[٧].

آية الحجاب والعنيد

قوله تعالى ﴿وبينهما حجاب﴾[٨].

عن أبي عبد الله عليه السلام إنه سُئل عن قول الله عز وجل ﴿وبينهما حجاب﴾ قال: «سور بين الجنّة والنار عليه قائم: محمد ﷺ وعلي والحسن والحسين وفاطمة وخديجة الكبرى فينادون أين محبونا أين شيعتنا؟ فيقبلون إليهم فيعرفونهم بأسمائهم وأسماء آبائهم وذلك قوله عز وجل: ﴿يعرفون كلا بسيماهم﴾ أي بأسمائهم فيأخذون بأيديهم فيجوزون بهم على الصراط ويدخلونهم الجنّة»[٩].

قوله تعالى: ﴿ألقيا في جهنم كل كفار عنيد﴾.

عن عليّ بن محمد بن مخلد عن جعفر بن حفص عن سواد بن محمد عن عبد الله بن نجيع عن محمد بن مسلم البطايخي عن محمد بن يحيى الأنصاري عن عمّه حارثة عن يزيد بن عبد الله بن مسعود عن أبيه قال: دخلت يوماً على رسول الله ﷺ فقلت: يارسول الله أرني الحق حتى أتبعه فقال ﷺ: «يا بن مسعود لج المخدع فانظر ماذا ترى». فولجت فرأيت أمير المؤمنين عليه السلام راكعاً

(١) شواهد التنزيل: ٢/٤٢٣، ح ١٠٨٠.
(٢) سورة الحجر، الآية: ٤٧.
(٣) المعجم الأوسط: ٨/ ٣٣٠، ح ٧٦٧١.
(٤) سورة الطور، الآية: ٢٠.
(٥) شواهد التنزيل: ٢/ ٢٧٠، ح ٩٠٣، وتأويل الآيات: ٢/٦١٨.
(٦) سورة طه، الآية: ١١٥.
(٧) البحار: ٤٣/ ٣٢، ح ٣٩، وتفسير نور الثقلين: ٣/ ٤٠٣، ح ١٥٨.
(٨) سورة الأعراف، الآية: ٤٦
(٩) البحار: ٢٤/ ٢٥٥ ح ١٩)

وساجداً وهو يقول عقيب صلاته: اللهم بحرمة محمد عبدك ورسولك إغفر للخاطئين من شيعتي، قال ابن مسعود: فخرجت لأخبر رسول الله ﷺ بذلك فوجدته راكعاً وساجداً وهو يقول: «اللهم بحرمة عبدك عليّ إغفر للخاطئين من أمّتي» قال ابن مسعود: فأخذني الهلع حتى غشى عليّ فرفع النبي ﷺ رأسي وقال: «يا بن مسعود أكفرٌ بعد إيمان؟»

فقلت: معاذ الله ولكني رأيت علياً يسأل الله تعالى بجاهك، ونظرت إليك وأنت تسأل الله تعالى بجاهه، فلا أعلم أيّكما أوجه عند الله من الآخر فقال: «يابن مسعود إنّ الله خلقني وعلياً والحسن والحسين من نور عظمته قبل الخلق بألفي عام حين لاتسبيح ولاتقديس، وفتق نوري فخلق منه السموات والأرض، وأنا أفضل من السموات والأرض، وفتق نور عليّ فخلق منه العرش والكرسي وعليٌ أجلّ من العرش والكرسي، وفتق نور الحسن فخلق منه اللوح والقلم، والحسن أجلّ من اللوح والقلم، وفتق نور الحسين فخلق منه الجنان والحور العين، والحسين أفضل منهما، فأظلمت منهما المشارق والمغارب، فشكت الملائكة إلى الله عزّ وجلّ الظلمة وقالت: اللهم بحق هؤلاء الأشباح الذي خلقت إلّا مافرّجت عنا هذه الظلمة، فخلق الله عزّ وجلّ روحاً وقرنها بأخرى فخلق منهما نوراً ثم أضاف النور إلى الروح فخلق منها الزهراء ﷺ، فمن ذلك سمّيت الزهراء، فأضاء منها المشرق والمغرب.

يابن مسعود إذا كان يوم القيامة يقول الله عزّ وجلّ لي ولعلي: أدخلا النار من شئتما وذلك قوله تعالى: ﴿ألقيا في جهنم كل كفار عنيد﴾ فالكفار من جحد نبوّتي، والعنيد من عاند علياً وأهل بيته وشيعته»[1].

آية الكتاب المبين

قوله تعالى: ﴿وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[2].

الشيخ الطوسي في كتاب مصابيح الأنوار بإسناده عن رجاله مرفوعاً إلى المفضّل بن عمر قال دخلت على الصادق ﷺ ذات يوم فقال لي: «يا مفضّل عرفت محمّداً وعليّاً وفاطمة والحسن والحسين كنه معرفتهم».

قلت: يا سيدي وما كنه معرفتهم؟

قال: «يا مفضّل تعلّم أنهم في طير عن الخلائق بجنب الروضة الخضرا فمن عرفهم كنه معرفتهم كان معنا في السنام الأعلى».

قال: قلت: عرّفني ذلك يا سيدي.

---

(١) بحار الأنوار ٣٦/٤٤ ح ٨١.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

قال: «يا مفضّل تعلّم أنهم علموا ما خلق الله عزّ وجلّ وذرأه وبرأه وأنهم كلمة التقوى وخزناء السماوات والأرضين والجبال والرمال والبحار، وعرفوا كم في السماء من نجم وملك، ووزن الجبال وكيل ماء البحار وأنهارها وعيونها وما تسقط من ورقة إلّا علموها ﴿وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[١] وهو في علمهم وقد علموا ذلك».

فقلت: يا سيدي قد علمت ذلك وأقررت به وآمنت.

قال: «نعم يا مفضّل يا مكرم نعم يا طيّب نعم يا محبور، طبت وطابت لك الجنّة ولكل مؤمن بها»[٢].

آية الكلمات والإستخلاف

قوله تعالى ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات﴾[٣].

قال: سأله بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين.[٤]

عن الصادق ﷺ في قوله تعالى ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات﴾: إنّ الكلمات التي تلقّاها آدم من ربه: اللهم بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلّا تبت عليّ، فتاب الله عليه[٥].

قوله تعالى: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم﴾[٦].

عن يونس بن ظبيان عن أبي عبد الله ﷺ قال: «إذا كان ليلة الجمعة أهبط الربّ تبارك وتعالى ملَكاً إلى سماء الدنيا فإذا طلع الفجر جلس ذلك الملك على العرش فوق البيت المعمور ونصب لمحمد وعليّ والحسن والحسين منابر من نور، فيصعدون عليها ويجمع لهم الملائكة والنبيّون والمؤمنون، ويفتح أبواب السماء فإذا زالت الشمس قال رسول الله ﷺ: يا رب ميعادك الذي أوعدته في كتابك وهو هذه الآية ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم﴾ الآية، ويقول الملائكة والنبيّون مثل ذلك ثم يخرّ محمد وعليّ والحسن والحسين سجّداً ثم يقولون: يا رب اغضب، يا رب اغضب، يا رب اغضب، فإنّهُ انتهك حريمك وقُتل أصفياؤك وأذلّ عبادك الصالحون»[٧].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

(٢) مدينة المعاجز: ٢/١٢٩، ومشارق أنوار اليقين: ٥٥.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٣٧.

(٤) معاني الأخبار ١/١٢٥.

(٥) مناقب آل أبي طالب: ١/٢٤٣، والخصال: ٣٠٥ ح ٨٤.

(٦) سورة النور، الآية: ٥٥.

(٧) كتاب الغيبة: ٣٧٦.

عبادة الحسن عليه السلام

عن مُحمّد بن علي قال: قال الحسن بن علي عليه السلام: إني أستحيي من ربي عزّ وجلّ أن ألقاه ولم أمش إلى بيته [قال:] فمشى عشرين مرة من المدينة على رجليه.

قال عبد الله بن عباس: ما ندمت على شيء فاتني في شبابي إلّا أني [لم] أحج ماشياً، ولقد حج الحسن بن علي عليه السلام خمساً وعشرين مرة ماشياً وإنّ النجائب لتقادُ معهُ، ولقد قاسم الله ماله ثلاث مرات، حتى أنه يُعطي الخفّ ويُمسك النعل[١].

وعن علي بن زيد بن جُدعان التيمي قال: حج الحسن بن علي عليه السلام خمس عشرة مرة ماشياً، وخرج من ماله مرتين، وقاسم الله ماله ثلاث مرات حتى أنّه كان ليُعطي نعلاً ويُمسك نعلاً، ويُعطي خفاً ويُمسك خفاً[٢].

وعن أمّ مُوسى، قالت: كان الحسن بن علي عليه السلام إذا أوى إلى فراشه بالليل أُتي بلوح [منقوش] فيه سُورة الكهف فيقرأها[٣] قالت: فكان يطاف بذلك اللوح معهُ حيث طاف من نسائه.

وفي الأمالي بإسناده إلى الصادق عليه السلام: إنّ الحسن بن عليّ كان إذا ذكر الموت بكى، وإذا ذكر القبر بكى وإذا ذكر البعث والنشور بكى وإذا ذكر الممرّ على الصراط بكى، وإذا ذكر العرض على الله تعالى شهق شهقة يغشى عليه منها، وكان إذا قام في صلاته ترتعد فرائصه بين يدي ربّه عزّ وجلّ وكان إذا ذكر الجنّة والنار اضطرب اضطراب السليم وإذا قرأ: ﴿يا أيّها الذين آمنوا﴾[٤] قال: لبّيك اللّهمّ لبّيك.

وعن الرافعي عن أبيه عن جدّه قال: رأيت الحسن والحسين عليهما السلام يمشيان إلى الحجّ فلم يمرا براكب إلّا نزل يمشي فثقل ذلك على بعضهم، فقالوا لسعد بن أبي وقّاص: قد ثقل علينا المشي ولا نستحسن أن نركب وهذان السيّدان يمشيان فقال سعد للحسن: يا أبا محمّد إنّ المشي قد ثقل على جماعة ممّن معك والناس إذا رأوكما تمشيان لم تطلب أنفسهم أن يركبوا فلو ركبتما.

فقال الحسن عليه السلام: لا نركب قد جعلنا على أنفسنا المشي إلى بيت الله الحرام [على أقدامنا][٥] ولكنّا نتنكّب الطريق فأخذا جانباً من الناس[٦].

---

(١) المستدرك: ٣/١٦٩.

(٢) نسب قريش للمصعب الزبيري: ٢٤، وحلية الأولياء: ٢/٣٨.

(٣) سير الأعلام ٣: ٢٦٠.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٠٤.

(٥) زيادة عن المصدر.

(٦) الإرشاد: ٢/١٢٩، والبحار: ٤٣/٢٧٦ ح ٤٦.

أخلاق الحسن عليه السلام

عن شيخ من بني جُمح، عن رجل من أهل الشام قال: قدمت المدينة فرأيت رجلاً جهري كحالة فقلت: من هذا؟ قالوا: الحسن بن علي. فحسدتُ والله علياً أن يكون له ابن مثله قال: فأتيته فقلت: أنت ابن أبي طالب؟

قال: أبي ابنه. فقلت: بك وبأبيك وبك وبأبيك.

قال: وأزم[١] لا يردّ شيئاً ثم قال: أراك غريباً فلو استحملتنا حملناك وإن استرفدتنا رفدناك، وإن استعنت بنا أعنّاك. قال: فانصرفت والله عنه وما في الأرض أحد أحبّ إلي منه[٢].

وعن أبي صالح بن سُليمان، قال: قدم رجل من المدينة وكان يبغض علياً فقطع به فلم يكن له زاد ولا راحلة فشكا ذلك إلى بعض أهل المدينة، فقال له: عليك بحسن بن علي، فقال له الرجل: ما لقيت هذا إلّا في الحسن وأبي الحسن؟

فقيل له: فإنك لا تجد خيراً [إلّا] منهُ فأتاهُ فشكا إليه، فأمر له بزاد وراحلة.

فقال الرجل: الله أعلم حيث يجعل رسالاته[٣].

وعن أبي جعفر، قال: جاء رجل إلى الحسين بن علي فاستعان به على حاجة فوجده مُعتكفاً فقال: لولا اعتكافي خرجت معك فقضيت حاجتك.

ثم خرج من عنده فأتى الحسن بن علي عليه السلام فذكر له حاجته فخرج معه لحاجته، فقال: أما إني قد كرهت أن أستعينك في حاجتي ولقد بدأت بحسين، فقال: لولا اعتكافي لخرجت معك. فقال الحسن: لقضاء حاجة أخ لي في الله أحبّ إليّ من اعتكاف شهر[٤].

وعن علي بن الحسين عليه السلام، قال: خرج الحسن يطوف بالكعبة فقام إليه رجُل فقال: يا أبا مُحمّد إذهب معي في حاجتي إلى فلان. فترك الطواف وذهب معه فلما ذهب خرج إليه رجُل حاسدٌ للرجل الذي ذهب معه، فقال: يا أبا مُحمّد تركت الطواف وذهبت مع فلان إلى حاجته؟

قال: فقال له الحسن عليه السلام: وكيف لا أذهب معه؟ ورسول الله صلى الله عليه وآله قال: «من ذهب في حاجة أخيه المُسلم فقضيت حاجته كتبت له حجّة وعُمرة، وإن لم تقض له كتبت له عُمرة» فقد اكتسبت حجة وعمرة ورجعت إلى طوافي[٥].

---

(١) في المختصر «وأرم» أي: سكت.

(٢) تاريخ مدينة دمشق: ١٣/٢٤٧، وترجمة الإمام الحسن: ١٤٩.

(٣) تاريخ مدينة دمشق: ١٣/٢٤٧، ترجمة الإمام الحسن: ١٥٠.

(٤) تاريخ مدينة دمشق: ١٣/٢٤٧، وكلمات الإمام الحسين: ٧٥٨.

(٥) كنز العمال: ح٤٣٠٤٢.

وعن أبي بكر الأصم، قال: قال الحسن بن علي عليه السلام ذات يوم لأصحابه: إني أخبرُكم عن أخ لي وكان من أعظم الناس في عيني، وكان رأس ما عظّمه في عيني صغر الدنيا في عينه.

كان خارجاً من سُلطان بطنه فلا يشتهي ما لا يجد، ولا يكثر إذا وجد، وكان خارجاً من سُلطان فرجه فلا يستخف له عقله ولا رأيه. وكان خارجاً من سُلطان الجهلة فلا يمُد يداً إلّا على ثقة المنفعة. كان لا يسخط ولا يتبرّم.

وكان إذا جامع العلماء يكون على أن يسمع أحرص منه على أن يتكّلم. كان إذا غلب عليه الكلام لم يغلب على الصّمت كان أكثر دهره صامتاً فإذا قال بذّ القائلين. كان لا يشارك في دعوى ولا يدخل في مراء، ولا يُدلي بحجة حتى يرى قاضياً. كان يقول ما يفعل، ويفعل ما لا يقول تفضلاً وتكرماً.

كان لا يغفل عن إخوانه ولا يختص بشيء دُونهم. كان لايلومُ أحداً فيما يقع العذر في مثله.

كان إذا ابتدأه أمران لا يدري أيهما أقرب إلى الحق، نظر فيما هو أقربُ إلى هواه فخالفه.

وقد يُروى أنّ عائشة قالت: دخل رجل من أهل الشام المدينة فرأى رجلا راكباً على بغلة حسنة قال: لم أر أحسن منه، فمال قلبي إليه فسألت عنه فقيل لي: إنّه الحسن بن علي بن أبي طالب. فامتلأ قلبي غيظاً وحنقاً وحسداً أن يكون لعلي ولد مثله، فقمت إليه فقلت: أنت ابن أبي طالب؟

فقال: (أنا ابنه).

فقلت: أنت ابن من ومن ومن، وجعلت أشتمه وأنال منه ومن أبيه وهو ساكت، حتى إستحييت منه فلمّا إنقضى كلامي ضحك وقال: (أحسبك غريباً شامياً).

فقلت: أجل.

فقال: (فمل معي، إن إحتجت إلى منزل أنزلناك و إلى مال أرفدناك و إلى حاجة عاونّاك).

فاستحييت والله منه وعجبت من كرم خلقه فانصرفت وقد صرت أحبه ما لا أحب غيره[1].

علم الحسن عليه السلام

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الحسن عليه السلام قال: إنّ لله مدينتين إحداهما بالمشرق والأُخرى بالمغرب؛ عليهما سورٌ من حديد وعلى كلّ واحد منهما ألف ألف مصراع وفيها سبعون ألف ألف

(١) الكامل للمبرد ١: ٣٢٥، ربيع الأبرار ٢: ١٩، مناقب ابن شهر آشوب ٤: ٢٣.

لغة، يتكلّم كلّ لغة صاحبها وأنا أعرف جميع اللّغات وما فيهما وما بينهما، وما عليهما حجّة غيري وغير الحسين أخي[١].

وعن الحارث الأعور: أنّ علياً عليه الصلاة والسّلام سأل ابنه الحسن عن أشياء من أمر المروءة ـ وقال ابن كادش: من المروءة ـ فقال:

يا بني ما السّداد؟ قال: يا أبة السداد دفع المنكر بالمعروف. قال: فما الشرف؟ قال: اصطناع العشيرة وحمل الجريرة، قال: فما المروءة؟ قال: العفاف وإصلاح المرء ماله. قال: فما الدقّة؟

قال: النظر في اليسير ومنع الحقير. قال: فما اللؤم؟ قال: إحراز المرء نفسه وبذله عرسه من اللؤم. قال: فما السماحة؟ قال: البذل في اليسر والعسر.

قال: فما الشحّ؟ قال: أن ترى ما في يديك شرفاً وما أنفقته تلفاً.

قال: فما الإخاء؟ قال: الوفاء في الشدّة والرخاء.

قال: فما الجبن؟

قال: الجرأة على الصديق والنكول عن العدو. قال: فما الغنيمة؟ قال الرغبة في التقوى والزهادة في الدنيا هي الغنيمة الباردة. قال: فما الحلم؟ قال: كظم الغيظ وملك النفس. قال: فما الغنى؟ قال: رضا النفس بما قسم الله جلّ وعزّ لها وإن قل فإنما الغنى غنى النفس. قال: فما الفقر؟

قال: شره النفس في كل شيء.

قال: فما المنفعة؟ قال: شدّة البأس ومُقارعة أشدّ الناس. قال: فما الذل؟

قال: الفزع عن المصدوقة. قال: فما الجرأة؟ قال: موافقة الأقران. قال: فما الكلفة؟ قال: كلامك فيما لا يُعنيك. قال: فما المجد؟ قال: أن تعطي في الغُرم وأن تعفو عن الجرم.

قال: فما العقل؟ قال: حفظ القلب كل ما استرعيته.

قال: فما الخُرقُ؟

قال: معاداتك لإمامك ورفعك عليه كلامك. قال: فما السناء؟ قال: إتيان الجميل وترك القبيح. قال: فما الحزم؟ قال: طول الأناة والرفق بالولاة والإحتراس من الناس بسوء الظن هو الحزم.

قال: فما الشرف؟ قال: موافقة الإخوان وحفظ الجيران. قال: فما السفه؟ قال: اتّباع الدناءة ومُصاحبة الغواة؟ قال: فما الغفلة؟ قال: تركك المسجد وطاعتك المفسد. قال: فما الحرمان؟

---

(١) بصائر الدرجات: ٣٥٩، والكافي: ١/ ٤٦٢ ح ٥.

قال: تركك حظك وقد عرض عليك. قال: فما السيد؟ قال: السيد الأحمق في المال المتهاون في عرضه، يشتم فلا يجيب، المتخزن بأمر عشيرته هو السيد.

قال: ثم قال علي ﷺ: يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا فقر أشد من الجهل، ولا مال أعود من العقل، ولا وحدة أوحش من العُجب، ولا مظاهرة أوثق من المشاورة، ولا عقل كالتدبير، ولا حسب كحسن الخُلقُ، ولا ورع كالكفّ، ولا عبادة كالتفكر، ولا إيمان كالحياء والصبر. وآفة الحديث الكذب، وآفة العلم النسيان، وآفة الحلم السّفه، وآفة العبادة الفترة، وآفة الظرف الصلف، وآفة الشجاعة البغي، وآفة السّماحة المن، وآفة الجمال الخيلاء، وآفة الحسب الفخر».

يا بني لا تستخفّنّ برجُل تراهُ أبداً فإن كان أكبر منك فعدّ أنه أبُوك، وإن كان مثلك[(١)] فهو أخوك، وإن كان أصغر منك فاحسب أنه ابنك.

فهذا ما ساءل علي بن أبي طالب ابنه الحسن عن أشياء من المروءة وأجابه الحسن، واللفظ لرواية ابن كادش وزاد: قال: قال القاضي أبو الفرج: في هذا الخبر من جوابات الحسن أباه عما ساءله عنه من الحكمة وجزيل الفائدة ما ينتفع به من راعاه وحفظه، وَوَعاه وعمل به، وأدّب نفسه بالعمل عليه، وهذبها بالرُجُوع إليه، وتتوفر فائدة بالوُقوف عنده. وفيما رواهُ في أضعافه أمير المؤمنين رضي الله عنه، عن النبي ﷺ ما لا غنى بكل لبيب عليم ومدرك حليم عن حفظه وتأمّله، والمسعود من هدي لتقبّله، المحمُود من وُفّق لامتثاله وتقبّله[(٢)].

وروى الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي ﷺ، في تفسيره المسمى بالوسيط ما يرفعه بسنده: أنّ رجلاً قال: دخلت مسجد المدينة، فإذا أنا برجل يحدّث عن رسول الله ﷺ والناس حوله فقلت: أخبرني عن ﴿شاهد ومشهود﴾[(٣)].

فقال: نعم، أمّا الشاهد فيوم الجمعة، وأمّا المشهود فيوم عرفة، فجزته إلى آخر يحدّث عن رسول الله ﷺ.

فقلت: أخبرني عن ﴿شاهد ومشهود﴾.

فقال: نعم، أمّا الشاهد فيوم الجمعة، وأمّا المشهود فيوم النحر، فجزتهما إلى غلام آخر كأنّ وجهه الدينار وهو يحدّث عن رسول الله ﷺ فقلت: أخبرني عن ﴿شاهد ومشهود﴾.

---

(١) في الجليس الصالح: في مثل عمرك.

(٢) الحديث بطوله في ترجمة الإمام الحسن في المعجم الكبير: ٣/ ٦٦ ومجمع الزوائد: ١٠/ ٢٨٣ وتهذيب التاريخ: ٤/ ٢٢١، والجليس الصالح الكافي ٣/ ٣٢١، ومختصر ابن منظور: ٧/ ٣٠.

(٣) سورة البروج، الآية: ٣.

فقال: نعم، أمّا الشاهد فمحمّد ﷺ، وأمّا المشهود فيوم القيامة، أما سمعته يقول: ﴿ياأيها النبي إنّا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً﴾(١) وقال تعالى: ﴿ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود﴾(٢).

فسألت عن الرجل الأول فقالوا: ابن عباس، و(سألت) عن الثاني فقالوا: ابن عمر، وسألت عن الثالث فقالوا: الحسن بن عليّ بن أبي طالب، وكان قول الحسن أحسن(٣).

وكتب ملك الروم إلى معاوية يسأله عن ثلاث عن مكان بمقدار وسط السماء، وعن أوّل قطرة دم وقعت على الأرض وعن مكان طلعت فيه الشمس مرّة، فلم يعلم ذلك فاستغاث بالحسن بن علي فقال: ظهر الكعبة ودم حوّاء وأرض البحر حين ضربه موسى.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان في ذوابة سيف رسول الله ﷺ صحيفة صغيرة وأن عليّاً دعا ابنه الحسن فدفعها إليه فدفع إليه سكيناً وقال له: افتحها، فلم يستطع فتحها ففتحها له ثمّ قال: إقرأ، فقرأ الحسن الألف والياء والسين واللام والحرف بعد الحرف قال: ثمّ طواها ورفعها إلى ابنه الحسين عليه السلام فلم يقدر على فتحها، ففتحها له علي فقال: اقرأ فقرأها كما قرأ الحسن فدفعها إلى محمّد بن الحنفية فلم يقدر على ان يفتحها ففتحها له فقال له: إقرأ فلم يستخرج منها شيئاً فأخذها وطواها ثمّ علقها في ذوابة السيف قال: فقلت لأبي عبد الله: وأي شيء كان في تلك الصحيفة؟ قال: هي الأحرف التي يفتح كل حرف ألف حرف».

قال أبو بصير: قال أبو عبد الله عليه السلام: «فما خرج منها إلّا حرفان حتّى الساعة»(٤).

ونقل الشيخ الطوسي في كتاب مصابيح الأنوار بإسناده عن رجاله مرفوعاً إلى المفضل بن عمر قال دخلت على الصادق عليه السلام ذات يوم فقال لي: «يا مفضل عرفت محمّداً وعليّاً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام كنه معرفتهم».

قلت: يا سيدي وما كنه معرفتهم؟

قال: «يا مفضل تعلم أنهم في طير عن الخلائق بجنب الروضة الخضرا فمن عرفهم كنه معرفتهم كان معنا في السنام الاعلى»

قال: قلت: عرّفني ذلك يا سيدي.

قال: «يا مفضل تعلم أنهم علموا ما خلق الله عزّ وجلّ وذرأه وبرأه وأنهم كلمة التقوى وخزناء السماوات والأرضين والجبال والرمال والبحار، وعرفوا كم في السماء نجم وملك، ووزن الجبال

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٥.
(٢) سورة هود، الآية: ١٠٣.
(٣) الوسيط ٤/٤٥٨.
(٤) بصائر الدرجات ١/٣٠٧.

وكيل ماء البحار وأنهارها وعيونها وما تسقط من ورقة إلّا علموها ﴿وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[١].

وهو في علمهم وقد علموا ذلك»

فقلت: يا سيدي قد علمت ذلك وأقررت به وآمنت.

قال: «نعم يا مفضّل يا مكرم نعم يا طيّب نعم يا محبور، طبت وطابت لك الجنّة ولكل مؤمن بها»[٢].

فطنة الحسن عليه السلام

عن عيسى بن سُليمان، عن أبيه، قال: قال معاوية يوماً في مجلسه إذا لم يكن الهاشمي سخياً لم يُشبه حسبه، وإذا لم يكن الزّبيري شجاعاً لم يُشبه حسبه، وإذا لم يكن المخزومي تائهاً لم يشبه حسبُه، وإذا لم يكن الأموي حليماً لم يشبه حسبُه.

فبلغ ذلك الحسن بن علي عليه السلام فقال: والله ما أراد الحق ولكنه أراد أن يُغري بني هاشم بالسخاء فيفنوا أموالهم ويحتاجون إليه، ويغري آل الزبير بالشجاعة فيفنوا بالقتل، ويغري بني مخزوم بالتيه فيبغضهُم الناس، ويغري بني آمية بالحلم فيحبهم الناس[٣].

بركة الحسن عليه السلام

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام: لمّا عرّج برسول الله صلى الله عليه وآله نزل بالصلاة [عشر ركعات][٤] ركعتين ركعتين فلمّا ولد الحسن والحسين زاد في الصلاة سبع ركعات شكراً لله فأجاز الله له ذلك[٥].

وعن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وآله جائعاً لا يقدر على ما يأكل فقال: هاتي ردائي فقلت: أين تريد؟

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.
(٢) مدينة المعاجز: ٢/١٢٩، ومشارق أنوار اليقين: ٥٥.
(٣) ثمار القلوب للثعالبي: ٩٠.
(٤) زيادة من المصدر.
(٥) الكافي: ٣/٤٨٧ ح ٢، ووسائل الشيعة: ٤/ ٥٠ ح ١٤.

قال: إلى فاطمة إبنتي فأنظر إلى الحسن والحسين فيذهب بعض ما بي من الجوع فدخل على فاطمة فقال: أين إبناي؟

فقالت: خرجا من الجوع يبكيان فخرج النبيّ ﷺ في طلبهما فرأى أبا الدرداء فقال ﷺ: يا عويمر هل رأيت إبنيّ؟

قال: نعم يارسول الله نائمان في ظلّ حائط بني جدعان فانطلق إليهما فضمّهما وهما يبكيان وهو يمسح الدموع عنهما ثمّ قال: والذي بعثني بالحقّ نبيّاً لو قطر قطرة في الأرض لبقيت المجاعة في أُمّتي إلى يوم القيامة، فحملهما وهما يبكيان وهو يبكي فجاء جبرئيل فقال: ربّك يقرئك السلام ويقول: ما هذا الجزع؟

فقال: ما أبكي جزعاً من ذلّ الدُّنيا.

فقال جبرئيل: إنّ الله تعالى يقول: أيسرّك أن أحوّل لك أُحداً ذهباً ولا ينقص لك ممّا عندي شيء؟

قال: لا لأنّ الله تعالى لم يحبّ الدُّنيا ولو أحبّها ما جعل المكاره أكملها.

فقال جبرئيل: أدع بالجفنة التي في ناحية البيت، فدعى بها فإذا فيها ثريد ولحم كثير فقال: كُلْ يا محمّد وأطعم إبنيك وأهل بيتك فأكلوا وشبعوا وهي على حالها فأرسل بها إليّ فأكلوا وشبعوا.

ثمّ قال: ما رأيت جفنة أعظم بركة منها فرفعت عنهم.

فقال النبيّ ﷺ: والذي بعثني بالحقّ لو سكت لتداولها فقراء أُمّتي إلى يوم القيامة[1].

❋ ❋ ❋

آدب الحسن عليه السلام

وفي عيون المحاسن عن الزوياني أنّ الحسن والحسين عليهما السلام مرّا على شيخ يتوضّأ ولا يحسن، فأخذا في التنازع يقول كلّ واحد منهما: أنت لا تحسن الوضوء فقالا عليهما السلام: أيّها الشيخ كن حكماً بيننا يتوضأ كلّ واحد منّا فتوضآ ثمّ قالا عليهما السلام: أيّنا أحسن؟

قال: كلاكما تحسنان الوضوء ولكن هذا الشيخ الجاهل هو الذي لم يكن يحسن، وقد تعلّم الآن منكما وتاب على أيديكما ببركتكما وشفقتكما على أمّة جدّكما[2].

❋ ❋ ❋

---

(١) البحار: ٤٣/ ٣١٠.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٣/ ١٦٨، وكلمات الإمام الحسين: ٤٠.

هدية الله للحسن عليه السلام

وعن أمّ سلمة قالت: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يلبس ولده الحسين حلّة ليست من ثياب الدُّنيا فقلت: يا رسول الله ما هذه الحلّة؟

فقال: هذه هدية أهداها إلي ربّي للحسين وإنّ لحمتها من زغبة جناح جبرئيل، وها أنا ألبسه إيّاها وأزيّنه بها فإنّ اليوم يوم الزينة وإنّي أحبّه(١).

وروى المفيد عن الرضا عليه السلام قال: عري الحسن والحسين عليهما السلام وأدركهما العيد فقالا لأمّهما: قد زيّنوا صبيان المدينة إلّا نحن فما لك [أن](٢) تزيّنينا؟

فقال: إنّ ثيابكما عند الخيّاط [فإذا أتاني زيّنتكما](٣)، فلمّا كانت ليلة العيد أعادا القول على أمّهما فبكت ورحمتهما، فلمّا أخذ الظلام قرع الباب قارع فقال: يا بنت رسول الله أنا الخيّاط جئت بالثياب، ففتحت الباب فإذا رجل ومعه من لباس العيد فناولها منديلاً مشدوداً فإذا فيه قميصان ودراعتان وسروالان ورداءان وعمامتان وخفّان أسودان معقبان بحمرة، فألبستهما ودخل رسول الله وهما مزيّنان فحملهما وقبّلهما ثمّ قال: رأيت الخيّاط؟

قالت: نعم يارسول الله قال: يا بنيّة ما هو خيّاط إنّما هو رضوان خازن الجنان ما عرج حتّى جاءني وأخبرني(٤).

وروى الحسن البصري وأمّ سلمة: إنّ الحسن والحسين دخلا على رسول الله صلى الله عليه وآله وبين يديه جبرئيل فجعلا يدوران حوله يشبّهانه بدحية الكلبي فتناول جبرئيل تفّاحة وسفرجلة ورمّانة فناولهما ففرحا وسعيا إلى جدّهما فشمّهما وقال: سيرا إلى أمّكما وأبيكما، فلم يأكلوا حتّى صار النبيّ صلى الله عليه وآله إليهم فأكلوا جميعاً فلم يزل كلّما أكل منه عاد إلى مكانه حتّى قبض رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال الحسين عليه السلام: فلم يلحقه التغيير حتّى توفّيت فاطمة ففقدنا الرمّان، فلمّا توفّى أمير المؤمنين فقدنا السفرجل وبقيت التفاحة إلى الوقت الذي حوصرت من الماء، فكنت أشمّها إذا عطشت فيسكن لهب عطشي، فلمّا اشتدّ عليّ العطش عضضتها وأيقنت بالفناء.

قال عليّ بن الحسين عليه السلام: سمعته يقول ذلك قبل مقتله بساعة، فلمّا قضى نحبه وجد ريحها في مصرعه فالتمست فلم ير لها أثر وبقي ريحها بعد الحسين عليه السلام ولقد زرت قبره فوجدت ريحها يفوح من قبره فمن أراد بذلك من شيعتنا الزائرين ليعتبر فليلتمس ذلك أوقات السحر فإنّه يجده إذا كان مخلصاً.

---

(١) البحار: ٤٣/ ٢٧١ ح ٣٨، والعوالم، الإمام الحسين: ٣٤ ح ١.

(٢) في المصدر: لا.

(٣) زيادة عن المصدر.

(٤) مناقب آل أبي طالب: ٣/ ١٦١، والبحار: ٤٣/ ٢٨٩.

وفي أمالي أبو الفتح عن ابن عبّاس قال: كنّا جلوساً عند النبيّ ﷺ إذ هبط عليه جبرئيل ومعه جام من البلور الأحمر مملوٌّ مسكاً وعنبراً فقال: السلام يقرئك السلام ويحيّيك بهذه التحيّة ويأمرك أن تحيّي بها عليّاً وولديه، فلمّا صارت في كفّ النبيّ ﷺ هلّلت ثلاثاً وكبّرت ثلاثاً وقالت: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿طه* مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾(١) فشمّها(٢) وحيّا بها عليّاً، فلمّا صارت في كفّه قالت: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾(٣)، فاشتمّها علي وحيّا بها الحسن، فلمّا صارت في كفّ الحسن قالت: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾(٤) الآية، فاشتمّها [الحسن] وحيّا بها الحسين، فلمّا صارت في كفّه قالت: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾(٥) ثمّ ردّت إلى النبيّ ﷺ فقالت: ﴿الله نور السماوات والأرض﴾(٦) فلم أدرِ أعلى السماء صعدت أم في الأرض نزلت(٧).

وفي كتاب المعالم أنّ ملكاً نزل من السماء فقعد على يد النبيّ ﷺ وسلّم عليه بالنبوّة وعلى يد عليّ فسلّم عليه بالوصيّة وعلى يد الحسن والحسين فسلّم عليهما بالخلافة، فقال رسول الله ﷺ: لِمَ لا تقعد على يد فلان؟

فقال: أنا لا أقعد على يد عُصي عليها الله فكيف أقعد على يد عصت الله أربعين عاماً؟(٨).

نقش خاتمه عليه السلام

وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام كان نقش خاتم الحسن عليه السلام: العزّة لله وكان نقش خاتم الحسين عليه السلام: إنّ الله بالغ أمره.

وعنه عليه السلام: كان في خاتم الحسن والحسين عليهما السلام الحمد لله.

وعن الرضا عليه السلام: كان نقش خاتم الحسن عليه السلام: العزّة لله، وخاتم الحسين عليه السلام: العزّة لله(٩).

(١) سورة طه، الآية: ١ ـ ٢.
(٢) في المصدر فاشتمها النبي.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٥٥.
(٤) سورة النبأ، الآية: ١ ـ ٢.
(٥) سورة الشورى، الآية: ٢٣.
(٦) سورة النور، الآية: ٣٥.
(٧) مدينة المعاجز: ١/١٥٣، والبحار: ٣٧/١٠٠.
(٨) مدينة المعاجز: ٢/٤١٦ ح ٦٤٥، والبحار: ٤٣/٢٩١ ح ٥٣.
(٩) عيون أخبار الرضا: ١/٦١ ح ٢٠٧ وأمالي الصدوق: ٥٤٣ ح ٥.

درجات الحسن عليه السلام يوم القيامة

وفي كتاب الأمالي عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة [زين عرش ربّ العالمين بكل زينة، ثم][1] يؤتى بمنبرين من نور طولهما مائة ميل فيوضع أحدهما عن يمين العرش والآخر عن يسار العرش فيؤتى بالحسن والحسين عليهما السلام فيقوم الحسن على أحدهما والحسين على الآخر يزيّن الربّ تبارك وتعالى بهما عرشه كما يزيّن المرأة قرطاها.

وفيه أيضاً عن أبي نعيم قال: شهدت ابن عمر وأتاه رجل فسأله عن دم البعوضة فقال: ممّن أنت؟

قال: من أهل العراق.

قال: انظروا إلى هذا يسألني عن دم البعوّضة وقد قتلوا ابن رسول الله وسمعت رسول الله يقول: الحسن والحسين ريحانتاي من الدُّنيا[2].

عصمة الحسن عليه السلام

وعن جابر الأنصاري قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله آخذاً بيد الحسن والحسين عليهما السلام فقال: إنّ ابني هذين سألت الله لهما ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألت الله أن يجعلهما طاهرين مطهّرين زكيّين فأجابني إلى ذلك، وسألت الله أن يقيهما وذريّتهما وشيعتهما النّار فأعطاني ذلك وسألت الله أن يجمع الله الأمّة على محبّتهما.

فقال: يا محمّد إنّي قضيت قضاء وقدّرت قدراً، وإنّ طائفة من أُمّتك ستفي لك بذمّتك في اليهود والنصارى والمجوس وسيخفرون ذمّتك في ولدك، فإنّي أوجبت إلى نفسي لمن فعل ذلك إلّا أنظر إليه بعين رحمتي يوم القيامة[3].

وعن عبد الله بن عباس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «أنا وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهرون معصومون»[4].

(١) زيادة من المصدر.

(٢) أمالي الصدوق: ٢٠٧ ح ١٢، والبحار: ٤٣/ ٢٦٢ ح ٥.

(٣) أمالي المفيد: ٧٩، والبحار: ٤٣/ ٢٧٦ ح ٤٧.

(٤) فرائد السمطين ٢: ١٣٢/ ح ٤٣٠.

عظمة الحسن على الله ورسوله

وعن محمّد بن يزيد: حمل النبيّ ﷺ الحسن وحمل جبرئيل الحسين عليه السلام فكانا بعد ذلك يفتخران فيقول الحسن: حملني خير أهل الأرض ويقول الحسين حملني خير أهل السماء[١].

وفي كتاب مناقب آل أبي طالب: أذنب رجل ذنباً في حياة رسول الله فتغيّب حتّى وجد الحسن والحسين في طريق خال فاحتملهما على عاتقيه وأتى بهما النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله إنّي مستجير بالله وبهما فضحك رسول الله ﷺ حتّى ردّ يده إلى فمه ثمّ قال للرجل اذهب فأنت طليق، وقال لحسن وحسين: قد شفعتكما فيه فأنزل الله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً**﴾[٢] [٣].

وفي حديث مدرك بن أبي زيد: قلت لابن عبّاس ـ وقد أمسك للحسن ثمّ الحسين بالركاب وسوى عليهما ـ: أنت أسنّ منهما تمسك لهما بالركاب فقال: يالكع وما تدري مَنْ هذان، هذان ابنا رسول الله أوليس ممّا أنعم الله عليَّ به أن أمسك لهما وأسوي عليهما[٤].

وعن محمد بن إبراهيم النعماني عن محمد بن همام قال: حدّثني جعفر بن محمد بن مالك الفزاري الكوفي قال: حدّثني محمد بن أحمد عن محمد بن سنان عن يونس بن ظبيان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا كان ليلة الجمعة أهبط الربّ تبارك وتعالى ملَكاً إلى سماء الدنيا فإذا طلع الفجر جلس ذلك الملك على العرش فوق البيت المعمور ونصب لمحمد وعليّ والحسن والحسين منابر من نور، فيصعدون عليها ويجمع لهم الملائكة والنبيّون والمؤمنون، ويفتح أبواب السماء فإذا زالت الشمس قال رسول الله ﷺ: يا رب ميعادك الذي أوعدته في كتابك وهو هذه الآية ﴿**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم**﴾ الآية، ويقول الملائكة والنبيّون مثل ذلك ثم يخرّ محمد وعليّ والحسن والحسين سجّداً ثم يقولون: يا رب اغضب، يا رب اغضب، يا رب اغضب، فإنّهُ انتهك حريمك وقتل أصفياؤك وأذلّ عبادك الصالحون»[٥].

❋ ❋ ❋

---

(١) مدينة المعاجز: ٣/٢٨٨ ح ٥٧، والبحار: ٤٣/٣١٦ ح ٧٣.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٤.

(٣) مناقب آل أبي طالب: ٣/١٦٨، والبحار: ٤٣/٣١٨.

(٤) مناقب آل أبي طالب: ٣/١٦٨، والبحار: ٤٣/٣١٩.

(٥) كتاب الغيبة: ٣٧٦.

وصية أمير المؤمنين عند وفاته للحسن عليه السلام

في كتاب أعلام الورى عن سليم بن قيس قال: شهدت أمير المؤمنين عليه السلام حين أوصى إلى ابنه الحسن وأشهد عليه أولاده وخواص شيعته ودفع إليه الكتاب والسلاح وقال: يا بنيّ أمرني رسول الله أن أوصي إليك وأدفع إليك كتبي وسلاحي كما أوصى إليّ ودفع إليّ كتبه وسلاحه، وأمرني أن إذا حضرك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين، ثمّ أقبل على ابنه الحسين فقال: وأمرك رسول الله أن تدفعها إلى ابنك هذا ثمّ أخذ بيد عليّ بن الحسين وقال: أمرك رسول الله أن تدفعها إلى إبنك محمّد بن عليّ فاقرأه من رسول الله ومنّي السلام .[١]

وعن ابن حوشب أنّ عليّاً عليه السلام، لمّا سار إلى الكوفة استودع أُمّ سلمة كتبه والوصيّة فلمّا رجع الحسن دفعتها إليه[٢].

دعاء الحسن عليه السلام المستجاب

وفي كتاب المناقب أنّه استغاث الناس إلى الحسن عليه السلام من زياد فرفع يده وقال: اللّهم خذ لنا ولشيعتنا من زياد بن أبيه وأرنا فيه نكالاً عاجلاً إنّك على كلّ شيء قدير، فخرج خرّاج في إبهام يمينه يقال لها السلعة وورم إلى عنقه فمات.

وعن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال بعضهم للحسن بن علي في احتماله الشدائد من معاوية فقال عليه السلام: لو دعوت الله تعالى لجعل العراق شاماً والشام عراقاً وجعل المرأة رجلاً والرجل امرأة، فقال الشامي: ومَن يقدر على ذلك؟

فقال عليه السلام: إنهضي ألا تستحين أن تقعدي بين الرجال فوجد الرجل نفسه امرأة.

ثمّ قال: وصارت عيالك رجلاً وتقاربك وتحمل منها وتلد ولداً خُنثى فكان كما قال عليه السلام ثمّ إنّهما تابا وجاءا إليه فدعى الله فعادا إلى الحالة الأولى[٣].

(١) أعلام الورى: ١/ ٤٠٥ ح ٤، والكافي: ١/ ٢٣٦ ح ١.

(٢) الكافي: ١/ ٢٩٨ ح ٤، والبحار: ٤٣/ ٣٢٢.

(٣) البحار: ٤٣/ ٣٢٧، ومستدرك سفينة البحار: ٤/ ٩٣.

إخباره عليه السلام عن شهادته

وعنه عليه السلام قال الحسن عليه السلام لأهل بيته: يا قوم إنّي أموت بالسمّ كما مات رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال له أهل بيته: ومن الذي يسمّك؟

قال: جاريتي وامرأتي فقالوا له: أخرجها من ملكك عليها لعنة الله.

فقال: هيهات من إخراجها ومنيّتي على يدها ولو أخرجتها يقتلني غيرها كان قضاءً مقضياً، فما ذهبت الأيّام حتّى بعث معاوية إلى امرأته فقال الحسن: هل عندك من شربة لبن فأعطته وفيه ذلك السمّ، فلمّا شربه وجد مسّ السمّ في جسده.

فقال: يا عدوّة الله قتلتيني قاتلك الله، أما والله لا تصيبين من الفاسق عدوّ الله خيراً[1].

وكان كما قال عليه السلام.

❁ ❁ ❁

علم الحسن عليه السلام للغيب

ومن كتاب الدلائل عن ابن عبّاس قال: مرّت بالحسن بن علي بقرة فقال: هذه حبلى بعجلة أنثى لها غرّة في جبينها ورأس ذنبها أبيض، فانطلقنا مع القصّاب حتّى ذبحها فوجدنا العجلة كما وصف، فقلنا: أوليس الله يقول ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾[2] فكيف علمت؟

فقال: ما يعلم المخزون المكنون الذي لم يطّلع عليه ملكٌ مقرّب ولا نبيٌّ مرسل غير محمّد وذرّيته.

أقول: ردّ عليه السلام الإعتراض على أحسن الوجوه وأكملها، وله في الأخبار عنهم عليهم السلام معنى آخر وهو أنّه لا يعلم ما في الأرحام أحد إلّا بتعليم الله تعالى ووحيه وإلهامه وأنّهم عليهم السلام يعلمون ذلك بالوحي والإلهام.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا صالح الحسن عليه السلام معاوية جلسا بالنخيلة فقال: يا أبا محمّد بلغني أنّ رسول الله كان يخرص النخل، فهل عندك من ذلك علم فإنّ شيعتكم يزعمون أنّه لا يعزب عنكم علم شيء في الأرض ولا في السماء؟

فقال الحسن عليه السلام: إنّ رسول الله كان يخرص كيلاً وأنا أخرص عدداً، فقال معاوية: كم في هذه النخلة؟

---

(١) البحار: ٤٣/٣٢٧ ح ٦.

(٢) سورة لقمان، الآية: ٣٤.

فقال عليه السلام: أربعة آلاف بسرة وأربع بسرات، فأمر معاوية بها فصرمت وعدّت فجاءت أربعة آلاف وثلاث بسرات.

فقال: والله ما كذبت ولا كذّبت فنظر فإذا في يد عبد الله بن عامر بسرة[١].

وفي كتاب الخرائج والجرائح أنّ الحسن عليه السلام وعبد الله بن العبّاس كانا على مائدة فجاءت جرادة [ووقفت] على المائدة فقال عبد الله للحسن: أيّ شيء مكتوب على جناح الجرادة؟

فقال عليه السلام: مكتوب عليه: أنا الله لا إله إلّا أنا ربّما أبعث الجراد لقوم جياع ليأكلوه وربّما أبعثها نقمة على قوم لتأكل أطعمتهم.

فقام عبد الله: وقبّل رأس الحسن وقال: هذا من مكنون العلم[٢].

شعر الحسن عليه السلام

ومن قوله عليه السلام شعر:

ذري كدر الأيام إنّ صفاءها ... تولي بأيام السرور الذواهب
وكيف يغرّ الدهر من كان بينه ... وبين الليالي محكمات التجارب

وله أيضاً:

قل للمقيم بغير دار إقامة ... حان الرحيل فودّع الأحبابا
إنّ الذين لقيتهم وصحبتهم ... صاروا جميعاً في القبور ترابا

وله أيضاً:

يا أهل لذّات دُنيا لا بقاء لها ... إنّ المقام بظلّ زائل حمقُ

وله:

لكسرة من خسيس الخبز تشبعني ... وشربة من قراح الماء تكفيني
وتمرة من رقيق الثوب تسترني ... حيّاً وإن متّ تكفيني لتكفيني[٣]

وجاء بعض الأعراب فقال: أعطوه ما في الخزانة فوجد فيها عشرون ألف درهم فدفعها إليه،

---

(١) البحار: ٤٣/ ٣٢٩ ح ٩.
(٢) الخرائج والجرائح: ١/ ٢٤١ ح ٦، والبحار: ٤٣/ ٣٣٧.
(٣) مناقب آل أبي طالب: ٣/ ١٨١، والبحار: ٤٣/ ٣٤٠.

فقال الأعرابي: يا مولاي ألا تركتني أبوح بحاجتي وأنشر مدحتي فأنشأ الحسن عليه السلام شعر:

نحن أناس نوالنا خضل يرتع فيه الرّجاء والأمل
نجود قبل السؤال بأنفسنا خوفاً على ماء وجه من يسلُ
لو علم البحر فضل نائلنا لغاض من بعد فيضه خجل(١)

❋ ❋ ❋

حلم الحسن عليه السلام

روى المبرّد أنّ شامياً رآه راكباً فجعل يلعنه والحسن لا يرد، فلمّا فرغ أقبل الحسن عليه السلام فسلّم عليه وضحك فقال: أيّها الشيخ أظنّك غريباً ولعلّك شبّهت فلو سألتنا أعطيناك ولو استرشدتنا أرشدناك ولو استحملتنا حملناك وإن كنت جائعاً أشبعناك وإن كنت عرياناً كسوناك وإن كنت محتاجاً أغنيناك وإن كنت طريداً آويناك وإن كان لك حاجة قضيناها لك فلو نقلت رحلك إلينا وكنت ضيفاً إلى وقت ارتحالك كان أعود عليك، لأنّ لنا موضعاً رحباً وجاهاً عريضاً ومالاً كثيراً.

فلمّا سمع الرجل كلامه بكى وقال: أشهد أنّك خليفة الله في أرضه، الله أعلم حيث يجعل رسالته وكنت أنت وأبوك أبغض خلق الله إليّ وحوّل رحله إليه وكان ضيفه إلى أن ارتحل وصار معتقداً لمحبّتهم.

وروي أنّ غلاماً له جنى جناية توجب العقاب فأمر به أن يضرب، فقال: يا مولاي والعافين عن الناس.

قال: عفوت عنك.

قال: يا مولاي والله يحبّ المحسنين.

قال: أنت حرّ لوجه الله ولك ضعف ما كنت أعطيك(٢).

❋ ❋ ❋

كرم الحسن عليه السلام

ومن سخائه وكرم طباعه صلوات الله عليه ما روي أنّ رجلاً دفع إليه رقعة في حاجة فقال له: حاجتك مقضية، فقيل له يابن رسول الله: لو نظرت في رقعته ثمّ رددت الجواب على قدر ذلك؟ فقال:

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ٣/١٨٢، والبحار: ٤٣/٣٤١.

(٢) البحار: ٤٣/٣٥٢ ح ٢٩، وكشف الغمة: ٢/٢٤١.

أخشى أن يسألني الله عن ذلّ مقامه بين يدي حتّى أقرأ رقعته[١].

ويروى أنّ رجلاً آخر سأله حاجة فقال له: يا هذا حقّ سؤالك إيّاي معظّم لدي، ومعرفتي بما يجب لك يكبر عليّ، ويدي تعجز عن نيلك بما أنت أهله، والكثير في ذات الله قليل، وما في يدي وفاء بشكرك، فإن قبلت الميسور ورفعت عنّي مؤونة الإحتيال والإهتمام لما أتكلّف من واجبك فعلت، فقال: يابن رسول الله أقبل وأشكر العطية وأعذر على المنع، فدعا الحسن عليه السلام وكيله وجعل يحاسبه على نفقاته حتّى استقصاها فقال له: هات الفاضل فأحضر خمسين ألفاً، ثمّ قال: ما فعلت الخمس مائة دينار؟ قال: هي عندي قال: أحضرها فأحضرها فدفع الحسن الدنانير والدراهم إلى الرجل وقال: هات من يحملها لك فأتى بحمّالين فدفع الحسن عليه السلام إليهما رداءه لكرى الحمل وقال: هذا أجرة حملكما ولا تأخذا منه شيئاً فقال له مواليه: والله ما عندنا درهم فقال: لكنّي أرجو أن يكون لي عند الله أجرٌ عظيم[٢].

وروي أنّه عليه السلام سمع رجلاً يسأل الله في سجوده عشرة آلاف درهم فانصرف الحسن إلى منزله وبعث بها إليه[٣].

وروي أنّ رجلاً كتب إليه يسأله بهذه الأبيات:

غـربـة تـتـبـع قـلّـة ... إنّ فـي الـفـقـر مـذلّـة

يـا ابـن خـيـر الـنـاس أمّـاً ... يـا ابـن أكـرمـهـم جـبـلّـة

لا يـكـن جـودك لـي ... بـل يـكـن جـودك لـلّـه

فأعطاه الحسن عليه السلام دخل العراق سنة، فقيل له: يابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله تعطي دخل العراق سنة على ثلاث أبيات من الشعر فقال: أما سمعتم ما قال:

لا يـكـن جـودك لـي ... بـل يـكـن جـودك لـلّـه

فلو كانت الدنيا كلّها لي وأعطيتها إيّاه كانت في ذات الله قليلة.

وعن إبراهيم بن إسحاق المعروف بالحربي قال: وقد سألوا عن حديث عباس البقال فقال: ـ خرجت إلى الكبش[٤] ووزنت لعباس البقال دانقاً إلّا فلساً فقال لي: يا أبا إسحاق حدّثني حديثاً في السخاء، فلعلّ الله عزّ وجلّ يشرح صدري فأعمل شيئاً. قال: فقلت له: نعم.

رُوي عن الحسن بن علي عليه السلام أنه كان ماراً في بعض حيطان المدينة فرأى أسود بيده رغيف

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي: ٣/ ٣٦٢.

(٢) إحياء علوم الدين: ٣/ ٣٦٤، ومناقب آل أبي طالب: ٤/ ٢٠، ومطالب السؤول: ٢/ ٢٤.

(٣) البداية والنهاية: ٨/ ٣٨، وصفة الصفوة: ١/ ٧٦٠، ومطالب السؤول: ٢/ ٣٢.

(٤) الكبش والأسد: شارعان عظيمان كانا بمدينة السلام ببغداد بالجانب الغربي.

يأكل لقمة ويطعم الكلب لقمة إلى أن شاطره الرغيف، فقال له الحسن: ما حملك على أن شاطرته فلم تغابنه فيه بشيء؟ فقال: إستحيت عيناي من عينه[١] أن أغابنه فقال له: غلام من أنت؟

قال: غلام أبان بن عثمان. فقال: والحائط؟ فقال لأبان بن عثمان، فقال له الحسن: أقسمت عليك لا برحت حتى أعود إليك. فمرّ فاشترى الغلام والحائط وجاء إلى الغلام، فقال: يا غلام قد اشتريتك فقام قائماً فقال: السّمع والطاعة لله ولرسوله ولك يا مولاي. قال: فقد اشتريت الحائط وأنت [حرّ] لوجه الله والحائط هبة مني إليك. قال: فقال الغلام: يا مولاي قد وهبت الحائط للذي وهبتني له.

قال: فقال عباس البقال: الحسن والله يا أبا إسحاق. لأبي إسحاق دانق إلّا فلساً، أعطه بدانق ما يُريد.

قلت: والله لا أخذت إلّا بدانق إلّا فلساً[٢].

وقال عبد الله بن عباس: ما ندمت على شيء فاتني في شبابي إلّا أني [لم] أحج ماشياً، ولقد حج الحسن بن علي ﷺ خمساً وعشرين مرة ماشياً وإنّ النجائب لتقادُ معهُ، ولقد قاسم الله ماله ثلاث مرات، حتى أنه يُعطي الخفّ ويُمسك النعل[٣].

وعن أبي صالح بن سُليمان، قال: قدم رجل من المدينة وكان يبغض علياً فقطع به فلم يكن له زاد ولا راحلة فشكا ذلك إلى بعض أهل المدينة، فقال له: عليك بحسن بن علي، فقال له الرجل: ما لقيت هذا إلّا في الحسن وأبي حسن؟ فقيل له: فإنك لا تجد خيراً [إلّا] منهُ فأتاهُ فشكا إليه، فأمر له بزاد وراحلة، فقال الرجل: الله أعلم حيث يجعل رسالته.

وعن أبي هارُون، قال: إنطلقنا حُجّاجاً فدخلنا المدينة فقلنا: لو دخلنا على ابن رسول الله ﷺ الحسن فسلّمنا عليه فدخلنا عليه فحدّثناه بمسيرنا وحالنا، فلما خرجنا من عنده بعث إلى كل رجُل منا بأربع مائة أربع مائة، فقلنا للرسول: إنا أغنياء وليس بنا حاجة، فقال: لا تردّوا عليه معرُوفه.

فرجعنا إليه فأخبرناه بيسارنا وحالنا فقال: لا تردّوا علي معرُوفي فلو كنت على غير هذه الحال كان هذا لكم يسيراً أما إني مزوّدكم: إن الله يباهي ملائكته بعباده يوم عرفة فيقول: عبادي جاؤوني شعثاً يتعرَّضون لرحمتي فأشهدكم أنّي قد غفرت لمحسنهم وشفّعت محسنهم في مُسيئهم وإذا كان يوم الجمعة فمثل ذلك.

قال أنس: جاءت جارية إلى الحسن بن عليّ ﷺ بطاقة ريحان فقال لها: أنتِ حرّة لوجه

(١) في تاريخ بغداد: عينيه.

(٢) تاريخ بغداد ٦/ ٣٤ في ترجمة إبراهيم بن إسحاق الحربي.

(٣) المستدرك: ٣/ ١٦٩.

الله، فقلت له في ذلك فقال: أدّبنا الله تعالى فقال: ﴿إِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾(١) وكان أحسن منها إعتاقها.

وله عليه السلام شعر:

إنّ السخاء على العباد فريضة ... لله يقرأ في كتاب محكم

وعد العباد الأسخياء جنانه ... وأعدّ للبخلاء نار جهنّم

من كان لا تندى يداه بنائل ... للراغبين فليس ذاك بمسلم

وفي المناقب: إنّ معاوية قدم المدينة فجلس في داره يوماً يُعطي من يدخل عليه من خمسة آلاف إلى مائة ألف، فدخل عليه الحسن بن علي عليه السلام في آخر الناس فقال: أبطأت يا أبا محمّد [فلعلك](٢) أردت أن تبخلني عند قريش فانتظرت [أن](٣) يفنى ما عندنا، يا غلام أعط الحسن مثل جميع ما أعطينا في يومنا هذا وأنا ابن هند، فقال الحسن عليه السلام: لا حاجة لي فيها يا أبا عبد الرحمن، ورددتها وأنا ابن فاطمة بنت محمّد رسول الله.

وقال المبرد في الكامل: قال مروان بن الحكم: إنّي مشغوف ببغلة الحسن بن عليّ فقال له ابن أبي العتيق: إذا دفعتها إليك تقضي لي ثلاثين حاجة؟

قال: نعم، قال: إذا اجتمع القوم فإنّي آخذ في مدائح قريش وأمسك عن مآثر الحسن فلمني على ذلك، فلمّا حضر القوم أخذ في مآثر قريش فقال مروان: ألا تذكر أولية أبي محمّد وله في هذا ما ليس لأحد؟

قال: إنّما كنّا في ذكر الأشراف ولو كنّا في ذكر الأنبياء لقدّمنا ذكره، فلمّا خرج الحسن عليه السلام ليركب اتبعه ابن أبي عتيق فقال له الحسن وتبسّم: ألكَ حاجة؟

قال: نعم ركوب البغلة فنزل الحسن عليه السلام ودفعها إليه وقال: إنّ الكريم إذا خادعته انخدعا.

وفي كتاب كشف الغمّة أنّ رجلاً جاء إلى الحسن عليه السلام وسأله حاجة فقال: حقّ سؤالك يعظم لديّ ومعرفتي بما يجب لك يكبر لدي ويدي تعجز عن نيلك بما أنت أهله والكثير قليل في ذات الله عزّ وجلّ وما في ملكي وفاءً لشكرك، فإن قبلت الميسور رفعت عنّي الإهتمام بما أتكلّفه من واجبك فعلت، فقال: يا بن رسول الله أقبل القليل وأشكر العطية، فدعى الحسن عليه السلام بوكيله وقد بقي عنده خمسين ألفاً وخمسمائة دينار فدفعها إلى الرجل وقال: هات من يحملها لك فأتاه بحمّالين فدفع الحسن عليه السلام إليه رداءه لكرى الحمّالين فقال مواليه: ما عندنا درهم.

فقال: لكنّي أرجو أن يكون لي عند الله أجرٌ عظيم.

(١) سورة النساء، الآية: ٨٦.
(٢) زيادة من المصدر.
(٣) زيادة من المصدر.

وروى أبو الحسن المدائني قال: خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر ﷺ حجّاجاً ففاتهم أثقالهم فجاعوا وعطشوا فمرّوا بعجوز في خباء لها فقالوا: هل من شراب؟

فقالت: نعم. فأناخوا بها وليس إلّا شويهة في كسر الخيمة فقالت: إحلبوها واشربوا لبنها ففعلوا ذلك وقالوا لها: هل من طعام؟

قالت: لا إلّا هذه الشاة فليذبحها أحدكم حتّى أهيّئ لكم شيئاً تأكلون، فقام إليها أحدهم فذبحها فهيّأت لهم طعاماً فأكلوا ثمّ أقاموا عندها حتّى أبردوا، فلمّا ارتحلوا قالوا لها: نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فإذا رجعنا سالمين فألمّي بنا فإنّا صانعون إليك خيراً ثمّ ارتحلوا وأقبل زوجها وأخبرته عن القوم والشاة، فغضب الرّجل فقال: ويحك تذبحين شاتي لأقوام لا تعرفينهم، ثمّ بعد مدّة ألجأتهم الحاجة إلى دخول المدينة فدخلاها وجعلا ينقلان البعر إليها ويبيعانه ويعيشان منه، فمرّت العجوز في بعض سكك المدينة والحسن ﷺ على باب داره جالس فعرف العجوز وهي له منكرة فبعث غلامه فردّها وقال لها: يا أمَة الله تعرفيني؟

قالت: لا.

قال ﷺ: أنا ضيفك يوم كذا فقالت العجوز: بأبي أنت وأمّي فأمر ﷺ فاشترى لها من [شياه] الصدقة ألف شاة وأمر لها بألف دينار وبعث بها إلى أخيه الحسين ﷺ فقال: بكم

وصلك أخي الحسن؟

فقالت: بألف شاة وألف دينار فأمر لها بمثل ذلك ثمّ بعث بها مع غلامه إلى عبد الله بن جعفر فأخبرته فأمر لها عبد الله بألفي شاة وألفي دينار، وقال: لو بدأتي بي لأتعبتهما، فرجعت العجوز إلى زوجها بذلك(١).

تواضع الحسن ﷺ وجلوسه مع الفقراء

من كتاب الفنون: مرّ الحسن بن علي ﷺ على فقراء وقد وضعوا كسيرات على الأرض وهم قعود يلتقطونها ويأكلونها فقالوا له: هلم يابن بنت رسول الله إلى الغذاء فنزل وقال: إنّ الله لا يحبّ المستكبرين، وجعل يأكل معهم حتّى اكتفوا والزاد على حاله ببركته ﷺ ثمّ دعاهم إلى ضيافته وأطعمهم وكساهم(٢).

---

(١) البحار: ٤٣/٣٤٨، وكشف الغمة: ٢/ ١٨٢.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٣/١٨٧، والبحار: ٤٣/ ٣٥٢ ح ٢٨.

وعن نجيح قال: رأيت الحسن بن علي يأكل وبين يديه كلب كلّما أكل لقمة طرح للكلب لقمة فقلت له: يابن رسول الله ألا أرجم هذا الكلب عن طعامك؟

قال: دعه إنّي لأستحي من الله عزّ وجلّ أن يكون ذو روح ينظر في وجهي وأنا آكل ثمّ لا أطعمه[1].

***

صلح الحسن عليه السلام

قال أبو الفرج: و دس معاوية رجلاً من حِمْير إلى الكوفة، و رجلا من بني القَيْن إلى البصرة يكتبان إليه بالأخبار، فدُلّ على الحميريّ[2] و على القيْنيّ، فأخِذا و قتلا[3].

و كتب الحسن عليه السلام إلى معاوية:

أمّا بعد؛ فإنّك دسست اليّ الرجال، كأنك تحبّ اللقاء؛ لا أشك في ذلك فتوقّعه إن شاء الله. وبلغني أنك شمتّ بما لم يشمت به ذو الحجى؛ وإنّما مثلك في ذلك كما قال الأول:

فإنّا و مَنْ قد مات منّا لكالّذِي ... يروح فيُمسى في المبيت ليغتدِي[4]
فقُلْ للّذِي يبغى خلاف الّذِي مضى ... تجهّز لأخرى مثلها فكأنْ قدِ

فأجابه معاوية:

أما بعدُ، فقد وصل كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه؛ ولقد علمت بما حدث فلم أفرح ولم أحزن، ولم أشمت ولم آسَ، وإن عليّاً أباك لكما قال أعشى بني قيس بن ثعلبة:

فأنتَ الجوادُ وأنتَ الّذِي ... إذا ما القلوب مَلأنَ الصُدُورَا
جديرٌ بطعنةِ يوم اللّقا ... ء يضربُ منها النّساءُ النُّحُورَا
وما مِزْيَدٌ من خليج البحا ... رِ يعلو الإكام ويعلُو الجُسورا
بأجودَ منه بما عنده ... فيعطي الألوف ويعطى البُدُورا[5]

قال أبو الفرج: وكتب عبد الله بن العباس من البَصرة إلى معاوية:

---

(١) مستدرك الوسائل: ٧/ ١٩٢ ح ٥، والبحار: ٤٣/ ٣٥٢ ح ٢٩.

(٢) مقاتل الطالبيين: «فدل على الحميري عند لحام».

(٣) مقاتل الطالبين ٥٢.

(٤) في مقاتل الطالبيين، البيت الثاني قبل الأول.

(٥) مقاتل الطالبيين ٥٣.

أما بعد، فإنَّك ودسّك أخا بني القيْن إلى البصرة، تلتمس من غفلاتِ قريش بمثل ما ظفِرْت به من يمانيّتك، لكما قال أميّة بن أبي الأسكر[١]:

لـعـمـرُك إنّـي والـخُـزَاعـيّ طـارقـاً ... كـنـعْـجـة عـاد حـتـفُـهـا تـتـحـفّـرُ

أثـارت عـلـيـهـا شـفـرةً بـكُـراعِـهَـا ... فـظـلّـتْ بـهـا مـن آخر الـلـيـل تـنـحَـرُ

شـمـتّ بـقـوم مـن صـديـقـك أهـلـكـوا ... أصـابـهُـم يـومٌ مـن الـدّهـر أصـفـرُ[٢]

فأجابه معاوية:

أمّا بعد، فإن الحسن بن علي، قد كتب إليّ بنحو ممّا كتبت به، وأنبأني بما لم يحقّق سوء ظنّ[٣] ورأي فيّ، وإنك لم تصب مثلي ومثلكم، وإنما مثلنا كما قال طارق الخُزاعي يجيب أميّة عن هذا الشعر:

فـو الـلّـهِ مـا أدري وإنّـي لـصـادِقٌ ... إلـى أيّ مَـنْ يـظّـنّـنـي أتـعـذّرُ

قال أبو الفرج: وكان أوّل شيء أحدَثه الحسن ﷺ أنه زاد المقاتلة مائة مائة، وقد كان عليّ ﷺ فعل ذلك يوم الجمل، وفعله الحسن حال الإستخلاف، فتبعه الخلفاء من بعده في ذلك[٤].

قال: وكتب الحسن ﷺ إلى معاوية مع حرب بن عبد الله الأزديّ[٥].

من الحسن[٦] بن عليّ أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان، سلام عليك، فإني أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلّا هو، أما بعد فإن الله جلّ جلاله بعث محمداً رحمة للعالمين، ومنّة للمؤمنين، وكافّة للناس أجمعين، ﴿لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيّاً وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[٧]، فبلّغ رسالاتِ الله، وقام بأمر الله حتى توفّاه الله غير مقصّر ولا وانٍ، وبعد أن أظهر الله به الحقّ ومحقَ به الشّرك، وخص به قريشاً خاصّة فقال له: ﴿وَ إِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَ لِقَوْمِكَ﴾[٨]. فلما توفّيَ تنازعت سلطانَه العرب، فقالت قريش: نحن قبيلتُه وأسرته وأولياؤه، ولا يحلّ لكم أن تنازعونا سلطانَ محمد وحقّه، فرأت العرب أنّ القول ما قالت قريش، وأنّ الحجة في ذلك لهم على مَنْ نازعهم أمر محمد، فأنعمت[٩]

---

(١) كذا في الأغاني ومقاتل الطالبيين وهو الصواب، وفي بـ: «أمية بن أبي الصلت».

(٢) في الأغاني: «أعسر».

(٣) مقاتل الطالبيين: «بما لم يحقق سوء ظن ورأي فيّ».

(٤) مقاتل الطالبيين ٥٥.

(٥) مقاتل الطالبيين: «مع جندب بن عبد الله الأزدي».

(٦) مقاتل الطالبيين: «بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسن...».

(٧) سورة يس، الآية: ٧٠.

(٨) سورة الزخرف، الآية: ٤٤.

(٩) أنعمت لهم: أي قالت لهم: «نعم».

لهم، وسلّمت إليهم. ثم حاججنا نحن قريشا بمثل ما حَاجَجَت به العرب، فلم تنصفنْا قريش إنصاف العرب لها، إنهم أخذوا هذا الأمر دون العرب بالإنتصاف والاحتجاج، فلمّا صرنا أهل بيت محمد وأولياءه إلى محاجّتهم، وطلب النَّصَف[١] منهم باعدونا واستولوْا بالإجماع على ظلمِنا ومَراغمتنا[٢] والعَنَت منهم لنا، فالموعد الله، وهو الوليّ النَّصير؟

ولقد كنّا تعجّبنا لتوثّب المتوثبين علينا في حقنا وسلطان نبيّنا، وإن كانوا ذوي فضيلة وسابقة في الإسلام، وأمسكنا عن منازعتهم مخافةً على الدين أن يجد المنافقون والأحزاب[٣] في ذلك مغمزاً يثلمونه به، أو يكون لهم بذلك سبب إلى ما أرادوا من إفساده، فاليوم فليتعجّب المتعجّب من توثُّبك يا معاوية على أمر لستَ من أهله، لا بفضل في الدين معروف، ولا أثر في الإسلام محمود، وأنت ابن حزب من الأحزاب، وابن أعدى قريش لرسول الله ﷺ ولكتابه، والله حسيبك، فسترِدُ فتعلم لمن عقبى الدار، وبالله لَتَلْقَينّ عن قليل ربَّك، ثم ليجزينّك بما قدّمت يداك، وما الله بظلام للعبيد.

إنّ علياً لما مضى لسبيله ـ رحمة الله عليه يوم قُبِض ويوم منّ الله عليه بالإسلام، ويوم يُبعث حيّاً ـ ولّاني المسلمون الأمر بعده، فأسأل الله ألّا يؤتينا في الدنيا الزائلة شيئاً ينقصنا به في الآخرة مما عنده من كرامة، وإنّما حملني على الكتاب إليك الإعذار فيما بيني وبين الله عزّ وجلّ في أمرك، ولك في ذلك إن فعلته الحظُّ الجسيم، والصلاح للمسلمين، فدع التماديَ في الباطل، وادخل فيما دخل فيه النّاس مِنْ بيعتي، فإنك تعلم أنّي أحقّ بهذا الأمر منك عند الله وعند كلّ أوّاب حفيظ، ومن له قلب منيب. واتّقِ الله ودَعِ البغي، واحقن دماء المسلمين، فوالله مالك خير في أن تلقى الله من دمائهم بأكثر مما أنت لاقيه به، وادخل في السّلم والطاعة، ولا تنازع الأمر أهله ومَنْ هو أحقّ به منك، ليطفىء الله النائرة[٤] بذلك، ويجمع الكلمة، ويصلِح ذاتَ البَيْن، وإن أنت أبيتَ إلّا التماديَ في غيّك سرت[٥] إليك بالمسلمين فحاكمتُك، حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين.

فكتب معاوية إليه[٦]:

من عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى الحسن بن علي، سلام الله عليك، فإنّي أحمَد إليك الله الذي لا إله إلّا هو، أمّا بعد، فقد بلَغني كتابُك، وفهمت ما ذكرت به محمداً رسول الله من الفضل، وهو أحق الأوّلين والآخرين بالفضل كلّه قديمه وحديثه، وصغيره وكبيره، وقد والله بلّغ وأدّى،

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٤٤.

(٢) راغمهم: نابذهم وعاداهم.

(٣) الأحزاب: هم الذين تحزبوا وتظاهروا على قتال رسول الله من قريش وغطفان وبني مرة وبني أشجع وبني سليم وبني أسد في غزوة الخندق.

(٤) النائرة: العدواة والشحناء.

(٥) مقاتل الطالبيين: «نهدت».

(٦) في مقاتل الطالبيين: «بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله. . .».

ونصح وهَدى؛ حتى أنقذ الله به من الهَلكة، وأنار به من العَمَى، وهَدَى به من الجَهالة والضلالة، فجزاه الله أفضلَ ما جزى نبياً عن أمته؛ وصلوات الله عليه يوم وُلِد ويوم بُعث ويوم قُبِض، ويوم يُبعث حيّاً!

وذكرت وفاة النبيّ ﷺ وتنازع المسلمين الأمر بعده، وتغلّبهم على أبيك، فصرّحت بتهمة أبي بكر الصديق وعمر الفاروق وأبي عبيدة الأمين وحواريي[١] رسول الله ﷺ، وصُلَحاء المهاجرين والأنصار، فكرهت ذلك لك؛ إنّك امرُؤ عندنا وعند الناس غيرَ الظَّنِين[٢] ولا المسيء، ولا اللئيم، وأنا أحبّ لك القول السديد، والذكر الجميل.

إنّ هذه الأمة لمّا اختلفت بعد نبيّها لم تجهل فضلكم ولا سابقتكم، ولا قرابتكم من نبيّكم، ولا مكانكم في الإسلام وأهله، فرأت الأمّة أن تخرج من هذا الأمر لقريش لمكانها من نبيّها، ورأى صُلَحاء النّاس من قريش والأنصار وغيرهم من سائر الناس وعوامّهم أن يولّوا هذا الأمر من قريش أقدمَها إسلاماً، وأعلمها بالله، وأحبّها له، وأقواها على أمر الله، فاختاروا أبا بكر، وكان ذلك رأيَ ذوي الدين والفضل، والناظرين للأمة، فأوقع ذلك في صدوركم لهم التّهمة، ولم يكونوا متّهمين، ولا فيما أتوا بالمخطئين، ولو رأى المسلمون أنّ فيكم مَنْ يغني غناءه، ويقوم مقامه، ويذبّ عن حريم الإسلام ذَبّه، ما عدلوا بالأمر إلى غيره رغبة عنه، ولكنهم علموا في ذلك بما رأوه صلاحاً للإسلام وأهله، والله يجزيهم عن الإسلام وأهله خيراً.

وقد فهمت الَّذِي دعوتَني إليه من الصلح، والحال فيما بيني وبينك اليوم مثلُ الحال الَّتي كنتم عليها أنتم وأبو بكر بعد وفاة النبي ﷺ، فلو علمت أنّك أضبطُ مّني للرعيّة، وأحوَطُ على هذه الأمّة، وأحسن سياسة، وأقوى على جمع الأموال، وأكيَد للعدوّ، لأجبتك إلى ما دعوتَني إليه، ورأيتك لذلك أهلاً، ولكن قد علمت أنّي أطولُ منك ولاية، وأقدم منك بهذه الأمّة تجربة، وأكبر منك سنّاً، فأنت أحق أن تجيبَني إلى هذه المنزلة التي سألتَني، فادخل في طاعتي، ولك الأمر من بعدي، ولك ما في بيت مال العراق من مال بالغاً ما يبلغ، تحمله إلى حيث أحببت، ولك خراج أيِّ كُوَر العراق شئتَ؛ معونةً لك على نفقتك يجبيها أمينك ويحملها إليك في كل سنة؛ ولك ألّا نَستولي عليك بالإساءة، ولا نَقضِيَ دونك الأمور، ولا نَعصيَ في أمر أردت به طاعة الله. أعاننا الله وإيّاك على طاعته إنه سميع مجيب الدعاء. والسّلام.

قال جندب: فلما أتيت الحسنَ بكتاب معاوية، قلت له: إنّ الرجل سائر إليك، فابدأه بالمسير حتى تقاتله في أرضِه وبلاده وعمله، فأمّا أن تُقدِّر أنه ينقاد لك؛ فلا والله حتى يرى منّا أعظم من يوم صِفّين.

---

(١) هو الزبير بن العوام. (٢) ب: «ظنين».

فقال: أفعل، ثم قعد عن مشورتي وتناسى قولي[١].

قالوا: وكتب معاوية إلى الحسن:

أما بعد[٢]، فإنّ الله يفعل في عباده ما يشاء، لا معقّب لحكْمِه وهو سريع الحساب، فاحذر أن تكون منيّتك على أيدي رعاع من الناس، وايئس من أن تجدَ فينا غميزة[٣]، وإن أنت أعرضت عمّا أنت فيه وبايعتني وفَيت لك بما وعدت، وأجريت لك ما شرطت، وأكون في ذلك كما قال أعشى بني قيس بن ثعلبة:

وإنْ أحدٌ أسدَى إليك أمانةً فأوفِ بها تُدعَى إذا مِتَّ وافِيا
ولا تحسُدِ المولَى إذا كان ذا غنًى ولا تجْفُه إن كان في المال فانيا

ثم الخلافة لك من بعدي، فأنت أولى الناس بها. والسّلام.

فأجابه الحسن:

أما بعد[٤] فقد وصل إليَّ كتابك، تذكر فيه ما ذكرت، فتركت جوابك خشية البغي [منّي] عليك، وبالله أعوذ من ذلك، فاتبع الحقّ تعلم أنّي من أهله، وعليَّ إثْمٌ أنْ أقول فأكذِب. والسّلام.

فلما وصل كتاب الحسن إلى معاوية قرأه، ثم كتب إلى عمّاله على النواحي بنسخة واحدة.

من عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى فلان ابن فلان[٥] ومن قِبَله من المسلمين. سلام عليكم.

فإنّي أحمد إليكم الله الذي لا إله إلّا هو. أمّا بعد، فالحمد لله الذي كفاكم مؤونة عدوّكم وقتل خليفتكم، إنّ الله بلُطْفه، وحسن صنعه، أتاح لعليّ بن أبي طالب رجلاً من عباده، فاغتاله فقتله، فترك أصحابه متفرّقين مختلفين؛ وقد جاءتنا كتب أشرافهم وقادتهم يلتمسون الأمان لأنفسهم وعشائرهم؛ فأقبِلوا إليّ حين يأتيكم كتابي هذا بجهدكم وجُندكم وحسن عدّتكم، فقد أصبتم بحمد الله الثأر، وبلغتم الأمل، وأهلك الله أهل البغي والعدوان. والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته[٦].

قال: فاجتمعت العساكر إلى معاوية، فسار بها قاصداً إلى العراق. وبلغ الحسنَ خبرُه ومسيرُه نحوَه؛ وأنّه قد بلغ جسر منبِج، فتحرّك عند ذلك، وبعث حُجْر بن عديّ فأمر العمال والنّاس بالتهيُّؤ للمسير، ونادى المنادي: الصلاة جامعة! فأقبل الناس يثوبون ويجتمعون. وقال الحسن: إذا رضيتُ

(١) مقاتل الطالبيين ٥٥ ـ ٥٩.

(٢) مقاتل الطالبيين: «بسم الله الرحمن الرحيم... أما بعد».

(٣) الغميزة: المطعن.

(٤) في مقاتل الطالبيين: «بسم الله الرحمن الرحيم... أما بعد...».

(٥) في مقاتل الطالبيين: «بسم الله الرحيم الرحيم من معاوية أمير المؤمنين إلى فلان ابن فلان».

(٦) مقاتل الطالبيين ٥٩، ٦٠.

جماعة النّاس فأعلِمني؛ وجاءه سعيد بن قيس الهَمدانيّ، فقال له: أخرج، فخرج الحسن ﷺ، وصعِد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أمّا بعد؛ فإنّ الله كتب الجهاد عَلَى خَلْقِه، وسمّاه كُرها[١]، ثم قال لأهل الجهاد من المؤمنين: إصْبِروا إنّ الله مع الصابرين، فلستم أيّها الناس نائلين ما تحبّون إلّا بالصبر على ما تكرهون.

بلغني أنّ معاوية بلغه أنّا كنا أزمعنا على المسير إليه؛ فتحرّك لذلك، أخرجوا رحمكم الله إلى معسكركم بالنُّخَيلة حتى ننظر وتنظروا، ونرَى وتروا.

قال: وإنّه في كلامه ليتخوّف خذلان الناس له، قال: فسكتوا فما تكلّم منهم أحد، ولا أجابه بحرف.

فلمّا رأى ذلك عديّ بن حاتم قام فقال: أنا ابنُ حاتم! سبحان الله! ما أقبح هذا المقام! ألا تجيبون إمامكم وابن بنت نبيّكم! أين خطباء مُضَر [أيْنَ المسلمون؟ أين الخواضون من أهل المصر][٢] الذين ألسنتهم كالمخارِيق[٣] في الدَّعَة، فإذا جَدَّ الجِدّ فروّاغون كالثعالب، أما تخافون مقت الله ولا عيبها وعارها.

ثم استقبل الحسن بوجهه، فقال: أصاب الله بك المراشد، وجنّبك المكاره ووفّقك لما يحمَد ورده وصدره.

قد سمعنا مقالتَك، وانتهينا إلى أمرك، وسمعنا لك وأطعناك فيما قلت وما رأيت، وهذا وجهي إلى معسكري، فمن أحبّ أن يوافيَني فليوافِ.

ثم مضى لوجهه، فخرج من المسجد ودابته بالباب، فركبها ومضى إلى النّخَيلة، وأمر غلامه أن يلحقه بما يصلحه. وكان عديّ بن حاتم أوّل الناس عسكَر[٤].

وقام قيس بن سعد بن عبادة الأنصاريّ ومعقل بن قيس الرياحيّ وزياد بن صَعْصعة التّيْمِي، فأنّبوا النّاس ولاموهم وحرّضوهم، وكلّموا الحسنَ ﷺ بمثل كلام عديّ بن حاتم في الإجابة والقبول، فقال لهم الحسن ﷺ: صدقتم رحمكم الله! ما زلتُ أعرفكم بصدق النيّة والوفاء والقبول والمودّة الصحيحة، فجزاكم الله خيراً ثم نزل.

وخرج النّاس فعسكروا، ونشطوا للخروج، وخرج الحسن إلى العسكر، واستخلف على الكوفة المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطّلب، وأمره باستحثاث النّاس وإشخاصهم إليه، فجعل يستحثّهم ويستخرجهم حتى يلتئم العسكر.

---

(١) هو من قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَ هُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾.

(٢) من مقاتل الطالبيين.

(٣) المخاريق: جمع مخراق؛ وهو المنديل أو نحوه يلوى فيضرب به.

(٤) في نسخة: «عسكرا».

و سار[١] الحسن عليه السلام في عسكر عظيم وعدّة حسنة، حتى نزل دير عبد الرحمن، فأقام به ثلاثاً حتى اجتمع الناس، ثم دعا عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، فقال له: يا بنَ عمّ، إني باعث إليك اثنا عشر ألفا من فرسان العرب وقرّاء المصر، الرجل منهم يزيد[٢] الكتيبة، فسرْ بهم، وألِنْ لهم جانبك، وابسُط لهم وجهك، وافرش لهم جناحك، وأدنهم من مجلسك، فإنّهم بقية ثقاتِ أمير المؤمنين، وسرْ بهم على شطّ الفرات حتى تقطع بهم الفرات، ثم تصير إلى مَسْكِن، ثم امض حتى تستقبل بهم معاوية، فإن أنت لقيته فاحبِسْه حتى آتيك، فإنّي على أثرك وشيكاً، وليكن خبرك عندي كلّ يوم، وشاور هذين ـ يعني قيس بن سعد وسعيد بن قيس ـ وإذا لقيتَ معاوية فلا تقاتله حتى يقاتلك، فإن فعل فقاتله، وإن أُصبت فقيس بن سعد على الناس، وإن أُصيب قيس بن سعد فسعيد بن قيس على النّاس[٣].

فسار عبيد الله حتى انتهى إلى شينور[٤]، حتى خرج إلى شاهى[٥]، ثم لزم الفرات والفلُّوجة[٦]: حتى أتى مسكن[٧]، وأخذ الحسن على حمّام عمر حتى أتى دير كعب، ثم بكّر فنزل ساباط دون القنطرة، فلمّا أصبح نادى في الناس: الصّلاة جامعة! فاجتمعوا، فصعد المنبر فخطبهم فقال: الحمد لله كلّما حمِده حامد، وأشهد أن لا إله إلّا الله كلّما شهِد له شاهِد، وأشهد أن محمداً رسول الله، أرسله بالحق، وائتمنه على الوحي، صلى الله عليه وآله. أما بعد، فوالله إنّي لأرجو أن أكونَ قد أصبحت بحمد الله ومنّه وأنا أنصح خلقِه لخلقه، وما أصبحت محتملا على مسلم ضغِينة، ولا مريد له بسوء ولا غائلة. ألَا وإنّ ما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبّون في الفرقة؛ ألَا وإنّي ناظر لكم خيراً من نظركم لأنفسكم، فلا تخالفوا أمرِي، ولا تردّوا عَلَيَّ رأيي. غفر الله لي ولكم، وأرشدني وإيّاكم لما فيه محبّته[٨] ورضاه، إن شاء الله! ثم نزل.

قال: فنظر الناس بعضُهم إلى بعض، وقالوا: ما ترونه يريد بما قال؟ قالوا: نظنّه يريد أن يصالح معاوية، ويكل الأمر إليه، كَفَر والله الرجل! ثم شدُّوا على فسطاطه. فانتهبوه حتى أخذوا مصلّاه من تحته؛ ثم شدّ عليه عبد الرحمن بن عبد الله بن جعال الأزديّ، فنزع مطرفه عن عاتِقه، فبقي جالساً متقلّداً سيفاً بغير رداء، فدعا بفرسه فركبه، وأحدق به طوائف من خاصّته وشيعته، ومنعوا منه مَنْ أراده، ولاموه وضعّفوه لما تكلّم به؛ فقال: ادعُوا إليّ ربيعةَ وهَمْدان، فدعوا له،

---

(١) مقاتل الطالبيين: «ثم إن الحسن...».   (٢) في نسخة: «يزن».
(٣) بعدها في مقاتل الطالبيين: «ثم أمره بما أراد».
(٤) شينور: صقع بالعراق، وفي بـ «سينور» تحريف.
(٥) شاهى: موضع قرب القادسية.
(٦) ياقوت: «فلاليج السواد: قراها، واحدها الفلوجة، والفلوجة الكبرى، والفلوجة الصغرى: قريتان كبيرتان من سواد بغداد والكوفة قرب عين التمر».
(٧) مسكن: موضع على نهر دجيل.   (٨) مقاتل الطالبيين: «لما فيه المحبة والرضا».

فأطافوا به، ودفعوا الناس عنه، ومعهم شَوْب[١] من غيرهم، فلمّا مرّ في مظلم ساباط[٢]، قام إليه رجل من بني أسد، ثم من بني نَضْر بن قُعَين يقال له جراح بن سنان، وبيده مِغْول، فأخذ بلجام فرسه، وقال: الله أكبر! يا حسن * أشرك أبوك، ثم أشركت أنت *[٣]. وطعنه بالمِغْوَل، فوقعت في فخذه، فشقّته حتى بلغت أربيّته[٤]، وسقط الحسن ﷺ إلى الأرض بعد أن ضرب الذي طعنه بسيف كان بيده، واعتنقه، فخرّا جميعاً إلى الأرض؛ فوثب عبد الله بن الأخطل[٥] الطائيّ، ونزع المِغْول من يد جراح بن سنان، فخضخضه[٦] به، وأكبّ ظَبيان بن عُمارة عليه، فقطع أنفه، ثم أخذا له الآجر فشدخا رأسه، ووجهه حتى قتلوه.

وحُمِل الحسن ﷺ على سرير إلى المدائن، وبها سعيد[٧] بن مسعود الثقفيّ والياً عليها من قبله، وقد كان عليّ ﷺ ولّاه المدائن فأقرّه الحسن ﷺ عليها، فأقام عنده يعالج نفسه. فأما معاوية فإنه وافَى حتى نزل قرية يقال لها الحلوبية[٨] بمسكِن، وأقبل عبيد الله بن عباس حتى نزل بإزائه؛ فلما كان من غد وجّه معاوية بخيله إليه فخرج إليهم عبيد الله فيمن معه فضربهم حتى ردّهم إلى معسكرهم؛ فلما كان الليل أرسل معاوية إلى عُبيد الله بن عباس أنّ الحسن قد راسلني في الصلح؛ وهو مسلّم الأمرَ إليّ، فإن دخلت في طاعتي الآن كنتَ متبوعاً، وإلّا دخلت وأنت تابع، ولك إن أجبتَني الآن أن أعطيَك ألف ألف درهم، أعجّل لك في هذا الوقت نصفها؛ وإذا دخلت الكوفة النّصف الآخر؛ فانسلّ عبيد الله إليه ليلاً، فدخل عسكر معاوية فوفّى له بما وعده، وأصبح الناس ينتظرون عبيد الله أن يخرج فيصلّيَ بهم؛ فلم يخرج حتى أصبحوا، فطلبوه فلم يجدُوه، فصلى بهم قيس بن سعد بن عبادة، ثم خطبهم فثبّتهم[٩]، وذكر عبيد الله فنال منه، ثم أمرهم بالصبر والنّهوض

---

(١) الشوب: الأخلاط من الناس.

(٢) مظلم ساباط: مضاف إلى ساباط التي قرب المدائن: موضع هناك، قال ياقوت: «ولا أدري لم سمي بذلك».

(٣) في مقاتل الطالبيين: «يا حسن، أشركت كما أشرك أبوك من قبل».

(٤) الأربية: أصل الفخذ.

(٥) مقاتل الطالبيين: «الخطل».

(٦) في نسخة: «فحصحصه».

(٧) مقاتل الطالبيين: «سعد».

(٨) في نسخة: «الحيوضة».

(٩) في مقاتل الطالبيين: «أيها الناس، لا يهولنكم ولا يعظمن عليكم ما صنع هذا الرجل الوله الورع «أي الجبان». إن هذا وأباه وأخاه لم يأتوا بيوم خير قط؛ إن أباه عم رسول الله صلّى الله عليه وسلم خرج يقاتل ببدر، فأسره أبو اليسر كعببن عمرو الأنصاري، فأتى به رسول الله صلّى الله عليه وسلم، فأخذ فداءه فقسمه بين المسلمين، وإن أخاه ولاه علي أميرالمؤمنين على البصرة، فسرق مال الله ومال المسلمين، فاشترى به الجواري؛ وزعم أنّ ذلك له حلال؛ وأنّ هذا ولاه على اليمن. فهرب من بسر بن أرطاة، وترك ولده حتى قتلوا، وصنع الآن هذا الذي صنع. قال: فتنادى الناس: الحمد لله الذيأخرجه من بيننا، فانهض بنا إلى عدونا، فنهض بهم».

إلى العدوّ، فأجابوه بالطاعة وقالوا له: إنهض بنا إلى عدوّنا على إسم الله، فنزل فنهض بهم.

وخرج إليه بُسْر بن أرطاة فصاح إلى أهل العراق: ويحكم! هذا أميركم عندنا قد بايع وإمامكم الحسن قد صالح، فعلامَ تقتلون أنفسكم!

فقال لهم قيس بن سعد: إختاروا إحدى اثنتين؛ إمّا القتال مع غير إمام، وإما أن تبايعوا بيعة ضلال، فقالوا: بل نقاتل بلا إمام، فخرجوا فضربوا أهل الشام حتى ردُّوهم إلى مصافّهم.

فكتب معاوية إلى قيس بن سعد يدعوه ويمنّيه، فكتب إليه قيس: لا ولا تلقاني أبداً إلّا بيني وبينك الرُّمح. فكتب إليه معاوية حينئذ لما يئس منه:

أما بعد؛ فإنّك يهوديّ ابن يهوديّ، تُشْقِي نفسك وتقتلها فيما ليس لك؛ فإن ظهر أحبّ الفريقين إليك نبذك وغدرك، وإن ظهر أبغضهم إليك نكّل بك وقتلك: وقد كان أبوك أوتر غير قوسه، ورمى غير غرضِه؛ فأكثر الحَزّ وأخطأ المِفصل، فخذله قومه، وأدركه يومه، فمات بحوران طريداً غريباً. والسّلام.

فكتب إليه قيس بن سعد:

أما بعد؛ فإنما أنت وثن ابن وثن، دخلت الإسلام كرْها، وأقمت فيه فَرَقا، وخرجت منه طوعا؛ ولم يجعل الله لك فيه نصيباً، لم يقدم إسلامك، ولم يحدث نفاقك؛ ولم تزل حرباً لله ولرسوله، وحزباً من أحزاب المشركين، وعدوّا لله ولنبيه وللمؤمنين من عباده ـ وذكرتَ أبي، فلعمرى ما أوتر إلّا غرضه، فشغب عليه من لا يُشقّ غباره، ولا يُبلغ كعبه؛ وزعمت أنّي يهوديّ ابن يهودي، وقد علمت وعلم الناس أنّي وأبي أعداء الدّين الذي خرجت منه، وأنصار الدين الذي دخلت فيه، وصرت إليه. والسّلام.

فلما قرأ معاوية كتابه غاظَه، وأراد إجابته، فقال له عمرو: مهلا، فإنك إن كاتبته أجابك بأشدّ من هذا؛ وإن تركته دخل فيما دخل فيه الناس. فأمسك عنه.

قال: وبعث معاوية عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن سَمُرة إلى الحسن للصلح، فدعواه إليه، فزهّداه في الأمر، وأعطياه ما شرطَ له معاوية، وألا يتبع أحد بما مضى، ولا ينال أحد من شيعة عليّ بمكروه، ولا يذكر عليٌّ إلّا بخير، وأشياء شَرَطها الحسن. فأجاب إلى ذلك، وانصرف قيس بن سعد فيمن معه إلى الكوفة، وانصرف الحسن أيضاً إليها، وأقبل معاوية قاصدا نحو الكوفة، واجتمع إلى الحسن عليه السلام وجوهُ الشيعة وأكابر أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام يلومونه، ويشكون إليه جزعاً مما فعله[1].

قال أبو الفرج: فحدّثني محمد بن أحمد بن عبيد، قال: حدثنا الفضل بن الحسن البصري

(١) مقاتل الطالبيين ٦٤ ـ ٦٧.

قال: حدّثنا ابن عمرو، قال: حدّثنا مكّي بن إبراهيم، قال: حدّثنا السريّ بن إسماعيل، عن الشعبيّ، عن سفيان بن أبي ليلى. قال أبو الفرج: وحدّثني به أيضاً محمد بن الحسين الأشناندانيّ، وعليّ بن العباس المقانعي[1]، عن عباد بن يعقوب، عن عمرو بن ثابت، عن الحسن بن الحكم، عن عديّ بن ثابت، عن سفيان بن أبي ليلى، قال: أتيتُ الحسن بن عليّ حين بايع معاوية، فوجدته بفناء داره، وعنده رهط، فقلت: السّلام عليك يا مذلّ المؤمنين؛ قال: وعليك السّلام يا سفيان، ونزلت فعقلت راحلتي، ثم أتيته فجلست إليه، فقال: كيف قلت يا سفيان؟

قلت: السّلام عليك يا مذلّ المؤمنين! فقال: لِمَ جرى هذا منك إلينا؟ قلت: أنت والله بأبي وأمي أذللتَ رقابنا حيث أعطيت هذا الطاغية البيْعة، وسلّمت الأمر إلى اللعين ابن آكلة الأكباد، ومعك مائة ألف كلّهم يموت دونك، فقد جمع الله عليك أمر الناس. فقال: يا سفيان، إنّا أهل بيت إذا علمنا الحقّ تمسّكنا به، وإني سمعتُ علياً يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تذهب الليالي والأيام حتى يجتمع أمرُ هذه الأمة على رجل واسع السّرْم[2]، ضخم البلعوم، يأكل ولا يشبع، لا ينظر الله إليه، ولا يموت حتى لا يكون له في السماء عاذر، ولا في الأرض ناصر»، وإنه لمعاوية، وإني عرفت أن الله بالغ أمره.

ثم أذّن المؤذّن، فقمنا على حالب نحلب ناقته، فتناول الإناء، فشرب قائماً، ثم سقاني، وخرجنا نمشي إلى المسجد، فقال لي: ما جاء بك يا سفيان؟

قلت: حبُّكم والذي بعث محمداً بالهدى ودين الحق! قال: فأبشر يا سفيان، فإنّي سمعتُ علياً يقول؟ سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: يرد عليّ الحوضَ أهلُ بيتي ومَنْ أحبّهم من أمتي كهاتين - يعني السبّابتين، أو كهاتين يعني السبّابة والوسطى - إحداهما تفضل على الأخرى، أبشر يا سفيان؛ فإنّ الدنيا تسع البرّ والفاجر؛ حتى يبعث الله إمام الحقّ من آل محمد ﷺ[3].

قلت: قوله: «و لا في الأرض ناصر»، أي ناصر ديني؛ أي لا يمكن أحداً أن ينتصر له بتأويل ديني يتكلف به عذراً لأفعاله القبيحة.

فإن قلت: قوله: «وإنه لمعاوية» من الحديث المرفوع، أو من كلام عليّ عليه السلام، أو من كلام الحسن عليه السلام؟ قلت: الظاهر أنه من كلام الحسن عليه السلام، فإنه قد غلب على ظنّه أنّ معاوية صاحب هذه الصفات، وإن كان القسمان الأولان غير ممتنعين.

فإن قلت: فمن هو إمام الحقّ من آل محمد؟ قلت: أمّا الإمامية فتزعم صاحبهم الذي يعتقدون أنه الآن حيٌّ في الأرض؛ وأمّا أصحابنا فيزعمون أنه فاطميٌّ يخلقه الله في آخر الزمان.

---

(١) في نسخة: «المفاقمي». (٢) في نسخة: «السرة».
(٣) مقاتل الطالبيين ٦٧ - ٦٨.

قال أبو الفرج: وسار معاوية حتى نزل النُّخَيلة، وجمع الناس بها فخطبهم قبل أن يدخل ما انتهى إلينا منها[١].

فأمّا الشعبيّ فإنه روى أنه قال في الخطبة: ما اختلف[٢] أمر أمة بعد نبيها إلّا وظهر أهل باطلها على أهل حقها، ثم انتبه فندم فقال: إلّا هذه الأمة فإنها وإنها...

وأما أبو إسحاق السَّبيعيّ فقال: إنّ معاوية قال في خطبته بالنُّخَيْلَةِ: ألا إنّ كلّ شيء أعطيته الحسن بن عليّ تحت قدميّ هاتين لا أفي به.

قال أبو إسحاق؛ وكان والله غدّارا.

وروى الأعمش عن عمرو بن مرّة؛ عن سعيد بن سويد، قال: صَلى بنا معاوية بالنُّخيلة الجمعة، ثم خطبنا، فقال: والله إني ما قاتلتكم لتصّلوا، ولا لتصوموا، ولا لتحجّوا ولا لتزكّوا، إنكم لتفعلون ذلك، وإنما قاتلتكم لأتأمّر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون.

قال: وكان عبد الرحمن بن شريك إذا حدّث بذلك، يقول: هذا والله هو التهتّك.

قال أبو الفرج: وحدّثني أبو عبيد محمّد بن أحمد، قال: حدثني الفضل بن الحسن البصرى، قال: حدثني يحيى بن معين قال: حدّثني أبو حفص اللّبان، عن عبد الرحمن بن شريك، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن حبيب بن أبي ثابت، قال: خطب معاوية بالكوفة حين دخلها، والحسن والحسين عليهما السلام جالسان تحت المنبر، فذكر علياً عليه السلام فنال منه، ثم نال من الحسن، فقام الحسين عليه السلام ليردّ عليه، فأخذه الحسن بيده فأجلسه، ثم قام فقال: أيّها الذاكر علياً؛ أنا الحسن، وأبي عليّ، وأنت معاوية وأبوك صَخر، وأميّ فاطمة وأمّك هند، وجدّي رسول الله وجدّك عُتْبة بن ربيعة، وجدّتي خديجة وجدّتك قتيلة، فلعن الله أخملَنا ذِكراً، وألأمنا حسباً، وشرّنا قديماً وحديثاً، وأقدمنا كفراً ونفاقاً فقال طوائف من أهل المسجد: آمين.

قال الفضل: قال يحيى بن معين: وأنا أقول: آمين.

قال أبو الفرج: قال أبو عبيد: قال الفضل: وأنا أقول «آمين»، ويقول عليّ بن الحسين الأصفهاني[٣]: آمين.

قال ابن أبي الحديد: قلت: ويقول عبد الحميد بن أبي الحديد مصنف هذا الكتاب: آمين[٤].

وقال المدائنيّ: فقال المسيّب بن نَجبَة للحَسن عليه السلام، ما ينقضي عجِبي منك! بايعتَ معاوية ومعك أربعون ألفا، ولم تأخذ لنفسك وثيقةً وعقداً ظاهراً، أعطاك أمراً فيما بينك وبينَه، ثم قال ما

---

(١) مقاتل الطالبيّين «من ذلك».
(٢) مقاتل الطالبيين: «ما اختلفت أمه».
(٣) مقاتل الطالبيين ٧٠.
(٤) شرح النهج: ٤٧/١٦، والغدير: ٨/١١.

قد سمعت، والله ما أراد بها غيرك، قال. فما ترى؟ قال: أرى أن ترجعَ إلى ما كنت عليه، فقد نقض ما كان بينه وبينك. فقال: يا مسيّب، إني لو أردت بما فعلت الدّنيا لم يكن معاوية بأصبرَ عند اللّقاء، ولا أثبتَ عند الحرب مّني، ولكني أردت صلاحكم، وكفّ بعضِكم عن بعض؛ فارضوا بقدَر الله وقضائه، حتى يستريح برّ، أو يُستراح من فاجر.

قال المدائنيّ ودخل عُبيدة بن عمرو الكِنديّ على الحسن ﷺ ـ وكان ضُرِب على وجهه ضربة وهو مع قيس بن سعد بن عبادة ـ فقال: ما الذي أرى بوجهك؟ قال: أصابني مع قيس. فالتفت حُجْر بن عديّ إلى الحسن، فقال: لوددت أنك كنتَ مُتّ قبل هذا اليوم، ولم يكن ما كان، إنّا رجعنا راغمين بما كرهنا، ورجعوا مسرورين بما أحبّوا. فتغيّر وجهُ الحسن، وغمز الحسين ﷺ حُجْراً، فسكت، فقال الحسن ﷺ: يا حجْرُ، ليس كلّ الناس يحبّ ما تحبّ ولا رأيه كرأيك، وما فعلت إلّا إبقاءً عليكَ، واللهُ كلَّ يوم في شأن.

قال المدائنيّ: ودخل عليه سفيان بن أبي ليلى النّهديّ، فقال له: السّلام عليك يا مذِلّ المؤمنين! فقال الحسن: إجلس يرحمك الله، إنّ رسول الله ﷺ رُفِع له مُلْك بني أميّة، فنظر إليهم يَعلون منبره واحداً فواحدا، فشقّ ذلك عليه، فأنزل الله تعالى في ذلك قرآنا قال له: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾[1].

وسمعت عليّاً أبي يقول: سيَلِي أمر هذه الأمة رجل واسع البُلعوم، كبير البطن، فسألته: من هو؟ فقال: معاوية.

وقال لي: إنّ القرآن قد نطق بملك بني أميّة ومدّتهم، قال تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[2]، قال أبي: هذه ملك بني أمية.

قال المدائني: فلمّا كان عام الصلح، أقام الحسن ﷺ بالكوفة أيّاماً، ثم تجهّز للشخوص إلى المدينة، فدخل عليه المسيّب بن نجبَةَ الفَزارِيّ وظبيان بن عُمارة التيميّ ليودّعاه، فقال الحسن: الحمد لله الغالب على أمرِه؛ لو أجمع الخَلق جميعاً على ألّا يكون ما هو كائن ما استطاعوا. فقال أخوه الحسين ﷺ: لقد كنت كارها لما كان، طيّب النفس على سبيل أبي حتى عزم عليّ أخي، فأطعته، وكأنما يجذّ أنفي بالمواسي، فقال المسيّب: إنه والله ما يكبر علينا هذا الأمر إلّا أن تُضاموا وتنتقصوا، فأمّا نحن، فإنهم سيطلبون مودّتنا بكل ما قدروا عليه، فقال الحسين: يا مسيّب، نحن نعلم أنك تحبّنا، فقال الحسن ﷺ: سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أحبّ قوماً كان معهم»، فعرض له المسّيب وظبيان بالرجوع، فقال: ليس [لي] إلى ذلك سبيل، فلمّا كان من غد خرج، فلمّا صار بدير هند نظر إلى الكوفة، وقال:

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٦٠. (٢) سورة القدر، الآية: ٣.

وَلاَ عَنْ قِلًى فارقتُ دارَ مَعاشرى   هم المانعون حَوزتى وذِمارِى

ثم سار إلى المدينة.

قال المدائنيّ: فقال معاوية يومئذ للوليد بن عُقْبة بن أبي مُعيط بعد شخوص الحسن ﷺ: يا أبا وهب، هل رمت؟ قال: نعم، وسموت.

قال المدائنيّ: أراد معاوية قولَ الوليد بن عقبة يحرّضه على الطلب بدم عثمان:

ألاَ أبلغْ مُعاويةَ بن حرب   فإنّك من أخي ثقة مُليمُ[1]

قطعت الدّهر كالسَّدِمِ المعنّى   تهدّرُ في دمشق ولا تريمُ[2]

فلو كنت القتيل وكان حيّاً   لشمّر لا ألفُّ ولا سئوم

وإنّك والكتاب إلى عليّ   كدابغة وقد حَلِمَ الأديمُ[3]

وروى المدائنيّ، عن إبراهيم بن محمد، عن زيد بن أسلم، قال: دخل رجل على الحسن ﷺ بالمدينة، وفي يده صحيفة، فقال له الرجل: ما هذه؟ قال: هذا كتاب معاوية، يتوعّد فيه على أمر كذا، فقال الرجل: لقد كنت على النّصَف، فما فعلت؟

فقال له الحسن ﷺ: أجلْ، ولكنّي خشيت أن يأتيَ يوم القيامة سبعون ألفا أو ثمانون ألفا، تشخب أوداجُهم دما، كلّهم يستعدِي الله فيم هُريق دمه!

قال أبو الحسن: وكان الحصين بن المنذر الرقاشيّ يقول: والله ما وفى معاوية للحسن بشيء ممّا أعطاه؛ قتل حُجْراً وأصحابَ حُجْر[4]، وبايع لابنه يزيد، وسمّ الحسن.

قال المدائنيّ: وروى أبو الطفيل، قال: قال الحسن ﷺ لمولى له: أتعرف معاوية بن خديج؟

قال: نعم، قال: إذا رأيتَه فأعلمني؛ فرآه خارجاً من دار عمرو بن حريث، فقال: هو هذا! فدعاه، فقال له: أنت الشّاتم عليّاً عند ابن آكلة الأكباد! أما والله لئن وردت الحوض ولم ترده لتريَنّه مشمراً عن ساقيه، حاسراً عن ذراعيه، يذود عنه المنافقين.

قال أبو الحسن: وروى هذا الخبر أيضاً قيس بن الربيع، عن بدر بن الخليل، عن مولى الحسن ﷺ.

---

(١) المليم: من أتى من الأمر ما يلام عليه.

(٢) في اللسان: «السدم: الذي يرغب عن فحلته فيحال بينه وبين ألافه ويقيد إذا هاج فيرعى حوالى الدار، وإن صال جعل له حجام يمنعه عن فتح فمه، ومنه قول الوليد بن عقبة... واستشهد بالبيت.

(٣) الحلم، بالتحريك: فساد الجلد؛ قال صاحب اللسان في شرح البيت: «يقول أنت تسعى في إصلاح أمر قد تم فساده؛ كهذه المرأة التي تدبغ الأديم الحلم الذي وقعت فيه الحلمة فنقبته وأفسدته فلا ينتفع به».

(٤) وهو حجر بن عدي.

قال أبو الحسن: وحدّثنا سليمان بن أيّوب، عن الأسود بن قيس العبدّي أنّ الحسن عليه السلام لقي يوماً حبيب بن مسلمة فقال له: يا حبيب، ربّ مسير لك في غير طاعة الله! فقال: أمّا مسيرى إلى أبيك فليس من ذلك، قال: بلى والله؛ ولكنك أطعت معاوية على دنيا قليلة زائلة، فلئن قام بك في دنياك، لقد قعد بك في آخرتك، ولو كنت إذْ فعلت شرّاً قلت خيراً، كان ذلك، كما قال عزّ وجلّ: ﴿خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَ آخَرَ سَيِّئاً﴾[1]، ولكنك كما قال سبحانه: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[2].

قال أبو الحسن: طلب زياد رجلاً من أصحاب الحسن، ممن كان في كتاب الأمان، فكتب إليه الحسن:

من الحسن بن عليّ إلى زياد؛ أمّا بعد؛ فقد علمت ما كنّا أخذنا من الأمان لأصحابنا، وقد ذكر لي فلانٌ أنك تعرّضت له، فأحبّ ألّا تعرض له إلّا بخير. والسّلام.

فلما أتاه الكتاب، وذلك بعد ادّعاء معاوية إياه غضِب حيث لم ينسبه إلى أبي سفيان، فكتب إليه:

من زياد بن أبي سفيان إلى الحسن؛ أما بعد، فإنه أتاني كتابك في فاسق تؤويه الفسّاق من شيعتك وشيعة أبيك، وأيمُ الله لأطلبنّه بين جلدِك ولحمك، وإنّ أحبّ الناس إليّ لحماً أن آكلَه للَحْمٌ أنت منه [والسّلام].

فلما قرأ الحسن عليه السلام الكتاب، بعث به إلى معاوية، فلما قرأه غضب وكتب:

من معاوية بن أبي سفيان إلى زياد. أمّا بعد، فإنّ لك رأيين: رأيا من أبي سفيان ورأياً من سُمَيّة، فأمّا رأيك من أبي سفيان فحلمٌ وحزم، وأمّا رأيك من سُمَـيّة فما يكون من مثلها. إنّ الحسن بن عليّ عليه السلام كتب إليّ بأ نّك عرضت لصاحبه، فلا تعرض له، فإني لم أجعل [لك] عليه سبيلاً؛ وإنّ الحسنَ ليس ممّن يرمَى به الرَّجَوَان[3]، والعجب من كتابك إليه لا تنسبه إلى أبيه أو إلى أمّه، فالآن حين اخترتَ له، والسّلام.

وقيل: خرج الحسن إلى الناس وعليه ثياب سود، ثم وجّه عبد الله بن عباس ومعه قَيْس بن سعد بن عبادة مقدّمة له في إثني عشر ألفا إلى الشام، وخرج وهو يريد المدائن، فطعِن بساباط وانتهب متاعه؛ ودخل المدائن؛ وبلغ ذلك معاوية، فأشاعه؛ وجعل أصحاب الحسن الذين وجّههم مع عبد الله يتسلّلون إلى معاوية، الوجوه وأهل البيوتات. فكتب عبد الله بن العباس بذلك إلى

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٢. (٢) سورة المطففين، الآية: ١٤.

(٣) الرجوان: تثنية رجا، والرجا مقصوراً: ناحية كل شيء. ويقال: رمى به الرجوان: إذا استهان به، فكأنه رمى به هنالك، أراد أنه طرح في المهالك.

الحسن عليه السلام فخطب الناس ووبّخهم، وقال: خالفتم أبي حتى حُكّم وهو كاره، ثم دعاكم إلى قتال أهل الشام بعد التحكيم، فأبيتم حتى صار إلى كرامة الله، ثم بايعتموني على أن تسالموا مَنْ سالمني، وتحاربوا مَنْ حاربني؛ وقد أتاني أنّ أهل الشرف منكم قد أتوا معاوية، وبايعوه؛ فحسبي منكم، لا تغرّوني في ديني ونفسي.

وأرسل عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ـ وأمه هند بنت أبي سفيان بن حرب ـ إلى معاوية يسأله المسالمة، واشترط عليه العمل بكتاب الله وسنة نبيّه، وألّا يبايع لأحد من بعده، وأن يكون الأمر شورى، وأن يكون الناس أجمعون آمنين.

وكتب بذلك كتابا، فأبى الحسين عليه السلام، وامتنع؛ فكلّمه الحسن حتى رضيَ، وقدم معاوية إلى الكوفة.

قال أبو الحسن: وحدّثنا أبو بكر بن الأسود، قال: كتب ابن العباس إلى الحسن:

أمّا بعد فإن المسلمين ولّوْك أمرهم بعد عليّ عليه السلام، فشمّرْ للحرب، وجاهد عدوّك، وقاربْ أصحابك، واشتر من الظّنين[1] دينَه بما لا يثلِم[2] لك ديناً[3]، ووالِ أهل البيوتات والشّرَف، تستصلح به عشائرهم، حتى يكون الناس جماعة؛ فإنّ بعض ما يكره الناس ـ مالم يتعد الحقّ؛ وكانت عواقبه تؤدي إلى ظهور العدل وعزّ الدين ـ خير من كثير مما يحبّه الناس اذا كانت عواقبه تدعو إلى ظهور الجوْر وذلّ المؤمنين، وعزّ الفاجرين. واقْتَدِ بما جاء عن أئمّة العدل، فقد جاء عنهم أنه لا يصلح الكذب إلّا في حرْب أو إصلاح بين الناس؛ فإنّ الحرب خدعة؛ ولك في ذلك سعة إذا كنت محارباً، ما لم تبطلْ حقّاً.

واعلم أنّ علياً أباك إنّما رغِبَ الناس عنه إلى معاوية، أنّه أسَاءَ بينهم في الفيء، وسوّي بينهم في العطاء، فثقُل عليهم؛ واعلم أ نّك تحاربُ مَنْ حارب الله ورسوله في ابتداء الإسلام؛ حتى ظهر أمرُ الله، فلمّا وحّد الرب، ومحق الشرك، وعزّ الدين، أظهروا الإيمان وقرأوا القرآن مستهزئين بآياته، وقاموا إلى الصلاة وهم كسالى، وأدّوا الفرائض وهم لها كارهون؛ فلما رأوْا أنه لا يعزّ في الدّين إلّا الأتقياء الأبرار، توسّموا بسيماء الصّالحين، ليظنّ المسلمون بهم خيراً، فما زالوا بذلك حتى شركوهم في أماناتهم، وقالوا: حسابهم على الله؛ فإن كانوا صادقين فإخواننا في الدين، وإن كانوا كاذبين كانوا بما اقترفوا هم الأخسرين، وقد منيت بأولئك وبأبنائهم وأشباههم والله ما زادهم طول العمر الّا غيّاً ولا زادهم ذلك لأهل الدين إلّا مقتاً؛ فجاهِدْهم ولا ترض دنيّة، ولا تقبل خسفاً[4]؛ فإنّ علياً لم يُجب إلى الحكومة حتى غُلب على أمره فأجاب؛ وإنهم يعلمون أنّه أوْلَى

---

(1) الظنين: «المتهم».
(2) يثلم: يعيب.
(3) عيون الأخبار (1/14): يفك.
(4) خسفاً: أي ذلا.

بالأمر إن حكموا بالعدل، فلمّا حكموا بالهوى، رجع إلى ما كان عليه حتى أتى عليه أجلُه، ولا تخرجنّ من حق أنت أولى به، حتى يحول الموت دون ذلك. والسّلام.

قال المدائنيّ: وكتب الحسن عليه السلام إلى معاوية:

من عبد الله الحسن أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان. أما بعد فإنّ الله بعث محمداً ﷺ رحمةً للعالمين، فأظهر به الحقّ، وقمع به الشّرْك، وأعزّ به العرب عامّة، وشرّف به قريشا خاصّة، فقال: ﴿وَ إِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَ لِقَوْمِكَ﴾[1]؛ فلمّا توفاه الله تنازعت العرب في الأمر بعده، فقالت قريش: نحن عشيرته وأولياؤه، فلا تنازعونا سلطانه، فعرفت العرب لقريش ذلك؛ وجاحدتنا قريش ما عرفت لها العرب، فهيهات! ما أنصفتنا قريش وقد كانوا ذوي فضيلة في الدّين، وسابقة في الإسلام؛ ولا غَرو[2] إلّا منازعته إيّانا الأمر بغير حق في الدنيا معروف، ولا أثر في الإسلام محمود، فالله الموعد، نسأل الله ألّا يؤتينا في هذه الدنيا شيئاً ينقصنا عنده في الآخرة. إنّ علياً لمّا توفّاه الله ولّاني المسلمون الأمْر بعده، فاتق الله يا معاوية وانظر لأمة محمد ﷺ ما تحقِنُ به دماءها، وتصلح به أمرها. والسّلام.

وبعث بالكتاب مع الحارث بن سويد التيميّ، تيْم الرِّباب، وجندب الأزديّ، فقدما على معاوية فدعواه إلى بيعة الحسن عليه السلام فلم يجبهما، وكتب جوابه:

أمّا بعد، فقد فهمتُ ما ذكرت به رسول الله، وهو أحقّ الأوّلين والآخرين بالفَضْل كلّه، وذكرت تنازع المسلمين الأمر بعده، فصرَّحْتَ بتهمة أبي بكر الصديق وعمر وأبي عبيدة الأمين، وصُلَحاء المهاجرين، فكرهتُ لك ذلك؛ إنّ الأمّة لمّا تنازعت الأمر بينها رأت قريشا أخلقها به؛ فرأت قريش والأنصار وذوو الفضل والدين من المسلمين أن يولّوا من قريش أعلمها بالله، وأخشاها له؛ وأقواها على الأمر، فاختاروا أبا بكر ولم يألوا، ولو علموا مكان رجل غير أبي بكر يقوم مقامَه ويذبّ عن حرم الإسلام ذبَّه ما عدلوا بالأمر إلى أبي بكر، والحال اليوم بيني وبينك على ما كانوا عليه، فلو علمتُ أ نّك أضبط لأمر الرعيّة، وأحوطُ على هذه الأمة، وأحسن سياسة، وأكيَد للعدوّ، وأقوى على جمع الفيء، لسلّمتُ لك الأمر بعد أبيك؛ فإنّ أباك سعى على عثمان حتى قُتِل مظلوماً، فطالب الله بدمه؛ ومن يطلبه الله فلن يفوته. ثم ابتزّ الأمّة أمرها، وفرّق جماعتها، فخالفه نظراؤه من أهل السابقة والجهاد والقدَم في الإسلام، وادّعى أنهم نكثوا بيعته، فقاتلهم فسُفكت الدماء؛ واستُحلّت الحرَم، ثم أقبل إلينا لا يدّعى علينا بيعة؛ ولكنه يريد أن يملكنا اغترارا، فحاربناه وحاربَنا، ثم صارت الحرب إلى أن أختار رجلاً واخترنا رجلاً ليحكما بما تصلح عليه الأمّة وتعود به الجماعة والألفة، وأخذنا بذلك عليهما ميثاقاً وعليه مثله وعلينا مثله، على الرضا بما حكما، فأمضى الحكمان عليه الحكْم بما علمت، وخلعاه، فوالله ما رضي بالحكم، ولا صبر لأمر الله؛

(١) سورة الزخرف، الآية: ٤٤.

(٢) لا غرو: أي لا عجب.

فكيف تدعوني إلى أمر إنّما تطلبه بحق أبيك، وقد خرج منه! فانظر لنفسك ولدينك. والسّلام.

قال: ثم قال للحارث وجندب: إرجعا فليس بيني وبينكم إلّا السيف؛ فرجعا وأقبل إلى العراق في ستين ألفا؛ واستخلف على الشام الضحّاك بن قيس الفهريّ والحسن مقيم بالكوفة، لم يشخص حتى بلَغه أنّ معاوية قد عبر جسر منْبِج، فوجّه حجْر بن عديّ يأمر العمال بالإحتراس، ويذبّ الناس، فسارعوا. فعقد لقيس بن سعد بن عبادة على اثنى عشر ألفا، فنَزل دير عبد الرحمن، واستخلف على الكوفة المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وأمر قيس بن سعد بالمسير، وودّعه وأوصاه، فأخذ على الفرات وقرى الفلُّوجة، ثم إلى مَسْكِن. وارتحل الحسن عليه السلام متوجّها نحو المدائن، فأتى ساباط فأقام بها أيّاما، فلما أراد أن يرحل إلى المدائن قام فخَطب الناس، فقال: أيّها الناس؛ إنكم بايعتموني على أن تسالموا مَنْ سالمت وتحاربوا مَنْ حاربت، وإني والله ما أصبحت محتملا على أحد من هذه الأمة ضغينة في شرق ولا غرب، ولِمَا تكرهون في الجماعة والألفة والأمن، وصلاح ذات البين خير مما تحبّون في الفرقة، والخوف والتباغض والعداوة، وإنّ علياً أبي كان يقول: لا تكرهوا إمارة معاوية؛ فإنكم لو فارقتموه لرأيتم الرؤوس تُنْدَر[1] عن كواهلها كالحنظل. ثم نزل.

فقال الناس: ما قال هذا القول إلّا وهو خالع نفسه ومسلّمٌ الأمرَ لمعاوية، فثاروا به فقطعوا كلامَه، وانتهبوا متاعه، وانتزعوا مُطْرَفاً كان عليه، وأخذوا جارية كانت معه، واختلف الناس فصارت طائفة معه؛ وأكثرهم عليه، فقال: اللهمّ أنت المستعان، وأمر بالرّحيل، فارتحل الناس، وأتاه رجل بفرس، فركبه وأطاف به بعض أصحابه، فمنعوا الناس عنه وساروا، فتقدّمه سنان بن الجرّاح الأسديّ إلى مظلِم ساباط، فأقام به؛ فلما دنا منه تقدّم إليه يكلّمه، وطعنه في فخذه بالمِغْوَل[2] طعنة كادت تصل إلى العظم، فغُشِي عليه وابتدره أصحابه، فسبق إليه عُبيد الله الطائيّ، فصرع سنانا وأخذ ظبيان بن عُمّارة المعوّل من يده، فضربه به فقطع أنفه، ثم ضربه بصخرة على رأسه فقتله؛ وأفاق الحسن عليه السلام من غَشْيته، فعصبوا جُرحه وقد نزف وضعف، فقدموا به المدائن وعليها سعد بن مسعود، عمّ المختار بن أبي عُبيد، وأقام بالمدائن حتى بري من جرحه.

وعن يُونس بن أبي إسحاق، عن أبيه، وعن أبي السفر وغيرهم قالُوا: بايع أهل العراق بعد علي بن أبي طالب الحسن بن علي، ثم قالُوا له: سر إلى هؤلاء القوم الذين عصُوا الله ورسوله وارتكبُوا العظيم، وابتزّوا الناس أمُورهم فإنا نرجُو أن يُمكن الله منهم.

فسار الحسن إلى أهل الشام وجعل على مقدمته قيس بن سعد بن عُبادة في اثني عشر ألفاً وكانوا يُسمّون شرطة الخميس.

---

(١) تندر: تقطع.

(٢) المعول: حديدة ينقر بها الصخر.

وقال غيُره: وجّه إلى الشام عبيد الله بن العباس ومعه قيس بن سعد، فسار فيهم قيس حتى نزل مسكن والأنبار وناحيتها، وسار الحسن حتى نزل بالمدائن، وأقبل مُعاوية في أهل الشام يُريد الحسن حتى نزل جسر منبج، فبينا الحسن بالمدائن إذ نادى مُناد في عسكره: ألا إنّ قيس بن سعد قد قُتل، قال: فشدّ الناس على حجرة الحسن فانتهبُوها حتى انتهبت بسطه وجواريه، وأخذوا رداءه من ظهره وطعنه رجل من بني أسد يُقال له: ابن أقيصر، بخنجر مسمُوم في إليته فتحوّل من مكانه الذي انتهب فيه متاعه ونزل الأبيض ـ قصر كسرى ـ وقال: عليكم لعنة الله من أهل قرية فقد عَلِمتُ أنه لا خير فيكم قتلتم أبي بالأمس واليوم تفعلون بي هذا.

ثم دعا عمرو بن سلمة الأرحبي فأرسله وكتب معه إلى معاوية بن أبي سفيان يسأله الصّلح ويُسلّم له الأمر على أن يُسلم له ثلاث خصال:

يُسلّم له بيت المال فيقضي منه دينه ومواعيده التي عليه ويتحمل منه هو ومن [معه] عيال أهل أبيه وولده وأهل بيته ولا يُسبّ علي وهو يسمع.

وأن يحمل إليه خراج فسا[١] ودار ابجرد[٢] من أرض فارس كل عام إلى المدينة ما بقي، فأجابه مُعاوية إلى ذلك وأعطاهُ ماسأل ويُقال: بل أرسل الحسنُ بن علي عبد الله بن الحارث بن نوفل إلى مُعاوية حتى أخذ له ما سأل، وأرسل مُعاوية عبد الله بن عامر بن كريز وعبد الرحمن بن سمُرة بن حبيب بن عبد الشمس فقدما المدائن إلى الحسن فأعطاه ماسأل وما أراد ووثّقا له.

فكتب إليه الحسن أن أقبل. فأقبل من جسر منبج إلى مسكن في خمسة أيام وقد دخل يوم السادس فسَلم إليه الحسن الأمر وبايعه ثم سارا جميعاً حتى قدما الكوفة فنزل الحسن القصر ونزل معاويه النخيلة. فأتاه الحسن في عسكره غير مرة، ووفى معاوية للحسن ببيت المال وكان فيه يومئذ سبعة آلاف درهم، واحتملها الحسن، وتجهّز بها هو وأهل بيته إلى المدينة، وكفّ مُعاوية عن سبّ علي والحسن يسمع.

ودسّ معاوية إلى أهل البصره فطردوا وكيل الحسن وقالوا: لا تحمل فيأنا إلى غيرنا ـ يعنون خراج فسا ودارابجرُد ـ فأجرى مُعاوية على الحسن كل سنة ألف ألف درهم وعاش الحسن ﷺ بعد ذلك عشر سنين[٣].

وقيل: أقام الحسن بن علي ﷺ بالكوفة بعد مقتل أبيه شهرين كاملين لاينفذ إلى معاوية أحداً، ولا ذكر المسير إلى الشام فورد عليه كتاب من ابن عباس ومما جاء فيه: «يابن رسول الله فإنّ

(١) فسا: من انزه مدن درابجرد في فارس بينها وبين شيراز سبعة وعشرين فرسخاً (معجم البلدان).
(٢) دارابجرد، ويقال: درابجرد: كورة بفارس، من مدنها فسا وهي أكبر من دارابجرد (معجم البلدان).
(٣) سير أعلام النبلاء ٣: ٢٦٣ ـ ٢٦٤.

المسلمين ولّوك أمرهم بعد أبيك ـ رضي الله عنه ـ وقد أنكروا قعودك عن معاوية وطلبك لحقّك فشمّر للحرب وجاهد عدوك».

فبعث الحسن بكتاب إلى معاوية ـ بعد بيعته ـ يدعوه إلى طاعته وبيعته فكتب إليه معاوية برفض ما طلبه منه ثم جمع الناس وخرج في ستين ألفاً يريد العراق، عندئذ سار الحسن من الكوفة إلى مسكن وتجهّز وعبّأ الجيش، وجرت في عسكره مشاحنات حتى أنهم نفروا بسرادقة، ونهبوا متاعه، وتفرق الأمر عنه، فكتب إلى معاوية في الصلح وفق شروط.

وكان ذلك بعد أن رأى الحسن نفسه أمام ظروف دقيقة ـ حتّمت عليه ـ بعد موقف الحيرة الذي وجد نفسه فيه اتخاذ الموقف الجريء الواضح والذي لم يرض أن يهراق في أمره محجمة دم، فكانت خطّة حقن الدماء التي أقرّها وقرّرها.

وأمّا الظروف التي أملت عليه اتخاذ هذا الموقف فهي:

١ ـ خطة الحرب النفسية والدعائيّة التي شنّها معاوية والتي قضى من ورائها تدمير مقاومة الجيش وصموده في مسكن.

٢ ـ نشر الشائعات في جيش الحسن، وكانوا من أغرار الناس المتأرجحين بين الطاعة والعصيان والمتأهبين للفتنة والإضطرابات في كل حين.

٣ ـ تهديم معنويات جيش الحسن.

هذا ما أدّى إلى نهب سرادق الحسن ومتاعه وعامة أثقاله وتفرّق أصحابه. ومما أدّى إلى تطاول سنان بن الجراح الأسدي على الحسن ومهاجمته وجرحه جراحة كادت تأتي عليه. وما همّ به المختار بن أبي عبيد في إقناع عمه باستيثاق الحسن وأن يستأمن به من معاوية، وانخزال القبائل قبيلة بعد قبيلة إلى معاوية.

أمام هذا... كله وقف الحسن متأملاً، غير عابىء بما يدور حوله، ووضع خطته فيما يريده الله وما يؤثره من رسول الله ﷺ وما يجب لصيانة المبدأ، أمّا ما يقوله الناس، فلم يكن ذلك مما يعنيه كثيراً[1].

ومما اشترطه الحسن على معاوية:

١ ـ أن يعمل معاوية بالمؤمنين بكتاب الله وسنة نبيّه ﷺ وسيرة الخلفاء الصالحين من بعده.

٢ ـ ليس لمعاوية أن يعهد لأحد من بعده عهداً بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين.

٣ ـ الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله شامهم وعراقهم وتهامهم وحجازهم.

---

(١) عن هامش الإمامة والسياسة: ١/ ١٨٤.

٤ ـ أصحاب علي وشيعته آمنون على انفسهم وأموالهم ونسائهم ودمائهم وعلى معاوية عهد الله وميثاقه.

وذكر أنه اتفق بينهما على معاهدة صلح وقّعها الفريقان: وصورتها كما أخذناها من مصادرها حرفياً:

المادة الأولى:

تسليم الأمر إلى معاوية على أن يعمل بكتاب الله وسنّة رسوله وبسيرة الخلفاء الصالحين[١].

المادة الثانية:

أن يكون الأمر للحسن من بعده وليس لمعاوية أن يعهد به إلى أحد[٢].

المادة الثالثة:

أن يترك سبّ أمير المؤمنين والقنوت عليه بالصلاة وأن لا يذكر علياً إلّا بخير[٣].

المادة الرابعة:

يسلم ما في بيت مال الكوفة خمسة آلاف ألف للحسن وله خراج دارابجرد ويحمل لأخيه الحسين في كل عام ألفي ألف، ويفضل بني هاشم في العطاء والصلات على بني عبد شمس[٤].

المادة الخامسة:

أن لا يأخذ أحداً من أهل العراق بإحنة، وأن يؤمن الأسود والأحمر ويحتمل ما يكون من هفواتهم، وعلى أنّ الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله في شامهم وعراقهم وتهامهم وحجازهم[٥]

وعن الزهري، قال: فكاتب الحسنُ لما طُعن معاوية وأرسل يشرط شرطه فقال: إن أعطيتني هذا فإني سامع مطيع وعليك أن تفي به. فوقعت صحيفة الحسن في يد معاوية، وقد أرسل معاوية إلى الحسن بصحيفة بيضاء مختوم على أسفلها وكتب إليه: أنْ اشترط في هذه ماشئت فما اشترطت فهو لك. فلما أتت حسناً جعل يشترط أضعاف الشروط التي سأل معاوية قبل ذلك وأمسكها عنده، وأمسك معاوية صحيفة الحسن التي كتبت إليه يسأله ما فيها.

(١) شرح النهج: ٨/٤، والنصائح الكافيه: ١٥٦.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ١٩٤ والإصابة ٢: ١٢ ـ ١٣ ودائرة معارف وجدي ٣: ٤٤٣.

(٣) مقاتل الطالبين: ٢٦ وشرح النهج ٤ : ١٥ وقال آخرون إنه أجابه على أن لا يشتم علياً وهو يسمع: وقال ابن الأثير: ثم لم يف به أيضاً.

(٤) تاريخ الطبري: ٦/٢، وفي الأخبار الطوال: ٢١٨.

(٥) فتوح ابن الأعثم: ٤/١٦٠، والأخبار الطوال: ٢١٨.

فلما التقيا وبايعه الحسن سأل الحسن معاوية أن يعطيه الشروط التي اشترط في السجل الذي ختم معاوية على أسفله وأبى معاوية أن يعطيه ذلك، وقال: لك ما كنت كتبت إليّ تسألني أن أعطيك، فإني قد أعطيتكها حين جاءني. فقال له الحسن: وأنا قد اشترطت عليك حين جاءني سجلك وأعطيتني العهد على الوفاء بما فيه. فاختلفا في ذلك فلم ينفذ للحسن من الشرط شيئاً[١].

وعن أنس ـ يعني ـ ابن سيرين، قال: قال الحسن بن عليّ عليه السلام يوم كلّم معاوية: ما بين جابرس[٢] وجابلق رجل جدّه نبيّ غيري، وإني رأيت أن أصلح بين أمة مُحمّد صلى الله عليه وآله، وكنت أحقّهم بذلك، ألا وإنّا قد بايعنا معاوية ﴿وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين﴾[٣].

وعن مُحمّد، قال: لما كان زمن ورود معاوية الكوفة واجتمع الناس عليه وتابعه الحسن بن علي عليه السلام، قال: قال أصحاب معاوية لمعاوية: عمرو بن العاص والوليد بن عقبة وأمثالهما من أصحابه ـ: إنّ الحسن بن عليّ عليه السلام مرتفع في أنفس الناس لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله وإنّه حديث السن عييّ، فمره فليخطب فإنه سيعيى في الخطبة، فيسقط من أنفس الناس فأبى عليهم فلم يزالوا به حتى أمره فقام الحسن بن علي عليه السلام على المنبر دون معاوية فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

والله لو ابتغيتم بين جابلق وجابلس رجلاً جدّه نبيّ غيري وغير أخي لم تجدوه وإنّا قد أعطينا بيعتنا معاوية ورأينا أنّ حقن دماء المسلمين خير فما إهراقها؟ والله ما أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين.

قال: وأشار بيده إلى معاوية. قال: فغضب معاوية فخطب بعده خطبة عيية فاحشة ثم نزل، وقال: ما أردت بقولك فتنة لكم ومتاع إلى حين؟ قال: أردت بها ما أراد الله بها[٤].

* * *

علّة مصالحة الحسن عليه السلام معاوية لعنه الله

وفي كتاب العلل عن الحسن عليه السلام: علّة مصالحتي لمعاوية علّة مصالحة رسول الله صلى الله عليه وآله لبني ضمرة وبني أشجع ولأهل مكّة حين انصرف من الحديبيّة، أولئك كفّار بالتنزيل ومعاوية وأصحابه

---

(١) قال ابن عبد البر في الإستيعاب: ١/ ٣٧١ في ترجمة الإمام الحسن: «فخالف معاوية هذا الشرط وحمل المسلمين على بيعة ابنه شارب الخمر دائم السكر اللاعب بالكلاب والأنس بالمغنين...».

(٢) قال معمر: جابلق وجابرس المشرق والمغرب.
وفي معجم البلدان: وجابرس مدينة بأقصى المشرق، وجابلق: مدينة بأقصى المغرب. والخبر في المعجم الكبير: ٣٠/ ١٢٠ في ترجمة الإمام الحسن.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ١١١.

(٤) سير أعلام النبلاء ٣: ٢٧١ ـ ٢٧٢ البداية والنهاية ٨: ٤٢.

كفّار بالتأويل، يا أبا سعيد إذا كنت إماماً من قبل الله تعالى ذكره لم يجب أن يسفه رأيي فيما أتيته من مهادنة أو محاربة وإن كان وجه الحكمة فيما أتيته ملتبساً. ألا ترى الخضر لمّا خرق السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار سخط موسى عليه السلام فعله لاشتباه وجه الحكمة فيه حتّى أخبره فرضي، هكذا أنا، سخطتم عليّ بجهلكم بوجه الحكمة فيه ولولا ما أتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحد إلّا قُتِل.

وذكر يوسف بن مازن أنّ الحسن عليه السلام بايع معاوية على أن لا يسمّيه أمير المؤمنين ولا يقيم عنده شهادة وعلى أن لا يتعقّب على شيعة عليّ شيئاً وعلى أن يفرق في أولاد من قتل مع أبيه يوم الجمل وأولاد من قُتل مع أبيه بصفّين ألف ألف درهم، وأن يجعل ذلك من خراج دار بجرد قال: وما ألطف حيلة الحسن عليه السلام في إسقاطه إيّاه عن إمرة المؤمنين، وما وفى معاوية للحسن بن علي بشيء عاهده عليه[1].

وعن أبي سعيد قال: لمّا صالح الحسن عليه السلام معاوية دخل عليه الناس فلامه بعضهم فقال: ويحكم والله الّذي عملت خير لشيعتي ممّا طلعت الشمس عليه أو غربت أما علمتم أنّه ما منّا أحدٌ إلّا ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه إلّا القائم الذي يصلّي خلفه عيسى، فإنّ الله يغيب ولادته ويخفي شخصه لئلّا يكون لأحد في عنقه بيعة ذاك التاسع من ولد أخي الحسين يطيل الله عمره في غيبته ثمّ يظهر بقدرته في صورة شاب ابن دون أربعين سنة.

وعن زيد الجهني قال: لمّا طعن الحسن عليه السلام بالمدائن أتيته وهو متوجّع فقلت: ما ترى يابن رسول الله، فإنّ الناس متحيّرون؟

فقال: أرى والله معاوية خيرٌ لي من هؤلاء، يزعمون أنّهم شيعتي ابتغوا قتلي وانتهبوا ثقلي وأخذوا مالي والله لأن آخذ من معاوية عهداً أحقن به دمي وآمن به في أهلي خيرٌ أن يقتلونني فيضيع أهل بيتي، والله لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقي حتّى يدفعوني إليه سلماً، فوالله لأن أسالمه وأنا عزيز خيرٌ من أن يقتلني وأنا أسيره أو يمنّ عليّ فيكون سبّة على بني هاشم آخر الدهر، ومعاوية لا يزال يمنّ بها وعقبه على الحيّ منّا والميّت.

قال: قلت: أتترك يابن رسول الله شيعتك كالغنم ليس لهم راع؟

قال عليه السلام: والله إنّ أمير المؤمنين قال لي ذات يوم وقد رآني فرحاً: أتفرح يا حسن كيف بك إذا رأيت أباك قتيلاً؟ أم كيف بك إذا ولّي هذا الأمر بنو أُميّة وأميرها الرحب البلعوم يأكل ولا يشبع تدين له العباد ويطول ملكه يسنّن بسنن البدع والضلال يقتل من ناوأه على الحقّ حتّى يبعث الله رجلاً في آخر الزمان وكلب من الدّهر يؤيّده الله بملائكته ويظهره على الأرض حتّى يدينوا له طوعاً وكرهاً

(١) علل الشرائع: ١/ ٢١٢، والبحار: ٤٤/ ٣.

حتّى لا يبقى كافر إلّا آمن ولا طالح إلّا صلح وتصطلح في ملكه السباع، تظهر له الكنوز، يملك ما بين الخافقين أربعين عاماً فطوبى لمن أدرك أيّامه وسمع كلامه(١).

وفي كتاب أعلام الدِّين للديلمي قال: خطب الحسن بن علي بعد وفاة أبيه فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أما والله ما ثنانا عن قتال أهل الشام ذلّة ولا قلّة ولكن كنّا نقاتلهم بالسلامة والصبر فشيب السلامة بالعداوة والصبر بالجزع وكنتم تتوجّهون معنا ودينكم أمام دنياكم وقد أصبحتم الآن ودنياكم أمام دينكم، وكنّا لكم وكنتم لنا وقد صرتم اليوم علينا ثمّ أصبحتم تدّعون قتيلين قتيلاً بصفّين تبكون عليهم، وقتيلاً بالنهروان يطلبون بثأرهم، فأمّا الباكي فخاذل وأمّا الطالب فثائر، وإنّ معاوية قد دعى إلى أمر ليس فيه عزّ ولا نصفة فإن أردتم الحياة قبلناه منه وأغضضنا على القذى وإن أردتم الموت بذلناه في ذات الله، فنادى القوم بأجمعهم: بل التقيّة(٢).

وروى الكشّي عن الصادق عليه السلام قال: جاء رجل من أصحاب الحسن عليه السلام يقال له: سفير بن ليلى فدخل على الحسن عليه السلام فقال: السلام عليك يا مذلّ المؤمنين، فقال عليه السلام: لا تعجل وما علمك بذلك؟

قال: عمدت إلى أمر الأمّة فخلعته من عنقك وقلّدته هذا الطاغية يحكم بغير ما أنزل الله، فقال عليه السلام: فعلت ذلك لأنّي سمعت أبي يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لن تذهب الأيّام والليالي حتّى يلي أمر هذه الأمّة رجل واسع البلعوم يأكل ولا يشبع وهو معاوية فلذلك فعلت.

وقال السيّد المرتضى طاب ثراه في تنزيه الأنبياء: فإن قال قائل ما العذر له عليه السلام في خلع نفسه من الإمامة وتسليمها إلى معاوية مع ظهور فجوره، ثمّ في أخذ عطائه وصلاته مع توفّر أنصاره ومبايعة من كان يبذل عنه دمه وماله حتّى سمّوه مذلّ المؤمنين وعابوه في وجهه؟

قلنا: قد ثبت أنّه عليه السلام الإمام المعصوم، فلابدّ من التسليم لجميع أفعاله وحملها على الصحّة وإن كان فيها ما لا يعرف وجهه على التفصيل وكان له ظاهر ربما نفرت النفس عنه مع أنّ الذي جرى منه عليه السلام كان السبب فيه ظاهراً لأنّ المجتمعين له من الأصحاب كانت قلوبهم مائلة إلى دنيا معاوية من غير مساترة فأظهروا له عليه السلام النصرة وحملوه على المحاربة طمعاً في أن يورّطوه ويسلّموه فأحسّ بذلك منهم قبل التلبّس فتحرّز من المكيدة في سعة من الوقت.

وقد صرّح عليه السلام بهذا في مواقف كثيرة، وقال عليه السلام: إنّما هادنت حقناً للدماء وإشفاقاً على نفسي وأهلي، فكيف لا يخاف أصحابه ويتّهمهم وهو لمّا كتب إلى معاوية يعلمه أنّ الناس قد بايعوه بعد أبيه ويدعوه إلى طاعته فأجابه معاوية: لو كنت أعلم أنّك أضبط للناس لبايعتك لأنّي أراك لكلّ

(١) الاحتجاج: ٢/١١، والبحار: ٤٤/٢٠.

(٢) البحار: ٤٤/٢١، والاحتجاج: ١٤٨.

خير أهلاً، ثمّ خطب أصحابه بالكوفة يحضّهم على الجهاد وأمرهم أن يخرجوا إلى معسكرهم فما أجابه أحد.

فقال لهم عدي بن حاتم: سبحان الله ألا تجيبون إمامكم؟ أين خطباء مصر؟ فقام قيس بن سعد وفلان وفلان فبذلوا الجهاد وأحسنوا القول. ونحن نعلم أنّ من ضمن بكلامه أولى بأن يضن بالفعال أوليس أحدهم طعنه بساباط بمعول أصاب فخذه وشقّه إلى العظم فحمل إلى المدائن وعليها سعد بن مسعود عمّ المختار من قبل أمير المؤمنين ﷺ فأشار المختار على عمّه أن يوثقه ويسير به إلى معاوية طمعاً في عطائه فقال للمختار: قبّح الله رأيك، ثمّ أتاه بطبيب داواه فمن ذا الذي يرجو السلامة بين هؤلاء فضلاً عن النصرة.

وقد أجاب حجر بن عدي لمّا قال له: سوّدت وجوه المؤمنين، فقال له ﷺ: ما كلّ أحد يحبّ ما تحبّ ولا رأيه كرأيك وإنّما فعلت ما فعلت إبقاءً عليكم[1].

وقد روي أنّه لمّا طالبه معاوية بأن يتكلّم على الناس ويعلمهم ما عنده في هذا الباب قام وقال بعد الحمد لله: أيّها الناس لو طلبتم بين جابلق وجابرس رجلاً جدّه رسول الله ما وجدتموه غيري وغير أخي، وأنّ معاوية نازعني حقّاً هو لي فتركته لصلاح الأمّة وحقن دمائها. وكلامه في هذا الباب الذي يصرّح في جميعه بأنّه مقهور ملجأ إلى التسليم ودافع بالمسالمة الضرر العظيم أشهر من الشمس.

فأمّا قول السائل: إنّه خلع نفسه من الإمامة فمعاذ الله لأنّ الإمامة بعد حصولها للإمام لا تخرج عنه بقوله: وعند أكثر مخالفينا أيضاً في الإمامة إن خلع الإمام نفسه لا يؤثّر في خروجه من الإمامة وإنّما ينخلع من الإمامة عندهم بالإحداث والكبائر، ولو كان خلع نفسه مؤثراً لكان إنّما يؤثر إذا وقع اختياراً مع أنّه يسلّم الأمر إلى معاوية بل كفّ عن المحاربة لفقد الأعوان.

فأمّا البيعة فإن أريد بها الصفقة والكفّ عن المنازعة فقد كان ذلك، لكنّا بيّنا السبب فيه ولا حجّة كما لم يكن في مثله حجّة على أبيه صلوات الله عليهما لمّا بايع المتقدّمين وكفّ عن نزاعهم، وإنّ أريد بالبيعة الرّضا وطيب النفس فالحال شاهد بخلاف ذلك.

فأمّا أخذ العطاء فبيّنا أنّ أخذه من يد الجائر المتغلّب جائز.

فأمّا أخذ الصّلات فجائز بل واجب، لأنّ كلّ ما في يد الجائر المتغلّب على أمر الأمّة يجب على الإمام وعلى جميع المسلمين انتزاعه من يده كيف ما أمكن بالطوع والإكراه ووضعه في مواضعه فإذا لم يتمكّن من انتزاع جميع ما في يد معاوية من أموال الله وأخرج هو شيئاً منها إليه على سبيل الصلة فواجب عليه أن يتناوله من يده ويأخذ منه حقّه ويقسمه على مستحقه، لأنّ التصرّف في ذلك

---

(١) البحار: ٤٤/٢٧.

المال بحقّ الولاية عليه لم يكن في تلك الحال إلّا له عليه السلام وليس لأحد أن يقول إنّ ما كان يأخذه من معاوية ما كان يخرجه إلّا على نفسه لأنّ هذا ممّا لا يمكن القطع عليه، ولا شكّ أنّه عليه السلام كان ينفق منها لأنّ فيها حقّه وحقّ عياله وأهله ولابدّ أن يكون قد أخرج منها إلى المستحقّين حقوقهم وكيف يظهر ذلك وهو عليه السلام كان يقصد ستره لمكان التقيّة وهو عليه السلام كان متصدقاً بكثير من أمواله ويصل المحتاجين ولعلّ في جملة ذلك هذه الحقوق.

فأمّا إظهار موالاته فما أظهر من ذلك شيئاً وكلامه فيه بمشهد معاوية معروف ظاهر، ولو فعل ذلك خوفاً واستصلاحاً لكان واجباً فقد فعل أبوه عليه السلام مثله مع المتقدّمين عليه، انتهى كلامه ملخّصاً[١].

وفي كتاب العلل أنّه دسّ معاوية إلى عمرو بن حريث والأشعث بن قيس وشبث بن ربعي دسيساً أفرد كلّ واحد منهم [بعين][٢] من عيونه إنّك إن قتلت الحسن بن عليّ فلك مائتا ألف درهم وجند من أجناد الشام وبنت من بناتي، فبلغ الحسن عليه السلام فلبس درعاً تحت ثيابه وكان يحترز ولا يتقدّم الصلاة بهم إلّا كذلك فرماه أحدهم في الصلاة بسهم فلم يثبت فيه لمكان الدرع، فلمّا صار في مظلم ساباط ضربه أحدهم بخنجر مسموم فعمل فيه الخنجر ثمّ عالجه مسعود عمّ المختار حتّى طاب، فقال لهم: إنّ معاوية لا يفي لأحد منكم بما ضمنه في قتلي وإنّي أظنّ أنّي إن وضعت يدي في يده فأسالمه لم يتركني أدين بدين جدّي، ولكنّي كأنّي أنظر إلى بناتكم واقفين على أبواب أبنائهم يستسقونهم ويستطعمونهم بما جعله الله لهم فلا يسقون ولا يُطعمون فجعلوا يعتذرون بما لا عذر لهم، فكتب الحسن عليه السلام ذلك من فوره إلى معاوية وقبل منه المصالحة.

فإن قال قائل: إنّ الحسن عليه السلام أخبر بأنّه حقن دماً أنت تدّعي أنّ عليّاً كان مأموراً بإراقتها بقوله عليه السلام: أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين والحاقن لما أمر الله ورسوله بإراقته من الحاقن عصيان؟

قلنا: إنّ الأمّة التي ذكر الحسن عليه السلام أمّتان وفرقتان وطائفتان هالكة وناجية وباغية ومبغي عليها، فإذا لم يمكن حقن دماء المبغي عليها إلّا بحقن دماء الباغية لأنّهما إذا اقتتلا وليس للمبغي عليها قوام بإزالة الباغية حقن دم المبغي عليها وإراقة دم الباغية مع العجز عن ذلك إراقة لدم المبغي عليها لا غير، فهذا هذا.

فإن قلت: البُغاة على الإمام كالناكثين والقاسطين والمارقين ما تسمّيهم؟

قلت: إختلف فيهم علماء الإسلام فذهب نادر إلى أنّهم مؤمنين مع أنّهم يسمّونهم باغين، وقال

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ١٩٦/٣، والبحار: ٢٧/٤٤.

(٢) زيادة من المصدر.

قوم: إنّهم مشركون، وصار ثالث إلى أنّهم كفّار غير مشركين.

وقال واصل بن عطاء: فسّاق مخلّدون في النار. والأصحّ عندنا أنّهم كفّار مخلّدون في النار والأحاديث دالّة عليه[١].

وفي كتاب الخرائج: روى عن الحرث الهمداني قال: لمّا مات عليّ ﷺ جاء الناس إلى الحسن وقالوا: أنت خليفة أبيك ووصيّه ونحن السامعون لك، فمرنا بأمرك.

فقال الحسن ﷺ: كذبتم ما وفيتم لمن كان خيراً منّي، فكيف تفون لي إن كنتم صادقين فموعد ما بيني وبينكم معسكر المدائن فوافوا إلى هناك، فركب وركب معه من أراد الخروج وتخلّف عنه كثير فما وفوا وغرّوه كما غرّوا أمير المؤمنين ثمّ وجّه إلى معاوية قائداً من كندة في أربعة آلاف، فلمّا نزل الأنبار بعث إليه معاوية رُسلاً وكتب إليه: أقبل إليّ، وأرسل إليه دراهم كثيرة فصار إلى معاوية في مائتي رجل من خاصّته فبلغ الحسن ﷺ فقام خطيباً وقال: هذا الكندي توجّه إلى معاوية وغدر بي وبكم وقد أخبرتكم أنّكم عبيد الدُّنيا وأنا موجّه مكانه رجلاً آخر وأعلم أنّه يغدر مثل صاحبه، فبعث رجلاً من مراد في أربعة آلاف وأخذ عليه العهود.

فلمّا توجّه إلى الأنبار أرسل معاوية إليه رُسلاً وكتب إليه مثل ما كتب إلى صاحبه وبعث إليه خمسة آلاف درهم فأخذ طريقه إلى معاوية وبلغ الحسن ﷺ، فقام خطيباً وذكر لهم غدر المرادي، ثمّ كتب معاوية إلى الحسن ﷺ: يابن عم لا يقطع الرحم الذي بينكم وبيني، فإنّ الناس قد غدروا بك وبأبيك فقالوا: إن خانك الرجلان وغدروا فإنّا مناصحون لك.

فقال لهم الحسن ﷺ: لأعودنّ هذه المرّة وإنّي أعلم أنّكم لغادرون إنّ معسكري بالنخيلة، فوافوا هناك، فعسكر عشرة أيّام فلم يحضره إلّا أربعة آلاف فانصرف إلى الكوفة وخطب فقال: يا عجباً من قوم لا حياء لهم ولا دين وكتب أكثر أهل الكوفة إلى معاوية إنّا معك وإن شئت أخذنا الحسن وبعثناه إليك ثمّ أغاروا على فسطاطه وضربوه بحربة وأخذ مجروحاً، ثمّ كتب جواباً لمعاوية: إنّما هذا الأمر لي والخلافة لي ولأهل بيتي وإنّها لمحرّمة عليك وعلى أهل بيتك ولو وجدت صابرين عارفين بحقّي ما سلّمت لك ولا أعطيتك ما تريد وانصرف إلى الكوفة[٢].

وفي كتاب البشائر إنّه لمّا بلغ معاوية وفاة أمير المؤمنين ﷺ وبيعة الناس لابنه الحسن دسّ رجلاً إلى البصرة ورجلاً إلى الكوفة ليكتبا إليه بالأخبار ويفسدا على الحسن أُموره فعرف ذلك ﷺ وأمر بقتلهما، وكتب إلى معاوية فأجابه وجرت بينهما الكتب والرسائل وسار معاوية نحو العراق ليغلب عليه، فلمّا بلغ جسر مفيح تحرّك الحسن ﷺ وأمر العمّال بالمسير واستنفر الناس للجهاد

(١) البحار: ٣٣/٤٤، ومستدك سفينة البحار: ٣٣٥/٥.

(٢) الخرائج والجرائح: ٥٧٤/٢، والبحار: ٤٣/٤٤.

فتثاقلوا عنه فخرج معه أخلاط من الناس بعضهم شيعة أبيه وبعضهم أهل أطماع وغنائم وبعضهم أصحاب عصبية حتّى نزل ساباط، فلمّا أصبح أراد أن يمتحن أصحابه فأمر بالصلاة جامعة وصعد المنبر وخطب وقال في خطبته: إنّ ما تكرهون في الجماعة خيرٌ لكم ممّا تحبّون في الفرقة، ألا وانّي ناظر لكم خيرٌ من نظركم لأنفسكم فلا تخالفوا أمري.

فنظر الناس بعضهم إلى بعض وقالوا: يريد أن يصالح معاوية ويسلّم الأمر إليه، فقالوا: كفر والله الرجل، ثمّ شدّوا على فسطاطه وانتهبوه حتّى أخذوا مصلّاه من تحته ونزعوا مطرفه عن عاتقه فركب فرسه وأحدق به شيعته وسار حتّى بلغ مظلم ساباط فبدر إليه رجل من بني أسد يقال له الجراح بن سنان فقال: أشركت يا حسن كما أشرك أبوك من قبل ثمّ طعنه في فخذه فوثب إليه جماعة من شيعته فقتلوه.

وحمل الحسن عليه السلام على سرير إلى المدائن يعالج جرحه وكتب جماعة من رؤساء القبائل إلى معاوية بالسمع والطاعة استحثّوه على المسير وضمنوا له تسليم الحسن عليه السلام عند دنوّهم من عسكره والفتك به، فبلغ الحسن عليه السلام ذلك وورد عليه كتاب قيس بن سعد وكان قد أنفذه مع عبيد الله بن العبّاس عند مسيره من الكوفة ليلقى معاوية ويردّه عن العراق وجعله أميراً على الجماعة وقال: إن أصيب فالأمير قيس بن سعد، فوصل كتاب قيس يخبره أنّهم نازلوا معاوية وأنّ معاوية أرسل إلى عبيدالله يرغّبه في المسير إليه وضمن له ألف ألف درهم فانسلّ في الليل إلى عسكر معاوية فأصبح الناس وقد فقدوا أميرهم فصلّى بهم قيس ونظر في أمورهم فازدادت بصيرة الحسن عليه السلام بخذلان القوم له، وكتب إليه معاوية في الهدنة والصلح وأنفذ إليه بكتب أصحابه الذين ضمنوا له الفتك به، فاشترط لنفسه في الصلح شروطاً كثيرة وكان يعلم أنّه لا يفي بها غير أنّه لم يجد بدّاً من إجابته إلى ترك الحرب من جهة أنّ جماعة من أصحابه استحلّوا دمه، وممّا اشترط عليه: أن لا يسبّ أمير المؤمنين ولا يقنت عليه في الصلوات وأن لا يتعرّض لشيعته بسوء فحلف له معاوية على ذلك، فلمّا استتمت الهدنة سار معاوية حتّى نزل بالنخيلة، وذلك يوم الجمعة فصلّى بالناس ثمّ خطبهم وقال: إنّي ما قاتلتكم لتصلّوا ولا تصوموا وإنّما قاتلتكم لأتأمّر عليكم وقد أعطاني الله ذلك وأنتم له كارهون، وإنّي كنت منّيت الحسن وأعطيته أشياء وجميعها تحت قدمي لا أفي بشيء منها.

ثمّ دخل الكوفة وخطب الناس وذكر أمير المؤمنين عليه السلام ونال منه ونال من الحسن عليه السلام وكان الحسن والحسين عليهما السلام حاضرين، فقام الحسين عليه السلام ليرد عليه فأخذ بيده الحسن وأجلسه ثمّ قام فقال: أيّها الذاكر عليّاً أنا الحسن وأبي علي وأنت معاوية وأبوك صخر وأمّي فاطمة وأمّك هند وجدّي رسول الله وجدّك حرب وجدّتي خديجة وجدّتك [فتيلة]، فلعن الله أخملنا ذكراً وألأمنا حسباً وشرّنا قدماً وأقدمنا كفراً ونفاقاً، فقالت طوائف من أهل المسجد: آمين آمين[1].

(١) مناقب آل أبي طالب: ٣/١٩٨، والبحار: ٤٤/٤٩.

وروي أنّ معاوية طلب البيعة من الحسين ﷺ فقال الحسن ﷺ: يا معاوية لا تكرهه، فإنّه لن يبايع أبداً أو يقتل ولن يقتل حتّى يقتل أهل الشام[١].

❊ ❊ ❊

صورة كتاب الصلح

وفي كتاب كشف الغمّة: ومن كلامه ﷺ ما كتبه في كتاب الصلح الذي استقرّ بينه وبين معاوية حيث رأى حقن الدماء وهو: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما صالح عليه الحسن بن عليّ بن أبي طالب معاوية بن أبي سفيان على أن يسلّم إليه ولاية أمر المسلمين على أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنّة رسوله ﷺ وسيرة الخلفاء الصالحين وليس لمعاوية بن أبي سفيان أن يعهد إلى أحد من بعده عهداً بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين، وعلى أنّ الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله في شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم وعلى أنّ أصحاب عليّ وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم، وعلى أنّ على معاوية بن أبي سفيان عهد الله وميثاقه وما أخذ الله على أحد من خلقه بالوفاء وبما أعطى الله من نفسه، وعلى أن لا يبغي للحسن بن عليّ ولا لأخيه الحسين ولا لأحد من أهل بيت رسول الله ﷺ غائلة سرّاً ولا جهراً ولا يخيف أحداً منهم في أُفق من الآفاق شهد عليه بذلك، وكفى بالله شهيداً شهد فلان وفلان والسلام[٢].

ونقل المفيد كلاماً للحسن ﷺ بعد السبب في قبول الإمام الحسن المجتبى الهدنة والصلح من معاوية ما هذا لفظه: فتوثّق لنفسه من معاوية بتوكيد الحجة عليه والإعذار فيما بينه وبينه عند الله تعالى وعند كافة المسلمين واشترط عليه ترك سب أمير المؤمنين والعدول عن القنوت عليه في الصّلاة، وأن يؤمّن شيعته رضي الله عنهم ولا يتعرّض لأحد منهم بسوء ويوصل إلى كلّ ذي حقّ منهم حقه.

فأجابه معاوية إلى ذلك كله وعاهده عليه وحلف له بالوفاء به، فلمّا استتمّت الهدنة على ذلك سار معاوية حتّى نزل بالنخيلة وكان ذلك يوم الجمعة فصلّى بالناس ضحى النهار فخطبهم وقال في خطبته: والله ما قاتلتكم لتصلّوا ولا لتصوموا ولا لتحجّوا ولا لتزكّوا، إنكم لتفعلون ذلك ولكنّي قاتلتكم لأتأمّر عليكم وقد أعطاني الله ذلك وأنتم له كارهون، ألا وإنّي كنت منّيت الحسن أشياء وأعطيته أشياء وجميعها تحت قدمي لا أفي بشي منها له.

ثمّ سار حتّى دخل الكوفة فأقام بها أيّاماً فلمّا استتمّت البيعة له من أهلها صعد المنبر فخطب

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ٣/١٩٦، والبحار: ٤٤/٥٧.

(٢) كشف الغمة: ٢/١٩٣، والبحار: ٤٤/٦٥.

الناس وذكر أمير المؤمنين ونال منه ونال من الحسن ما نال، وكان الحسن والحسين حاضرين، فقام الحسين ليردّ عليه فأخذ بيده الحسن وأجلسه، ثمّ قام فقال: أيّها الذاكر عليّاً أنا الحسن وأبي عليّ وأنت معاوية وأبوك صخر، وأمّي فاطمة وأُمّك هند، وجدّي رسول الله وجدّك حرب، وجدّتي خديجة وجدّتك فتيلة، فلعن الله أخملنا ذكراً وألأمنا حسباً وشرّنا قدماً وأقدمنا كفراً ونفاقاً، فقالت طوائف من أهل المسجد: آمين آمين، انتهى قوله قدّس سره[١].

وروى قريباً منه المحدّث القمّي رضوان الله عليه في مادّة حسن من سفينة البحار عن الشعبي، وقال الفاضل الشارح المعتزلي: إنّ هذا الحديث نقله الفضل بن الحسن المصري عن يحيى بن معين قال: وقال الفضل: قال يحيى: آمين، وقال الفضل: أنا أقول آمين، وقال عليّ بن الحسين الأصفهاني آمين، وقال الشارح المذكور أنا أقول آمين، وكذلك كاتب هذه الأحرف الحسن بن عبد الله الطبري الآملي يقول آمين، آمين ويرحم الله تعالى عبداً قال آمين آمين[٢].

❋ ❋ ❋

إحتجاجات الحسن على معاوية وعمرو

وفي كتاب الإحتجاج عن الشعبي وأبي مخنف ويزيد بن حبيب قالوا: لم يكن في الإسلام يوم في مشاجرة قوم اجتمعوا في محفل أكثر ضجيجاً ولا أشدّ مبالغةً في قول من يوم اجتمع فيه عند معاوية عمرو بن عثمان بن عفّان وعمرو بن العاص وعتبة بن أبي سفيان والوليد بن عتبة[٣] بن أبي معيط والمغيرة بن شعبة، وقد تواطأوا على أمر واحد فقال عمرو بن العاص لمعاوية: ألا تبعث إلى الحسن بن علي فتحضره فقد أحيا سيرة أبيه وخفقت النعال خلفه فأحضره حتّى نسبّه ونسبّ أباه ونصغّر من قدره، فقال معاوية: أخاف أن يقلدكم قلايد يبقى عليكم عارها إلى القبور، والله ما رأيته إلّا وهبت عتابه وإنّي إن بعثت إليه لأنصفنّه منك.

قال ابن العاص: أتخاف أن يتسامى باطله على حقّنا؟

قال: لا، قال: فابعث إذاً إليه، فقال عتبة: هذا رأي لا أعرفه، والله لا تستطيعون أن تلقوه بأعظم ممّا في أنفسكم عليه ولا يلقاكم إلّا بأعظم ممّا في نفسه عليكم، فبعثوا إليه فقال له الرّسول: يدعوكم معاوية وعنده فلان وفلان وسمّاهم، فقال ﷺ: ما لهم خرّ عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون، فلبس ثيابه، ثمّ قال: اللّهم إنّي أدرأ بك في نحورهم وأعوذ بك من شرورهم وأستعين بك عليهم فأكفنيهم ممّا شئت وأنّى شئت من حولك وقوّتك يا أرحم الراحمين،

---

(١) الإرشاد: ١٧٣ طبع طهران ١٣٧٧هـ). (٢) المصدر السابق.

(٣) كذا في البحار، وفي الاحتجاج: عقبة.

وقال للرسول: هذا كلام الفرج، فلمّا أتى معاوية رحّب به وصافحه وقال: إنّ هؤلاء بعثوا إليك وعصوني ليقرّروك أنّ عثمان قُتل مظلوماً وأنّ أباك قتله فاسمع منهم ثمّ أجبهم ولا يمنعك مكاني من جوابهم فقال ﷺ بعد كلام: إنّ الله عزّ وجلّ وليّي فليقولوا ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

فقال عمرو بن عثمان: ما سمعت ان بقي من عبد المطّلب على وجه الأرض أحد بعد قتل الخليفة عثمان، وكان الفاضل في الإسلام منزلة والخاص برسول الله سفكوا دمه طلباً للفتنة، فيا ذلّاه أن يكون حسن وسائر بني عبد المطّلب قتلة عثمان أحياء على مناكب الأرض وعثمان مضرّج بدمه مع أنّ لنا فيكم تسعة عشر دماً بقتلى بني أميّة ببدر.

ثمّ تكلّم عمرو بن العاص فقال: يا حسن بعثنا إليك لنقرّرك أنّ أباك سمّ أبا بكر الصدّيق وأشرك في قتل عمر الفاروق وقتل عثمان ذو النورين مظلوماً فادّعى ما ليس له بحقّ، ثمّ أنت يا حسن ليس لك عقل ولا رأي، وتركت أحمق في قريش وذلك لسوء عمل أبيك وإنّما دعوناك لنسبّك وأباك، ثمّ أنت لا تستطيع أن تعتب علينا ولا أن تكذّبنا والله لو قتلناك ما كان في قتلك إثم ولا عيب.

ثمّ تكلّم عتبة بن أبي سفيان فقال: يا حسن إنّ أباك كان شرّ قريش لقريش أقطعه لأرحامها وأسفكه لدمائها وإنّك لمن قتلة عثمان وفي الحقّ أن نقتلك به، وأنّ عليك القود في كتاب الله فإنّا قاتلوك، وأمّا رجاؤك للخلافة فلست منها لا في قدحة زندك ولا في رجحة ميزانك..

ثمّ تكلّم الوليد بن عقبة بن أبي معيط بنحو من كلام أصحابه، ثمّ تكلّم المغيرة بن شعبة وكان كلامه وقوعاً في عليّ ﷺ وذكر أنّ عليّاً ﷺ أشرك في دم عثمان وقتل أبا بكر بالسمّ وأنّ معاوية وليّ المقتول بغير حقّ، فيجب أن يقتل الحسن والحسين قصاصاً.

فلمّا فرغ تكلّم الحسن ﷺ وقال: الحمد لله الذي هدى أوّلكم بأوّلنا وآخركم بآخرنا وقال: بك أبدأ يا معاوية لعمر الله يا أزرق ما شتمني غيرك وما هؤلاء شتموني وسبّوني عدواناً وحسداً علينا وعداوة لمحمّد ﷺ ولو كنت أنا وهؤلاء في مسجد رسول الله ﷺ وحولنا المهاجرون والأنصار ما قدروا أن يتكلّموا بمثل ما تكلّموا فاسمعوا منّي ولا تكتموا حقّاً علمتموه، ولا أقول فيك يا معاوية إلّا دون ما فيك: أنشدكم بالله هل تعلمون الرجل الذي شتمتموه صلّى القبلتين وأنت تعبد اللّات والعزّى وبايع البيعتين بيعة الرضوان وبيعة الفتح وأنت يا معاوية بالأولى كافر وبالأخرى ناكث ولقيكم مع رسول الله يوم بدر ومعه راية النبيّ ﷺ ومعك يا معاوية راية المشركين ترى حرب رسول الله ﷺ فرضاً واجباً؟

ثمّ أنشدكم بالله هل تعلمون أنّ رسول الله ﷺ حاصر قريظة وبني النضير، ثمّ بعث عمر بن الخطّاب ومعه راية المهاجرين، فرجع يجبّن أصحابه، فقال رسول الله ﷺ: لأعطينّ الراية غداً

رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله كرّاراً غير فرّار لا يرجع حتّى يفتح الله عليه، فأعطاها عليّاً فلم يرجع حتّى فتح الله عليه وأنت يومئذ بمكّة عدوّ لله ولرسوله ثمّ أقسم بالله ما أسلم قلبك بعد ولكن اللّسان خائف فهو يتكلّم بما ليس في القلب، ثمّ أنشدكم بالله أتعلمون أنّ رسول الله استخلفه على المدينة في غزوة تبوك وقال له: أنت وصيّي وخليفتي في أهلي بمنزلة هارون من موسى؟

أنشدكم بالله أتعلمون أنّ رسول الله ﷺ قال في حجّة الوداع: أيّها الناس قد تركتُ فيكم ماإن تمسكتم به لم تضلّوا بعده كتاب الله فاعملوا به وعترتي فانصروهم على من عاداهم ثمّ دعى وهو على المنبر عليّاً فقال: اللّهمّ مَن عادى عليّاً . . . . . ولا تجعل له في الأرض مقعداً ولا في السماء مصعداً واجعله في أسفل درك من النار؟

أتعلمون أنّ رسول الله ﷺ قال له: أنت الذائد عن حوضي يوم القيامة تذود عنه كما يذود أحدكم الغريبة من وسط إبله وذكر من مناقب أبيه ﷺ كثيراً.

ثمّ قال: أنشدكم بالله هل تعلمون أنّ رسول الله ﷺ بعث إليك فقال له الرسول هو يأكل، فأعاد الرسول إليك ثلاث مرّات كلّ ذلك يقول: هو يأكل، فقال: اللّهمّ لا تشبع بطنه فهي والله في أكلك إلى يوم القيامة.

ثمّ قال: أتعلمون إنّك يا معاوية كنت تسوق بأبيك على جمل أحمر ويقوده أخوك هذا القائد وهذا يوم الأحزاب، فلعن رسول الله الرّاكب والقائد والسائق فكان أبوك الراكب وأنت يا أزرق السائق وأخوك هذا القائد؟

ثمّ أنشدكم بالله هل تعلمون أنّ رسول الله لعن أبا سفيان في سبعة مواطن ثمّ عدّد المواطن وقال: أنشدكم بالله هل تعلمون أنّ أبا سفيان دخل على عثمان حين بُويع في مسجد رسول الله ﷺ فقال: يابن أخي هل علينا من عين؟

فقال: لا، فقال أبو سفيان: تداولوا الخلافة فتيان بني أُميّة، فوالذي نفس أبي سفيان بيده ما من جنّة ولا نار، ومنها أنّك صددت أباك عن الإسلام بأشعار معروفة، ومنها أنّ عمر بن الخطّاب ولّاك الشام فخنت به وولّاك عثمان فتربّصت به ريب المنون، وأعظم من ذلك إنّك قاتلت عليّاً ﷺ وقد عرفت سوابقه وفضله على من هو أولى منك، فهذا لك يا معاوية وما تركت أكثر ممّا ذكرت.

وأمّا أنت يا عمرو بن عثمان فلم يكن حقيقاً لحمقك أن تتبع هذه الأمور، فإنّما مثلك مثل البعوضة إذ قالت للنخلة استمسكي فإنّي أُريد أن أنزل عليك فقالت لها النخلة: وما شعرت بوقوعك فكيف يشقّ عليّ نزولك، وإنّي والله ما شعرت أنّك تحسن أن تعادي لي فيشقّ عليَّ ذلك، وأمّا قولك: إنّ لكم فينا تسعة عشر دماً بقتلى مشركي بني أُميّة ببدر فإنّ الله قتلهم، ولعمري ليقتلنّ من بني هاشم تسعة عشر وثلاث بعد تسعة عشر ثمّ يقتل من بني أُميّة تسعة عشر وتسعة عشر في موطن واحد سوى من قتل من بني أُميّة لا يحصي عددهم إلّا الله.

ثمّ قال بعد كلام: وأمّا أنت يا عمرو بن العاص الشانئ اللّعين الأبتر، فإنّ أوّل أمرك أنّ أمّك بغت وأنّك ولدت على فراش مشترك فتحاكمت فيك رجال قريش منهم أبو سفيان والوليد بن المغيرة وعثمان بن الحرث والنضر بن الحارث والعاص بن وائل كلّهم يزعم أنّك ابنه فغلبهم عليك من بني قريش ألأمهم حسباً وأخشنهم منصباً ثمّ قمت خطيباً وقلت: أنا شانئ محمّد.

وقال العاص بن وائل: إنّ محمّداً رجل أبتر لا ولد له فلو قدْ مات انقطع ذكره فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾[1].

وكنت في كلّ مشهد عدوّ رسول الله ثمّ كنت في أصحاب السفينة الذين أتوا النجاشي تحرّضه على قتل جعفر بن أبي طالب فحاق المكر السيّئ بك ولسنا نعاتبك على حبّنا وأنت عدوّ لبني هاشم في الجاهلية والإسلام، وقد هجوت رسول الله ﷺ بسبعين بيتاً من شعر، فقال رسول الله ﷺ: اللّهم إنّي لا أحسن الشعر ولا ينبغي أن أقوله فالعن عمرو بن العاص بكلّ بيت لعنة.

وأمّا أنت يا وليد بن عقبة فما ألومك أن تبغض عليّاً وقد جلدك في الخمر ثمانين وقتل أباك صبراً بيده يوم بدر، أم كيف تسبّه وقد سمّاه الله مؤمناً في عشر آيات من القرآن وسمّاك فاسقاً وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً﴾[2] وما أنت وذكر قريش، وإنّما أنت ابن علج من أهل صفورية يقال له ذكوان ولو سألت أمّك من أبوك إذ تركت ذكوان فألصقتك بعقبة بن أبي معيط لعرفت نفسك ولقد قالت لك والله أمّك: يا بني أبوك أخبث من عقبة.

وأمّا أنت يا عتبة بن أبي سفيان فما أنت عاقل فأعاتبك وأنّ الله تعالى لك ولأخيك وأمّك وأبيك بالمرصاد، وأنت وذرية آبائك الذين ذكرهم الله في القرآن فقال: ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ * تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً * تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾[3] إلى قوله: ﴿مِنْ جُوعٍ﴾، وأمّا وعيدك إيّاي بقتلي، فهلّا قتلت الذي وجدته على فراشك مع حليلتك وقد غلبك على فرجها وشركك في ولدها حتّى ألصق بك ولداً ليس لك؟ ويلاً لك لو شغلت نفسك بطلب ثأرك منه كنت جديراً ولا ألومك أن تسبّ علياً وقد قتل أخاك مبارزةً واشترك هو وحمزة في قتل جدّك حتّى ذاقا العذاب الأليم.

وأمّا أنت يا مغيرة بن شعبة فأنت الزاني وقد وجب عليك الرجم وشهد عليك العدول، فأخّر رجمك ودفع الحقّ بالباطل، وأنت [الذي] ضربت فاطمة بنت رسول الله حتّى ألقت ما في بطنها انتهاكاً لحرمة رسول الله.

وأمّا قولك وأصحابك في الملك الذي ملكتموه فقد ملك فرعون مصر أربعمائة سنة وموسى وهارون نبيّان مرسلان يلقيان ما يلقيان وهو ملك الله يعطيه البرّ والفاجر قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنْ

(١) سورة الكوثر، الآية: ٣.
(٢) سورة السجدة، الآية: ١٨.
(٣) سورة الغاشية، الآية: ٣ ـ ٥.

أدرى لعلّه فتنة لكم ومتاع إلى حين﴾(١) وقال: ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحقّ عليها القول فدمّرناها تدميراً﴾(٢)، ثمّ قام الحسن فنفض ثيابه وهو يقول: ﴿الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات﴾(٣) هم والله يا معاوية أنت وأصحابك وشيعتك ﴿والطيّبات للطيّبين والطيّبون للطيّبات﴾(٤) هم عليّ بن أبي طالب وأصحابه وشيعته ثمّ خرج وهو يقول: ذق وبال ما كسبت يداك وما جنيت.

فقال معاوية لأصحابه: وأنتم فذوقوا وبال ما جنيتم ألم أقل لكم إنّكم لن تنتصفوا من الرجل فقد فضحكم، والله ما قام حتّى أظلم عليّ البيت.

وسمع مروان بن الحكم بما لقي معاوية وأصحابه المذكورون من الحسن بن عليّ فأتاهم، فقال: هلّا أحضرتموني فوالله لأسبنّه سبّاً تغنّي به الإماء والعبيد.

فقال معاوية: لم يفتك شيء، فقال مروان: أرسل إليه يا معاوية، فأرسل إليه فأقبل عليه السلام وجلس مع معاوية على السرير فقال: إنّ مروان أرسل إليك، فقال: وما الذي أردت يا مروان؟

قال: والله لأسبنّك وأباك سبّاً تغنّي به الإماء والعبيد.

فقال عليه السلام: يا مروان ما أنا سببتك ولا سببت أباك، ولكن الله عزّ وجلّ لعنك ولعن أباك وأهل بيتك وذرّيتك وما خرج من صلب أبيك إلى يوم القيامة على لسان نبيّه محمّد وما زادك بما خوّلك إلّا طغياناً كبيراً صدق الله وصدق رسوله يقول: ﴿والشجرة الملعونة في القرآن ونخوّفهم فما يزيدهم إلّا طغياناً كبيراً﴾(٥).

وأنت يا مروان وذرّيتك الشجرة الملعونة في القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

فوضع معاوية يده على فم الحسن عليه السلام وقال: يا أبا محمّد ما كنت فحّاشاً، فقام الحسن عليه السلام وتفرّق القوم بحزن وسواد الوجه، انتهى ملخّصاً(٦).

ومن كتاب العقد أنّ مروان بن الحكم قال للحسن بن عليّ عليه السلام بين يدي معاوية: أسرع الشيب إلى شاربك يا حسن ويقال: إنّ ذلك من الخرق، فقال عليه السلام: ليس كما بلغك ولكنّا معشر بني هاشم طيّبة أفواهنا عذبة شفاهنا فنساؤنا يقبلن علينا بأنفاسهنّ وأنتم معشر بني أميّة فيكم بخر شديد فنساؤكم يصرفن أفواههنّ وأنفاسهنّ إلى أصداغكم فإنّما يشيب منكم موضع العذاب من أجل ذلك، قال مروان: أما إنّ فيكم يا بني هاشم غلمة شبق، قال: نعم، نزعت من نسائنا ووضعت في رجالنا ونزعت الغلمة من رجالكم ووضعت في نسائكم، فما قام لأمويّة إلّا هاشمي(٧).

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١١١.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ١٦.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ١٦.
(٤) سورة النور، الآية: ٢٦.
(٥) سورة الاسراء، الآية: ٦٠.
(٦) البحار: ٨٦/٤٤، والاحتجاج: ١٣٧.
(٧) مناقب آل أبي طالب: ١٨٨/٣، والبحار: ١٠٦/٤٤ ح ١٣.

وفي بعض كتب المناقب القديمة: أنّ معاوية كتب إلى مروان وهو عامله على المدينة أن يخطب ليزيد بنت عبد الله بن جعفر على حكم أبيها في الصداق وقضاء دينه بالغاً ما بلغ وعلى صلح الحيين بني هاشم وبني أميّة، فبعث مروان إلى عبد الله بن جعفر يخطب إليه فقال: إنّ أمر نسائنا إلى الحسن بن عليّ فاخطب إليه، فأتى إلى الحسن خاطباً فقال له الحسن ﷺ: إجمع من أردت فجمع بني هاشم وبني أميّة فتكلّم مروان وقال: إنّ أمير المؤمنين معاوية يأمرني أن أخطب زينب بنت عبد الله بن جعفر على يزيد بن معاوية على حكم أبيها في الصداق وقضاء دينه وعلى صلح الحيّين بني هاشم وبني أميّة ويزيد كفؤ من لا كفؤ له، ولعمري لمن يغبطكم بيزيد أكثر ممّن يغبط يزيد بكم ويزيد ممّن يستسقى الغمام بوجهه ثمّ سكت.

فتكلّم الحسن ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أمّا ما ذكرت من حكم أبيها في الصداق فإنّا لم نكن لنرغب في سنّة رسول الله في أهله وبناته.

وأمّا قضاء دين أبيها فمتى قضت نساؤنا ديون آبائهنّ.

وأمّا صلح الحيّين فإنّا عاديناكم في الله فلا نصالحكم للدُّنيا.

وأمّا قولك: من يغبطنا بيزيد أكثر ممّن يغبط بنا، فإن كانت الخلافة فاقت النبوّة فنحن المغبوطون به، وإن كانت النبوّة فاقت الخلافة فهو المغبوط بنا.

وأمّا قولك: إنّ الغمام يستسقى بوجه يزيد فإنّ ذلك لم يكن إلّا لآل رسول الله، وقد رأينا أن نزوّجها ابن عمّها القاسم بن محمّد بن جعفر وقد زوجتها منه وجعلت مهرها ضيعتي التي لي بالمدينة وكان معاوية أعطاني بها عشرة آلاف دينار ولها فيها غنىً وكفاية فقال مروان: أغدراً يا بني هاشم، فقال الحسن ﷺ: واحدة بواحدة. وكتب مروان بذلك إلى معاوية فقال معاوية: خطبنا إليهم فلم يفعلوا ولو خطبوا إلينا لما رددناهم.

وقال الشّيخ إبراهيم بن محمد البيهقي في كتاب المحاسن والمساويء قيل: وأتى الحسن بن عليّ معاوية بن أبي سفيان وقد سبقه ابن عباس فأمر معاوية فأنزل، فبينا معاوية مع عمرو بن العاص ومروان بن الحكم وزياد بن أبي سفيان يتحاورون في قديمهم وحديثهم ومجدهم، فقال معاوية: أكثرتم الفخر فلو حضركم الحسن بن علي وعبد الله بن العباس لقصّرا من أعنّتكما ما طال، فقال زياد: وكيف ذلك يا أمير المؤمنين ما يقومان لمروان بن الحكم في غريب منطقه ولا لنا في بواذخنا؟ فابعث إليهما في غد حتى نسمع كلامهما.

فقال معاوية لعمرو: ما تقول؟ قال هذا: فابعث إليهما في غد، فبعث إليهما معاوية ابنه يزيد، فأتياه ودخلا عليه وبدأ معاوية فقال: إنّي أجلّكما وأرفع قدركما عن المسامرة بالليل ولاسيّما أنت يا أبا محمد فإنّك ابن رسول الله وسيّد شباب أهل الجنّة فشكّرا له، فلمّا استويا في مجلسهما وعلم

عمرو أن الحدَّة ستقع به قال: والله لا بدَّ أن أقول، فإن قهرت فسبيل ذلك وإن قُهرت أكون قد ابتدأت.

فقال: يا حسن إنّا تفاوضنا فقلنا: إنّ رجال بني أميّة أصبر عند اللقاء وأمضى في الوغى، وأوفى عهداً، وأكرم خيماً، وأمنع لما وراء ظهورهم من بني عبد المطلّب.

ثمَّ تكلّم مروان فقال: وكيف لا نكون كذلك وقد قارعناكم فغلبناكم وحاربناكم فملكناكم، فإن شئنا عفونا وإن شئنا بطشنا.

ثمَّ تكلّم زياد فقال: ما ينبغي لهم أن ينكروا الفضل لأهله ويجحدوا الخير في مظانه، نحن أهل الحملة في الحروب ولنا الفضل على سائر الناس قديماً وحديثاً.

فتكلّم الحسن فقال: ليس من العجز أن يصمت الرجل عند إيراد الحجّة، ولكن من الإفك أن ينطق الرجل بالخنا ويصوّر الباطل بصورة الحقّ، يا عمرو افتخاراً بالكذب وجرأة على الإفك! ما زلت أعرف مثالبك الخبيثة أبديها مرّة وأمسك عنها أُخرى فتأبى إلّا انهماكاً في الضلالة، أتذكر مصابيح الدّجى وأعلام الهدى وفرسان الطراد وحتوف الأقران وأبناء الطعام وربيع الضيفان ومعدن النبوّة ومخبط العلم وزعمتم أنكم أحمى لما وراء ظهوركم وقد تبيّن ذلك يوم بدر حين نكصت الأبطال وتساورت الأقران واقتحمت الليوث واعتركت المنيّة وقامت رحاؤها على قطبها وفرّت عن نابها وطار شرار الحرب فقتلنا رجالكم ومنَّ النبي على ذراريكم فكنتم لعمري في هذا اليوم غير مانعين لما وراء ظهوركم من بني عبد المطلب!.

ثمَّ قال: وأمّا أنت يا مروان فما أنت والإكثار في قريش وأنت طليق وأبوك طريد يتقلّب من خزاية إلى سوءة ولقد جي بك إلى أمير المؤمنين فلمّا رأيت الضّرغام قد دميت براثنه واشتبكت أنيابه كنت كما قال:

لـيـث إذا سـمـع الـلّـيـوث زئـيـره بـصـبـصـن ثـمّ قـذفـن بـالأبـعـار

ويروى: رمين بالأبعار.

فلمّا منّ عليك بالعفو وأرخى خناقك بعد ما ضاق عليك وغصصت بريقك لا تقعد معنا مقعد أهل الشكر ولكن تساوينا وتجارينا ونحن ممّن لا يدركنا عار ولا يلحقنا خزاية!

ثمَّ التفت إلى زياد فقال: وما أنت يا زياد وقريشاً لا أعرف لك فيها أديماً صحيحاً ولا فرعاً نابتاً ولا قديماً ثابتاً ولا منبتاً كريماً بل كانت أُمّك بغيّاً تداولها رجال قريش وفجّار العرب فلمّا ولدت لم تعرف لك العرب والداً فادّعاك هذا ـ يعني معاوية ـ بعد ممات أبيه، مالك افتخار، تكفيك سُميّة ويكفينا رسول الله، وأبي عليّ بن أبي طالب سيّد المؤمنين الّذي لم يرتدّ على عقبيه، وعمّي حمزة سيّد الشهداء وعمي جعفر الطيّار وأنا وأخي سيّدا شباب أهل الجنّة! ثمَّ التفت إلى ابن عبّاس

فقال: يابن العمّ إنّما هي بغاث الطير انقضّ عليها أجدل، فأراد ابن عبّاس أن يتكلّم فأقسم عليه معاوية أن يكفّ فكفّ ثمّ خرجا.

فقال معاوية: أجاد عمرو الكلام لولا أنّ حجّته دحضت وتكلّم مروان لولا أنّه نكص.

ثمّ التفت إلى زياد وقال: ما دعاك إلى محاورته؟ ما كنت إلا كالحجل في كفّ البازي، فقال أفاخر رجلاً رسول الله جدّه وهو سيّد من مضى ومن بقي وأمّه فاطمة الزّهراء السّواء، فقال عمرو: لقد أبقى عليك ولكنه طحن مروان طحن الرّحى بثفالها يأبى إلّا الإغراء بيننا وبينهم، لا جرم والله لا شهدت مجلساً يكونان فيه إلّا كنت معهما على من فاخرهما.

فخلا ابن عبّاس بالحسن فقبّل بين عينيه وقال: أفديك يابن عم، والله ما زال بحرك يزخر وأنت تصول حتّى شفيتني من أولاد البغايا[1].

بين الحسن وعمرو بن العاصي

وروى المدائنيّ عن زيد بن أرقم: قال: خرج الحسن عليه السلام وهو صغير، وعليه بُرْده ورسول الله ﷺ يخطب، فعثر فسقط، فقطع رسول الله ﷺ الخطبة، ونزل مسرعا إليه، وقد حمله الناس، فتسلّمه وأخذه على كتفه، وقال: إنّ الولد لفتنة، لقد نزلت إليه وما أدرى! ثم صعد فأتمّ الخطبة.

وروى المدائنيّ، قال: لقي عمرو بن العاص الحسن عليه السلام في الطواف، فقال له: يا حسن، زعمت أنّ الدين لا يقوم إلّا بك وبأبيك، فقد رأيت الله أقامه بمعاوية، فجعله راسيا بعد مَيْله، وبيّناً بعد خفائه، أفرضي الله بقتل عثمان؛ أو من الحق أن تطوف بالبيت كما يدور الجمل بالطِّحِين، عليك ثياب كغرقىء[2] البيض، وأنت قاتل عثمان، والله إنه لألمّ للشّعث، وأسهل للوَعث، أن يوردك معاوية حياضَ أبيك.

فقال الحسن عليه السلام: إنّ لأهل النار علامات يُعرفون بها، إلحاداً لأولياء الله؛ وموالاة لأعداء الله، والله إنّك لتعلم أنّ علياً لم يرتَبْ في الدين، ولم يشكّ في الله ساعة ولا طرفة عين قطّ، وأيم الله لتنتهينّ يا بن أم عمرو أو لأنفذنّ حِضْنَيْك[3] بنوافذ أشدّ من القَعْضبيّة[4]: فإيّاك والتهجّم عليّ،

---

(١) صحيفة الإمام الحسن للقيومي: ٣٠٠.

(٢) الغرقىء: القشرة الملترقة ببياض البيض.

(٣) الحضن ما دون الإبط إلى الكشح وكأنه جعل الأقضبة جمع قضيب وهو السيف الدقيق الذي ليس بصحيفة وهو أنفذ.

(٤) القعضبية: الأسنة، منسوبة إلى قعضب اسم رجل كان يعمل الأسنة في الجاهلية.

فإني مَنْ قد عرفت؛ لست بضعيف الغَمْزة، ولا هش المُشاشة[1]؛ ولا مرىء المأكلة، وإنّي من قريش كواسطة القلادة، يُعْرَفُ حسبي، ولا أُدْعَى لغير أبي، وأنت مَنْ تعلم ويعلم الناس، تحاكمت فيك رجال قريش، فغلب عليك جَزّارُها، الأمهم حسباً، وأعظمهم لؤما، فإياك عنّي، فإنّك رجس، ونحن أهل بيت الطهارة، أذهب الله عنا الرّجس وطهّرنا تطهيرا. فأُفحِم عمرو وانصرف كئيباً[2].

احتجاج الحسن عليه السلام على يزيد

وكتاب الشيرازي عن ابن عبّاس في قوله: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِى الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾[3] أنه جلس الحسن بن علي ويزيد بن معاوية يأكلان الرطب فقال يزيد: يا حسن إني منذ كنت أبغضك.

قال الحسن عليه السلام: إعلم يا يزيد أن إبليس شارك أباك في جماعه فاختلط الماءان فأورثك ذلك عدواني، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِى الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾.

وشارك الشيطان حرباً عند جُماعه فولد له صخر، فلذلك كان يبغض جدّي رسول الله.

وشارك الشيطان صخر عند جُماعه فولد له أبوك معاوية، فلذلك كان يبغض أبي[4].

ولنِعم ما قال الشاعر:

كم من مولود أبوه وأمه قد شاركا في حمله الشيطانا
ومطهر لم يجعل الرحمن للـ شيطان في شرك به سلطان[5]

بين الحسن عليه السلام وابن الزبير

ثم إنّ الحسن غاب أيّاماً ثمَّ رجع حتّى دخل على معاوية وعنده عبد الله بن الزبير، فقال معاوية: يا أبا محمد إنّي أظنك تعباً نصباً فأت المنزل فأرح نفسك فيه، فقام الحسن فلمّا خرج قال معاوية لعبد الله بن الزبير: لو افتخرت على الحسن فإنك ابن حواريّ رسول الله وابن عمّته، ولأبيك في الإسلام نصيب وافر، فقال ابن الزبير: أنا له! فرجع وهو يطلب ليلته الحجج فلمّا أصبح دخل

(١) المشاش في الأصل: رؤوس العظام.
(٢) البحار: ٤٤/١٠٢، والإحتجاج: ١٤٧ ١٤٨.
(٣) سورة الإسراء: ٦٤.
(٤) مناقب آل أبي طالب: ٣/١٨٧، والبحار: ٤٤/١٠٤.
(٥) مناقب آل أبي طالب: ٣/١٨٧.

على معاوية وجاء الحسن فحيّاه معاوية وسأله مبيته، فقال: خير مبيت وأكرم مستفاض، فلمّا استوى في مجلسه قال ابن الزبير:

لولا أنّك خوّار في الحرب غير مقدام ما سلّمت لمعاوية الأمر وكنت لا تحتاج إلى اختراق السهوب وقطع المفاوز تطلب معروفه وتقوم ببابه، وكنت حريًّا أن لا تفعل ذلك وأنت ابن عليّ في بأسه ونجدته، فما أدري ما الّذي حملك على ذلك أضعف رأى أم وهن نحيزة، فما أظنُّ لك مخرجاً من هاتين الخلّتين، أما والله لو استجمع لي ما استجمع لك لعلمت أنّي ابن الزبير وأنّي لا أنكص عن الأبطال وكيف لا أكون كذلك وجدّتي صفيّة بنت عبد المطلب، وأبي الزبير حواريُّ رسول الله وأشدّ النّاس بأساً وأكرمهم حسباً في الجاهليّة وأطوعهم لرسول الله.

فالتفت إليه الحسن وقال: وأما والله لولا أنَّ بني أُميّة تنسبني إلى العجز عن المقال لكففت عنك تهاوناً، ولكن سأُبيّن ذلك لك لتعلم أنّي لست بالعيّ ولا كليل اللّسان، إيّاي تعيّر وعليَّ تفتخر ولم يكن لجدّك بيت في الجاهليّة ولا مكرمة فزوّجته جدّتي صفيّة بنت عبد المطلب، فبذخ على جميع العرب بها وشرف بمكانها، فكيف تفاخر من هو من القلادة واسطتها ومن الأشراف سادتها نحن أكرم أهل الأرض زنداً، لنا الشرف الثاقب والكرم الغالب.

ثمّ تزعم أنّي سلّمت الأمر لمعاوية فكيف يكون ذلك ويحك كذلك وأنا ابن أشجع العرب، وقد ولدتني فاطمة سيّدة نساء العالمين وخير الإماء؟ لم أفعل ذلك ويحك جبناً ولا ضعفاً ولكنّه بايعني مثلك وهو يطلبني ببرّه ويداجيني المودّة ولم أثق بنصرته لأنكم أهل بيت غدر، وكيف لا يكون كما أقول، وقد بايع أبوك أمير المؤمنين ثمَّ نكث بيعته ونكص على عقبيه واختدع حشيّة من حشايا رسول الله ليضلَّ بها النّاس، فلمّا دلف نحو الأعنّة ورأى بريق الأسنّة قتل مضيعة لا ناصر له وأُتي بك أسيراً قد وطئتك الكماة بأظلافها والخيل بسنابكها واعتلاك الأشتر فغصصت بريقك وأقعيت على عقبيك كالكلب إذا احتوشته اللّيوث، فنحن ويحك نور البلاد وأملاكها وبنا تفخر الأُمّة وإلينا تُلقى مقاليد الأزمّة، أنصول وأنت تختدع النّساء ثمَّ تفتخر على بني الأنبياء؟ لم تزل الأقاويل منا مقبولة وعليك وعلى أبيك مردودة. دخل الناس في دين جدّي طائعين وكارهين، ثمَّ بايعوا أمير المؤمنين فسار إلى أبيك وطلحة حين نكثا البيعة وخدعا عرس رسول الله فقتل أبوك وطلحة وأُتي بك أسيراً، فبصبصت بذنبك وناشدته الرحم أن لا يقتلك فعفا عنك، فأنت عتاقة أبي وأنا سيّدك وسيّد أبيك، فذقْ وبال أمرك.

فقال ابن الزبير: أعذر يا أبا محمد فإنّما حملني على محاورتك هذا، وأحبّ الإغراء بيننا فهلّا إذا جهلت أمسكت عنّي فإنّكم أهل بيت سجيّتكم الحلم والعفو.

فقال الحسن: يا معاوية أنظر هل أكيعُ عن محاورة أحد؟ ويحك أتدري من أيّ شجرة أنا وإلى من أنتمي؟ إنته قبل أن أسِمَك بميسم تتحدّث به الركبان في الآفاق والبلدان.

فقال ابن الزبير: هو لذلك أهل، فقال معاوية: أما إنّه قد شفى بلابل صدري منك ورمى مقتلك فصرت كالحجل في كفّ البازي يتلاعب بك كيف أراد فلا أراك تفتخر على أحد بعدها.

وذكروا أنّ الحسن بن علي دخل على معاوية فقال متمثلاً:

فيم الكلام وقد سبقت مبرزاً سبق الجواد من المدى والمقيس

فقال معاوية: إيّاي تعني؟ أما والله لأُنبئنّك بما يعرفه قلبك ولا ينكره جلساؤك: أنا ابن بطحاء مكة، أنا ابن أجودها جوداً وأكرمها جدوداً وأوفاها عهوداً، أنا ابن من ساد قريشاً ناشئاً وكهلاً.

فقال الحسن: أجل إيّاك أعني، أفعليّ تفتخر يا معاوية؟ أنا ابن ماء السماء وعروق الثّرى وابن من ساد أهل الدّنيا بالحسب الثابت والشرف الفائق والقديم السابق، أنا ابن من رضاه رضى الرّحمن وسخطه سخط الرّحمن، فهل لك أب كأبي وقديم كقديمي؟ فإن قلت: لا، تغلب، وإن قلت: نعم، تكذب.

فقال معاوية: أقول لا تصديقاً لقولك، فقال الحسن:

الحقّ أبلج ما تخون سبيله والصدق يعرفه ذوو الألباب.

وقال معاوية ذات يوم وعنده أشراف الناس من قريش وغيرهم: أخبروني بخير الناس أباً وأُمّاً وعمّاً وخالاً وخالةً وجدًّا وجدَّةً.

فقام مالك بن العجلان فأومأ إلى الحسن فقال: هاهوذا أبوه عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليهم وأمه فاطمة بنت رسول الله، وعمّه جعفر الطيّار في الجنان، وعمّته أمّ هاني بنت أبي طالب، وخاله القاسم بن رسول الله، وخالته بنت رسول الله زينب، وجدّه رسول الله، وجدّته خديجة بنت خويلد.

فسكت القوم ونهض الحسن، فأقبل عمرو بن العاص على مالك فقال: أحبّ بني هاشم حملك على أن تكلّمت بالباطل؟ فقال ابن العجلان: ما قلت إلّا حقّاً وما أحد من الناس يطلب مرضاة مخلوق بمعصية الخالق إلّا لم يعط أمنيّته في دنياه وختم له بالشقاء في آخرته، بنو هاشم أنضرهم عوداً وأوراهم زنداً، كذلك يا معاوية؟ قال: اللهمّ نعم.

قيل: واستأذن الحسن بن علي على معاوية وعنده عبد الله بن جعفر وعمرو بن العاص، فأذن له، فلمّا أقبل قال عمرو: قد جاءكم الأفة العييّ الّذي كان بين لحييه عبلة، فقال عبد الله بن جعفر: مه فوالله لقد رمت صخرة ململمة تنحطّ عنها السيول وتقصر دونها الوعول ولا تبلغها السهام، فإياك والحسن إيّاك، فإنّك لا تزال راتعاً في لحم رجل من قريش ولقد رميت فما برح سهمك وقدحت فما أورى زندك.

فسمع الحسن الكلام فلمّا أخذ الناس مجالسهم قال: يا معاوية لا يزال عندك عبدٌ راتعاً في

لحوم الناس، أما والله لو شئت ليكوننّ بيننا ما تتفاقم فيه الأمور وتحرّج منه الصدور ثمّ أنشأ يقول:

أتـأمـر يـا مـعـاوي عـبـد سـهـم ... بـشـتـمـي والـمـلا مـنّـا شـهـود
إذا أخذت مجالسها قريش فقد ... علمت قريش ما تريد
قصدت إليّ تشتمني سفاهاً ... لضغن ما يزول وما يبيد
فما لك من أب كأبي ... تسامي به من قد تسامي أو تكيد
ولا جدّ كجدّي يابن هند ... رسول الله إن ذكر الجدود
ولا أمّ كأمّي من قريش ... إذا ما يحصل الحسب التليد
فما مثلي تهكّم يابن هند ... ولا مثلي تجاريه العبيد
فمهلاً لا تهج منّا أموراً ... يشيب لها معاوية الوليد

وذكروا أنّ عمرو بن العاص قال لمعاوية ذات يوم: إبعث إلى الحسن بن عليّ فمره أن يخطب على المنبر فلعلّه يحصر فيكون ذلك ممّا نعيّره به، فبعث إليه معاوية فأصعده المنبر وقد جمع له الناس فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال:

يا أيّها الناس من عرفني فأنا الّذي يعرف ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي بن أبي طالب ابن عمّ النّبي، أنا ابن البشير النذير السراج المنير، أنا ابن من بعث رحمةً للعالمين وسخطاً للكافرين، أنا ابن من بعث إلى الجنّ والإنس، أنا المستجاب الدّعوة، أنا ابن الشفيع المطاع، أنا ابن أوّل من ينفض رأسه من التراب، أنا ابن أوّل من يقرع باب الجنّة، أنا ابن من قاتلت معه الملائكة ونصر بالرّعب من مسيرة شهر. فأفتنّ في هذا الكلام ولم يزل حتّى أظلمت الدُّنيا على معاوية فقال: يا حسن قد كنت ترجو أن تكون خليفةً ولست هناك.

فقال الحسن: إنما الخليفة من سار بسيرة رسول الله وعمل بطاعة الله وليس الخليفة من دان بالجور وعطّل السنن واتّخذ الدُّنيا أباً وأمّاً، ولكنّ ذاك ملك أصاب ملكاً يمتّع به قليلاً وكان قد انقطع عنه واستعجل لذّته وبقيت عليه تبعته فكان كما قال الله عزّ وجل: ﴿**وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين**﴾[١] ثمّ انصرف.

فقال معاوية لعمرو: والله ما أردت إلّا هتكي، ما كان أهل الشام يرون أنّ أحداً مثلي حتّى سمعوا من الحسن ما سمعوا.

قيل: وقدم الحسن بن عليّ رضوان الله عليه على معاوية فلمّا دخل عليه وجد عنده عمرو بن العاص ومروان بن الحكم والمغيرة بن شعبة وصناديد قومه ووجوه اليمن وأهل الشام، فلمّا نظر إليه

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١١١.

معاوية أقعده على سريره وأقبل عليه بوجهه يريه السرور بمقدمه، فلمّا نظر مروان إلى ذلك حسده وكان معاوية قال لهم: لا تحاوروا هذين الرجلين فلقد قلّداكم العار وفضحاكم عن أهل الشام - يعني الحسن بن علي، وعبد الله بن العبّاس.

فقال مروان: يا حسن لولا حلم أمير المؤمنين وما قد بنى له آباؤه الكرام من المجد والعلاء ما أقعدك هذا المقعد ولقتلك وأنت له مستوجب بقودك الجماهير فلمّا أحسست بنا وعلمت أن لا طاقة لك بفرسان أهل الشام وصناديد بني أميّة أذعنت بالطاعة واحتجرت بالبيعة وبعثت تطلب الأمان، أما والله لولا ذلك لأريق دمك، وعلمت أنّا نعطي السيوف حقّها عند الوغى، فاحمد الله إذ ابتلاك بمعاوية فعفا عنك بحلمه ثمّ صنع بك ما ترى.

فنظر إليه الحسن فقال: ويحك يا مروان لقد تقلّدت مقاليد العار في الحروب عند مشاهدتها والمخاذلة عند مخالطتها، نحن - هبلتك الهوابل - لنا الحجج البوالغ ولنا إن شكرتم عليكم النعم السوابغ، ندعوكم إلى النجاة وتدعوننا إلى النّار فشتّان ما بين المنزلتين، تفخر ببني أميّة وتزعم أنّهم صبّر في الحروب أسد عند اللقاء - ثكلتك أمّك - أولئك البهاليل السادة والحماة الذادة والكرام القادة بنو عبد المطلب، أما والله لقد رأيتم وجميع من في هذا البيت ما هالتهم الأهوال ولم يحيدوا عن الأبطال كالليوث الضارية الباسلة الحنقة، فعندها ولّيت هارباً وأخذت أسيراً فقلّدت قومك العار لأنّك في الحروب خوّار، أيراق دمي زعمت؟ أفلا أرقت دم من وثب على عثمان في الدار فذبحه كما يذبح الجمل وأنت تثغو ثغاء النعجة وتنادي بالويل والثبور كالأمة اللّكعاء، ألا دفعت عنه بيد أو ناضلت عنه بسهم؟ لقد ارتعدت فرائصك وغشي بصرك فاستغثت بي كما يستغيث العبد بربّه، فأنجيتك من القتل ومنعتك منه ثمّ تحثّ معاوية على قتلي ولو رام ذلك معك لذبح كما ذبح ابن عفّان، أنت معه أقصر يداً وأضيق باعاً وأجبن قلباً من أن تجسر على ذلك، ثمّ تزعم أنّي ابتليت بحلم معاوية أما والله لهو أعرف بشأنه وأشكر لما ولّيناه هذا الأمر فمتى بدا له فلا يغضينّ جفنه على القذى معك، فوالله لأثخنن أهل الشام بجيش يضيق عنها فضاؤها، ويستأصل فرسانها ثمّ لا ينفعك عند ذلك الهرب والرّوغان ولا يردّ عنك الطلب تدريجك الكلام فنحن ممّن لا يجهل آباؤنا القدماء الأكابر وفروعنا السادة الأخيار، أنطق إن كنت صادقاً.

فقال عمرو: ينطق بالخنى وتنطق بالصدق، ثمّ أنشأ يقول:

قد يضرط العير والمكواة تأخذه ... لا يضرط العير والمكواة في النار

ذق وبال أمرك يا مروان، وأقبل عليه معاوية فقال: قد نهيتك عن هذا الرجل وأنت تأبى إلّا انهماكاً فيما لا يعنيك، إربع على نفسك فليس أبوك كأبيه ولا أنت مثله، أنت ابن الطريد الشريد وهو ابن رسول الله الكريم ولكن ربّ باحث عن حتفه وحافر عن مديته، فقال مروان: إرم من دون بيضتك وقم بحجّة عشيرتك، ثمّ قال لعمرو: طعنك أبوه فوقيت نفسك بخصييك فلذلك تحذره وقام

مغضباً فقال معاوية: لا تجار البحور فتغمرك، ولا الجبال فتبهرك واسترح من الإعتذار.

قيل: ولقي عمرو بن العاص الحسن بن علي في الطّواف فقال: يا حسن أزعمت أنّ الدّين لا يقوم إلّا بك وبأبيك؟ فقد رأيت الله جلّ وعزّ أقامه بمعاوية فجعله راسياً بعد ميله وبيّناً بعد خفائه، أفرضي الله قتل عثمان أم من الحقّ أن تدور بالبيت كما يدور الجمل بالطّحين؟ عليك ثياب كغرقي البيض وأنت قاتل عثمان، والله إنّه لألمّ للشعث وأسهل للوعث أن يوردك معاوية حياض أبيك.

فقال الحسن: إنّ لأهل النّار علامات يعرفون بها وهي الإلحاد لأولياء الله والموالاة لأعداء الله، والله إنّك لتعلم أنّ عليّاً لم يرتب في الأمر ولم يشكّ في الله طرفة عين، وأيم الله لتنتهينّ يابن أمّ عمرو أو لأقرعنّ جبينك بكلام تبقى سمته عليك ما حييت، فإيّاك والإبراز عليّ فإنّي من قد عرفت لستُ بضعيف الغمزة، ولا بهشّ المشاشة، ولا بمري المأكلة، وإنّي من قريش كأوسط القلادة، يُعرف حسبي ولا أُدعى لغير أبي، وقد تحاكمت فيك رجال قريش فغلب عليك ألأمهم نسباً وأظهرهم لعنة، فإيّاك عنّي فإنك رجس، وإنما نحن بيت الطّهارة، أذهب الله عنّا الرجس وطهّرنا تطهيراً.

قيل: واجتمع الحسن بن علي وعمرو بن العاص، فقال الحسن: قد علمت قريش بأسرها أنّي منها في عزّ أرومتها لم أطبع على ضعف ولم أعكس على خسف، أعرف بشبهي وأُدعى لأبي.

فقال عمرو: قد علمت قريش أنّك من أقلّها عقلاً وأكثرها جهلاً، وأنّ فيك خصالاً لو لم يكن فيك إلّا واحدة منهنّ لشملك خزيها كما شمل البياض الحالك، لعمر الله لتنتهينّ عمّا أراك تصنع أو لأكبسنّ لك حافة كجلد العائط أرميك من خللها بأحرّ من وقع الأثافي أعرك منها أديمك عرك السلعة، فإنّك طالما ركبت صعب المنحدر ونزلت في أعراض الوعر التماساً للفرقة وإرصاداً للفتنة ولن يزيدك الله فيها إلّا فظاعة.

فقال الحسن: أما والله لو كنت تسمو بحسبك وتعمل برأيك ما سلكت فجّ قصد ولا حللت رابية مجد، وأيم الله لو أطاعني معاوية لجعلك بمنزلة العدوّ الكاشح فإنّه طالما طويت على هذا كشحك وأخفيته في صدرك وطمح بك الرجاء إلى الغاية القصوى الّتي لا يورق بها غصنك ولا يخضرّ لها مرعاك، أما والله ليوشكنّ يابن العاص أن تقع بين لحيي ضرغام من قريش قويّ متمنّع فروس ذي لبد يضغطك ضغط الرحى للحبّ لا ينجيك منه الرّوغان إذا التقت حلقتا البطان. انتهى ما أتى به البيهقي في المحاسن والمساوىء في المقام.

وفي محاسن البرقي: قال عمرو بن العاص للحسين: ما بال أولادنا أكثر من أولادكم؟ فقال:

بغاث الطير أكثرها فراخاً وأمّ الصقر مقلاة نزور

فقال: ما بال الشيب إلى شواربنا أسرع منه إلى شواربكم؟ فقال: إنّ نساءكم نساء بخرة فإذا دنا أحدكم من امرأته نهكته في وجهه فشاب منه شاربه، فقال: ما بال لحاكم أوفر من لحائنا؟ فقال:

﴿والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا﴾(١) .

فقال معاوية: بحقّي عليك إلّا سكت فإنّه ابن عليّ بن أبي طالب، فقال: إن عادت العقرب عدنا له وكانت النعل لها حاضرة

قد علم العقرب واستيقنت أن لا لها دنيا ولا آخرة

وروى ابن شهر أشوب وغيره عن أبان الأحمر أنّ شريك بن الأعور دخل على معاوية، فقال له معاوية: والله إنك لشريك وليس لله لشريك وأنك لابن الأعور والبصير خير من الأعور، وأنك لدميم، والجيد خير من الدميم فكيف سدت قومك؟ فقال له شريك: إنّك لمعاوية وما معاوية إلّا كلبة عوت واستعوت الكلاب، وإنّك لابن صخر والسهل خير من الصخر، وإنّك لابن حرب والسلم خير من الحرب، وإنّك لابن أميّة وما أُميّة إلّا أمة صغرت فاستصغرت فكيف صرت أمير المؤمنين؟ فغضب معاوية وخرج شريك وهو يقول:

أيشتمني معاوية بن صخر وسيفي صارم ومعي لساني

فلا تبسط علينا يابن هند لسانك إن بلغت ذرى الأماني

وإن تك للشقاء لنا أميراً فإنّا لا نقرّ على الهوان

وإن تك في أُميّة من ذراها فأنا في ذري عبد المدان

وروي أنّ معاوية أرسل إليه أي إلى أبي الاسود الدؤلي هدية منها حلواء، يريد بذلك ستمالته وصرفه عن حبّ عليّ بن أبي طالب، فدخلت إبنة صغيرة له خماسي أو سداسي عليه فأخذت لقمة من تلك الحلواء وجعلتها في فمها، فقال لها أبو الأسود: يا بنتي ألقيه فإنه سمّ، هذه حلواء أرسلها إلينا معاوية ليخدعنا عن أمير المؤمنين ويردّنا عن محبّة أهل البيت، فقالت الصبيّة: قبّحه الله يخدعنا عن السيّد المطهّر بالشّهد المزعفر تبًّا لمرسله وآكله. فعالجت نفسها حتّى قاءت ما أكلتها ثمّ قالت:

أبالشّهد المزعفر يا بن هند نبيع عليك أحساباً وديناً

معاذ الله كيف يكون هذا ومولانا أمير المؤمنينا

ويشبه هذا ما روي أنه دخل أبو أمامة الباهلي على معاوية فقرّبه وأدناه ثمّ دعى بالطعام فجعل يطعم أبا أمامة بيده، ثمّ أوسع رأسه ولحيته طيباً بيده وأمر له ببدرة من دنانير فدفعها إليه، ثمّ قال: يا أبا أمامة بالله أنا خير أم عليّ بن أبي طالب؟ فقال أبو أمامة: نعم ولا كذب ولو بغير الله سألتني لصدقتُ، عليٌ والله خير منك وأكرم وأقدم إسلاماً وأقرب إلى رسول الله قرابة وأشدّ في المشركين نكاية وأعظم عند الأمّة عناء، أتدري من عليٌ يا معاوية؟ ابن عمّ رسول الله ﷺ، وزوج ابنته سيّدة

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٨.

نساء العالمين، وأبو الحسن والحسين سيّدي شباب أهل الجنّة، وابن أخي حمزة سيّد الشهداء، وأخو جعفر ذي الجناحين، فأين تقع أنت من هذا يا معاوية؟ أظننت أنّي سأختارك على علي بألطافك وطعامك وعطائك فأدخل إليك مؤمناً، وأخرج عنك كافراً بئسما سوّلت لك نفسك يا معاوية ثمّ نهض وخرج من عنده فأتبعه بالمال، فقال: لا والله لا أقبل منك ديناراً واحداً.

قال تقي الدّين أبو بكر بن علي الحموي في ثمرات الأوراق في المحاضرات: قلت: وأمّا الأجوبة الهاشميّة وبلاغتها فهي في المحل الأرفع، فمن ذلك أنه اجتمع عند معاوية عمرو بن العاص والوليد بن عقبة وعتبة بن أبي سفيان والمغيرة بن شعبة، فقالوا: يا أمير المؤمنين إبعث إلى الحسن بن علي فقال لهم: فيم؟

فقالوا: كي نوبّخه ونعرّفه أنَّ أباه قتل عثمان، فقال لهم: إنّكم لا تنتصفون منه ولا تقولون شيئاً إلّا كذّبكم الناس، ولا يقول لكم شيئاً ببلاغته إلّا صدّقه الناس، فقالوا: أرسل إليه فإنا سنكفيك أمره.

فأرسل إليه معاوية فلمّا حضر قال: يا حسن إنّي لم أرسل إليك ولكن هؤلاء أرسلوا إليك فاسمع مقالتهم وأجب ولا تحرمني.

فقال الحسن: فليتكلّموا ونسمع، فقام عمرو بن العاص فحمد الله وأثنى عليه قال: هل تعلم يا حسن أن أباك أوّل من أثار الفتنة وطلب الملك فكيف رأيت صنع الله به؟.

ثمّ قام الوليد بن عقبة بن أبي معيط فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: يا بني هاشم كنتم أصهار عثمان بن عفان فنعم الصّهر كان يفضّلكم ويقرّبكم ثم بغيتم عليه فقتلتموه، ولقد أردنا يا حسن قتل أبيك فأنقذنا الله منه ولو قتلناه بعثمان ما كان علينا من الله ذنب.

ثمّ قام عتبة فقال: تعلم يا حسن أنَّ أباك بغى على عثمان فقتله حسداً على الملك والدُّنيا فسلبها، ولقد أردنا قتل أبيك حتّى قتله الله تعالى.

ثمّ قام المغيرة بن شعبة فكان كلامه كلّه سبًّا لعليّ وتعظيماً لعثمان.

فقام الحسن فحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال: بك أبدأ يا معاوية لم يشتمني هؤلاء، ولكن أنت تشتمني بغضاً وعداوة وخلافاً لجدّي، ثمّ التفت إلى الناس وقال: أنشدكم الله أتعلمون أنَّ الرّجل الّذي شتمه هؤلاء كان أوّل من آمن بالله وصلّى القبلتين، وأنت يا معاوية يومئذ كافر تشرك بالله، وكان معه لواء النّبي يوم بدر، ومع معاوية وأبيه لواء المشركين.

ثمّ قال: أنشدكم الله والإسلام، أتعلمون أنَّ معاوية كان يكتب الرسائل لجدّي فأرسل إليه يوماً فرجع الرسول وقال: هو يأكل، فردّ الرسول إليه ثلاث مرّات كلّ ذلك وهو يقول: هو يأكل، فقال النبي: لا أشبع الله بطنه، أما تعرف ذلك في بطنك أما تعرف ذلك في بطنك يا معاوية؟

ثمَّ قال: وأنشدكم الله، أتعلمون أنَّ معاوية كان يقود بأبيه على جمل وأخوه هذا يسوقه، فقال رسول الله: لعن الله الجمل وقائده وراكبه وسائقه هذا كله لك يا معاوية.

وأمّا أنت يا عمرو فتنازع فيك خمسة من قريش فغلب عليك شبه ألأمهم حسباً وشرّهم منصباً ثمَّ قمت وسط قريش فقلت: أني شانئ محمد، فأنزل الله على نبيّه ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾[1].

ثمَّ هجوت محمداً بثلاثين بيتاً من الشعر، فقال النبيّ: اللهمَّ إنّي لا أحسن الشعر ولكن إلعن عمرو بن العاص بكلّ بيت لعنة ثمَّ انطلقت إلى النجاشي بما علمت وعملت فأكذبك الله وردّك خائباً فأنت عدوّ بني هاشم في الجاهليّة والإسلام فلم نلمك على بغضك.

وأمّا أنت يابن أبي معيط، فكيف ألومك على سبّك لعليّ وقد جلد ظهرك في الخمر ثمانين سوطاً، وقتل أباك صبراً بأمر جدّي، وقتله جدّي بأمر ربّي، ولمّا قدمه للقتل قال: من للصبية يا محمد، فقال: لهم النار، فلم يكن لكم عن النبي إلّا النّار، ولم يكن لكم عند عليّ غير السيف والسوط.

وأمّا أنت يا عتبة فكيف تعد أحداً بالقتل، لم لا قتلت الّذي وجدته في فراشك مضاجعاً لزوجتك ثمَّ أمسكتها بعد أن بغت.

وأمّا أنت يا أعور ثقيف ففي أيّ ثلاث تسبّ عليّاً؟ أفي بعده من رسول الله؟ أم في حكم جائر؟ أم في رغبة في الدُّنيا؟ فإن قلت شيئاً من ذلك فقد كذبت وأكذبك الناس، وإن زعمت أنَّ عليّاً قتل عثمان فقد كذبت وأكذبك الناس، وأمّا وعيدك فإنما مثلك كمثل بعوضة وقفت على نخلة، فقالت لها: استمسكي فإني أريد أن أطير، فقالت لها النخلة: ما علمت بوقوفك فكيف يشقّ عليّ طيرانك، وأنت فما شعرنا بعداوتك فكيف يشق علينا سبك؟ ثم نفض ثيابه وقام، فقال لهم معاوية: ألم أقل لكم إنكم لا تنتصفون منه، فوالله لقد أظلم عليّ البيت حتّى قام فليس فيكم بعد اليوم خير. انتهى.

قال سبط ابن الجوزي في التذكرة: قال أهل السير: ولمّا سلم الحسن الأمر إلى معاوية أقام يتجهز إلى المدينة فاجتمع إلى معاوية رهط من شيعته منهم عمرو بن العاص والوليد ابن عقبة وهو أخو عثمان بن عفّان لأمّه وكان عليٌّ قد جلده في الخمر، وعتبة وقالوا: نريد أن تحضر الحسن على سبيل الزيارة لنخجّله قبل مسيره إلى المدينة، فنهاهم معاوية وقال: إنّه ألسن بني هاشم. فألحّوا عليه، فأرسل إلى الحسن فاستزاره فلمّا حضر شرعوا فتناولوا عليّاً والحسن ساكت فلمّا فرغوا حمد الحسن الله وأثنى عليه وصلّى على رسوله محمد وقال:

إنّ الّذي أشرتم إليه قد صلّى إلى القبلتين وبايع البيعتين وأنتم بالجميع مشركون وبما أنزل الله

(١) سورة الكوثر، الآية: ٣.

على نبيّه كافرون، وأنّه حرّم على نفسه الشهوات وامتنع على اللّذات حتّى أنزل الله فيه: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾[1].

وأنت يا معاوية ممّن قال رسول الله في حقّه: اللهمَّ لا تشبعه أو لا أشبع الله بطنك، أخرجه مسلم عن ابن عبّاس.

وبات أمير المؤمنين يحرس رسول الله من المشركين، وفداه بنفسه ليلة الهجرة حتّى أنزل الله فيه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ﴾[2].

ووصفه بالإيمان فقال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾[3].

والمراد به أمير المؤمنين، وقال له رسول الله: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى وأنت أخي في الدُّنيا والآخرة، وأنت يا معاوية نظر النّبي إليك يوم الأحزاب فرأى أباك على جمل يحرّض النّاس على قتاله وأخوك يقود الجمل وأنت تسوقه فقال: لعن الله الراكب والقائد والسائق، وما قابله أبوك في موطن إلّا ولعنه وكنت معه، ولّاك عمر الشام فخنته، ثمَّ ولّاك عثمان فتربّصت عليه وأنت الّذي كنت تنهى أباك عن الإسلام حتّى قلت مخاطباً له:

يا صخر لا تسلمنّ طوعاً فتفضحنا بعد الّذين ببدر أصبحوا مزقا
لا تركننّ إلى أمر تقلّدنا والرّاقصات بنعمان به الحرقا

وكنت يوم بدر وأحد والخندق والمشاهد كلّها تقاتل رسول الله وقد علمت الفراش الذي ولدت عليه.

ثمَّ التفت إلى عمرو بن العاص وقال: أما أنت يابن النابغة فادّعاك خمسة من قريش غلب عليك ألأمهم وهو العاص وولدت على فراش مشترك وفيك نزل: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾[4].

وكنت عدو الله وعدو رسوله وعدو المسلمين وكنت أضرّ عليهم من كل مشرك، وأنت القائل:

ولا أنثني عن بني هاشم بما اسطعت في الغيب والمحضر
وعن عائب اللّات لا أنثني ولولا رضى اللّات لم تمطر

وأمّا أنت يا وليد فلا ألومك على بغض أمير المؤمنين فإنّه قتل أباك صبراً وجلّدك في الخمر لمّا صلّيت بالمسلمين الفجر سكراناً وقلت أزيدكم، وفيك يقول الحطيئة:

شهد الحطيئة حين يلقى ربّه أنّ الوليد أحقّ بالعذر
نادى وقد تمّ صلاتهم ألأزيدكم سكراً وما يدري

(١) سورة المَائدة، الآية: ٨٧.
(٢) سورة البَقَرة، الآية: ٢٠٧.
(٣) سورة المَائدة، الآية: ٥٥.
(٤) سورة الكوثر، الآية: ٣.

ليزيدهم أُخرى ولو قبلوا ... لأتت صلاتهم على العشر
فأتوا أبا وهب ولو قبلوا ... لقرنت بين الشفع والوتر
حبسوا عنانك إذ جريت ولو تركوا ... عنانك لم تزل تجري

وسمّاك الله في كتابه فاسقاً، وسمّى أمير المؤمنين مؤمناً في قوله: **﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾**[1].

وفيك يقول حسان بن ثابت وفي أمير المؤمنين: عليه السلام

أنزل الله ذو الجلال علينا ... في عليّ وفي الوليد قرانا
ليس من كان مؤمناً عمرك ... الله كمن كان فاسقاً خوّانا
سوف يُدعى الوليد بعد قليل ... وعليّ إلى الجزاء عيانا
فعليّ يجزى هناك جنانا ... ووليد يجزى هناك هوانا

وأمّا أنت يا عتبة فلا ألومك في أمير المؤمنين فإنّه قتل أباك يوم بدر واشترك في دم ابن عمّك شيبة، وهلا أنكرت على من غلب على فراشك ووجدته نائماً مع عرسك حتى قال فيك نصر بن حجّاج:

نبّئت عتبة هيّأته عرسه ... لصداقة الهذلي من الحيّان
ألفاه معها في الفراش فلم يكن فحلاً ... وأمسك خشية النسوان
لا تعتبن يا عتب نفسك حبّها ... إنّ النساء حبائل الشيطان

ثمّ نفض الحسن ثوبه وقام، فقال معاوية:

أمرتكم أمراً فلم تسمعوا له ... وقلت لكم لا تبعثنّ إلى الحسن
فجاء وربّ الرّاقصات عشيّةً بركبانها ... يهوين من سرّة اليمن
أخاف عليكم منه طول لسانه ... وبعد مداه حين إجراره الرسن
فلمّا أبيتم كنت فيكم كبعضكم ... وكان خطابي فيه غبناً من الغبن
فحسبكم ما قال منّا علمتم ... وحسبي بما ألقاه في القبر والكفن[2]

---

(١) سورة السّجدة، الآية: ١٨.

(٢) البحار: ٤٤/ ٨٢.

إحتجاج ابن عباس على معاوية

وفي كتاب الإحتجاج عن سليم بن قيس قال: قدم معاوية في خلافته حاجّاً واستقبله أهل المدينة فإذا ليس فيهم قرشي فقال: ما بال الأنصار لم يستقبلوني؟ فقيل له: ليس لهم دواب، فقال: وأين نواضحهم؟

قال قيس بن سعد بن عبادة سيّد الأنصار: أفنوها يوم بدر وأُحد وما بعدهما من مشاهد رسول الله ﷺ حين ضربوك وأباك على الإسلام حتّى ظهر أمر الله وأنتم كارهون.

ثمّ إنّ معاوية مرّ بحلقة من قريش فقاموا له غير عبد الله بن العبّاس فقال: ما منعك من القيام جدتك من قتالي لكم بصفّين فلا تحزن من ذلك فإنّ عثمان قتل مظلوماً .

قال ابن عبّاس: فعمر بن الخطّاب قد قتل مظلوماً.

قال: عمر قتله كافر وعثمان قتله المسلمون؟

قال: فذاك أدحض لحجّتك قال: فإنّا كتبنا في الآفاق ننهى عن ذكر مناقب عليّ وأهل بيته فكفّ لسانك.

قال: يا معاوية أتنهانا عن قراءة القرآن؟

قال: لا، قال: أتنهانا عن تأويله؟

قال: نعم، قال: نقرأ القرآن ولا نسأل عمّا عنى الله به فأيّهما أوجب علينا قراءته أو العمل به؟

قال: العمل به.

قال: كيف نعمل به ولا نعلم ما عنى الله؟

قال: سلْ عن ذلك من يتأوّله على غير ما تتأوّله أنت وأهل بيتك.

قال: إنّما نزل القرآن على أهل بيتي أنسأل عنه أبا سفيان.

قال: إقرأوا القرآن وتأوّلوه ولا ترووا شيئاً ممّا أنزل الله فيكم وارووا ما سوى ذلك.

قال: إنّ الله يقول: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[١] .

ثمّ نادى منادي معاوية: أن برئت الذمّة ممّن روى حديثاً في مناقب عليّ، وكان أشدّ الناس بليّة أهل الكوفة لكثرة ما بها من الشيعة فاستعمل زياد بن أبيه وضمّ إليه العراقين الكوفة والبصرة، فجعل يتتبّع الشيعة وهو بهم عارف يقتلهم تحت كلّ حجر ومدر ويقطع منهم الأيدي والأرجل ويصلبهم ونفاهم عن العراق[٢] .

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٢.

(٢) البحار: ٤٤/ ١٢٥.

مفاخرة بين الحسن بن عليّ ورجالات من قريش

روى الزبير بن بكار في كتاب المفاخرات؛ قال: اجتمع عند معاوية عمرو بن العاص، والوليد بن عُقْبة بن أبي مُعَيْط، وعُتْبة بن أبي سفيان بن حرب، والمغيرة بن شعبة، وقد كان بلغهم عن الحسن بن عليّ ﷺ قوارصُ، وبلغه عنهم مثل ذلك، فقالوا: يا أميرالمؤمنين إنّ الحسن قد أحيا أباه وذكره، وقال فصُدِّق، وأمر فأُطيع، وخَفَقَتْ له النعال، وإنّ ذلك لرافعه إلى ما هو أعظم منه، ولا يزال يبلغُنا عنه ما يسوؤنا.

قال معاوية: فما تريدون؟ قالوا: إبعث عليه فليحضُر لنَسُبَّه ونَسُبَّ أباه، ونعيِّره ونوبِّخه، ونخبره أن أباه قتل عثمان ونقرّره بذلك، ولا يستطيع أن يغيِّر علينا شيئاً من ذلك.

قال معاوية: إني لا أرى ذلك ولا أفعله؛ قالوا: عزمْنا عليك يا أميرالمؤمنين لتفعلَنّ؛ فقال: ويحكم لا تفعلوا! فو الله ما رأيته قطّ جالساً عندي إلّا خفت مقامه وعَيْبَه لي، قالوا: إبعث إليه على كلِّ حال؛ قال: إن بعثت إليه لأنصفنَّه منكم.

فقال عمرو بن العاص: أتخشى أن يأتيَ باطلُه على حقنا، أو يُرْبِي قَولُه على قولنا! قال معاوية: أما إني إن بعثت إليه لآمرنَه أن يتكلّم بلسانه كلِّه، قالوا: مُرْه بذلك.

قال: أما إذْ عصيتموني، وبعثتم إليه وأبيْتم إلّا ذلك فلا تُمرِضوا[1] له في القول، واعلموا أنهم أهل بيت لا يعيبهم العائب، ولا يُلْصَق بهم العار؛ ولكن اقذفوه بحجَرِه؛ تقولون له: إنّ أباك قتل عثمان، وكره خلافة الخلفاء مِن قبله.

فبعث إليه معاوية، فجاءه رسوله، فقال: إن أميرالمؤمنين يدعوك.

قال: مَنْ عنده؟ فسمّاهم له؛ فقال الحسن ﷺ: ما لهم خرَّ عليهم السقف من فوقهم، وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون.

ثم قال: يا جارية، ابغيني[2] ثيابي، اللهم إني أعوذُ بك من شرورهم، وأدْرَأُ بك في نحورهم، وأستعين بك عليهم، فاكْفِنيهم كيف شئتَ وأنّى شئت، بحَوْل منك وقوة يا أرحم الراحمين!

ثم قام، فلما دخل على معاوية، أعظمه وأكرمه، وأجلسه إلى جانبه، وقد ارتاد القوم، وخطروا خَطَران الفحول، بغياً في أنفسهم وعُلُوّاً، ثم قال: يا أبا محمد؛ إنّ هؤلاء بعثوا إليك وعَصَوْني.

فقال الحسن ﷺ: سبحان الله! الدّار دارُك، والإذنُ فيها إليك، والله إن كنتَ أجبتَهم إلى ما

(١) فلا تمرضوا له؛ أي لا تجعلوا قولكم مريضاً.

(٢) ابغيني ثيابي، أي أعينيني على إحضارها.

أرادوا وما في أنفسهم إني لأستحيي لك من الفُحْش، وإن كانوا غلبوك على رأيك إني لأستحيي لك من الضعف؛ فأيهما تُقَرِّر، وأيهما تنكر؟ أما إني لو علمتُ بمكانهم جئتُ معي بمثلهم من بني عبدالمطلّب، وما لي أن أكون مستوحشاً منك ولا منهم! إن وليِّيَ الله، وهو يتولّى الصالحين.

فقال معاوية: يا هذا، إنّي كرهتُ أن أدعوَك، ولكن هؤلاء حملوني على ذلك مع كراهتي له، وإنّ لك منهم النَّصَف ومنّي، وإنما دَعَوْناك لنقرِّرَك أنّ عثمان قُتل مظلوماً، وأن أباك قتله، فاستمِع منهم ثم أجِبْهم، ولا تمنعك وَحْدتك واجتماعُهم أن تتكلم بكلّ لسانك.

فتكلم عمرو بن العاص، فحمِد الله وصلى على رسوله، ثم ذكر علياً ﷺ، فلم يترك شيئاً يعيبه به إلّا قاله، وقال: إنّه شتم أبا بكر وكره خلافته، وامتنع مِنْ بيعته، ثم بايعه مكرَهاً، وشَرَكَ في دم عمر، وقتلَ عثمان ظلماً. وادّعى من الخلافة ما ليس له.

ثم ذكر الفتنة يعيِّره بها، وأضاف إليه مساوئ؛ وقال: إنكم يا بني عبدالمطلب لم يكن الله ليعطيَكم الملك على قتلكم الخلفاء، واستحلالكم ما حرّم الله من الدماء، وحِرْصكم على الملك، وإتيانكم ما لا يحلّ.

ثم إنك يا حسن، تحدّث نفسك أنّ الخلافة صائرة إليك، وليس عندك عقلُ ذلك ولا لبُّه، كيف ترى الله سبحانه سلبك عقلَك، وتركك أحمقَ قريش، يُسخر منك ويُهزأ بك، وذلك لسوء عمل أبيك! وإنما دعوناك لنسبّك وأباك، فأما أبوك فقد تفرّد الله به وكفانا أمره، وأما أنت فإنك في أيدينا نختار فيك الخصال، ولو قتلناك ما كان علينا إثم من الله، ولا عيب من الناس، فهل تستطيع أن تردّ علينا وتكذِّبنا؟ فإن كنت ترى أ نّا كذبنا في شيء فأردُده علينا فيما قلنا، وإلّا فاعلم أنك وأباك ظالمان.

ثم تكلم الوليد بن عُقْبة بن أبي مُعَيط، فقال: يا بني هاشم، إنّكم كنتم أخوال عثمان؛ فنِعم الولد كان لكم؛ فعَرف حقكم، وكنتم أصهاره فنعم الصِّهْر كان لكم، يكرمكم فكنتم أول من حَسده، فقتله أبوك ظلما، لا عذرَ له ولا حجة، فكيف ترَوْن الله طلب بدمه، وأنزلكم منزلَتكم! والله إنّ بني أمية خير لبني هاشم من بني هاشم لبني أمية، وإن معاوية خيرٌ لك من نفسك.

ثم تكلم عُتْبة بن أبي سفيان، فقال: يا حسن، كان أبوك شرَّ قريش لقريش، أسفَكَها لدمائها، وأقطعها لأرحامها، طَويلَ السيف واللسان، يقتل الحيّ ويعيب الميت، وإنك مِمّن قتل عثمان، ونحن قاتلوك به، وأما رجاؤك الخلافة فلست في زَنْدِها قادحا، ولا في ميزانها راجحاً، وإنكم يا بني هاشم قتلتم عثمان، وإنّ في الحق أن نقتلك وأخاك به؛ فأمّا أبوك فقد كفانا الله أمرَه وأقادَ منه، وأما أنت، فوالله ما علينا لو قتلناك بعثمان إثم ولا عدوان.

ثم تكلم المغيرة بن شعبة، فشتم علياً، وقال: والله ما أعيبه في قضية يخون، ولا في حكم يميل، ولكنه قتل عثمان. ثم سكتوا.

فتكلم الحسن بن عليّ ﷺ؛ فحمِد الله وأثنى عليه، وصلى على رسوله ﷺ، ثم قال: أما بعد يا معاوية، فما هؤلاء شتموني ولكنك شتَمتَني، فحشاً أَلِفتَه؛ وسوءَ رأيٍ عُرفتَ به، وخُلُقاً سيئا ثبتَّ عليه، وبغياً علينا؛ عداوةً منك لمحمد وأهله، ولكن إسمع يا معاوية، واسمعوا فلأقولنّ فيك وفيهم ما هو دون ما فيكم.

أنشُدُكم الله أيها الرّهط، أتعلمون أنّ الذي شتمتُموه هذا اليوم، صلّى القبلتين كلْتيهما وأنت يا معاوية بهما كافر؛ تراها ضلالة، وتعبد اللات والعزى غواية!

وأنشدكم الله هل تعلمون أنه بايع البيْعتين كلتيهما: بيعة الفتح وبيعة الرضوان، وأنت يا معاوية بإحداهما كافر وبالأخرى ناكث!

وأنشُدُكم الله هل تعلمون أنه أولُ الناس إيمانا، وأنك يا معاوية وأباك من المؤلفة قلوبهم تُسِرُّون الكفر، وتظهرون الإسلام، وتُستمالون بالأموال!

وأنشُدُكم الله، ألستم تعلمون أنّه كان صاحبَ راية رسول الله ﷺ يوم بَدْر، وأنّ رايةَ المشركين كانت مع معاوية ومع أبيه، ثم لقيَكم يوم أُحُد ويوم الأحزاب، ومعه راية رسول الله ﷺ، ومعَك ومع أبيك رايةُ الشِّرك؛ وفي كلّ ذلك يفتح الله له ويُفلِج حُجّتَه، وينصر دعوتَه، ويصدّق حديثَه، ورسول الله ﷺ في تلك المواطن كلِّها عنه راضٍ، وعليك وعلى أبيك ساخط! وأنشُدك الله يا معاوية، أتذكُر يوماً جاء أبوك على جمل أحمر، وأنت تسوقُه، وأخوك عتْبة هذا يقوده، فرآكم رسول الله ﷺ؛ فقال: «اللهم العن الراكب والقائد والسائق!».

أتنسى يا معاوية الشعر الذي كتبتَه إلى أبيك لما همّ أن يُسلم، تنهاه عن ذلك:

يا صخر لا تُسْلِمن يوما فتفضَحَنا ... بعد الذين بِبَدْر أصبَحُوا فِرَقا

خالي وعَمّي وعمّ الأمّ ثالثُهم ... وحنظلُ الخير قد أهدى لنا الأرَقا

لا تَركَنَنَّ إلى أمر تكلّفنا ... والراقصات به في مكة الخُرُقَا

فالموتُ أهونُ من قول العِداة: لقدْ ... حاد ابنُ حرب عن العُزّى إذاً فَرِقَا[١]

والله لَمَا أخفيتُ من أمرك أكبرُ مما أبديتُ.

وأنشدكم الله أيّها الرهط؛ أتعلمون أن علياً حَرَّم الشهواتِ على نفسه بين أصحاب رسول الله ﷺ فأنزل فيه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾[٢]، وأنّ رسول الله ﷺ بعث أكابرَ أصحابه إلى بني قُريظة فنزلوا من حِصْنِهم فهُزموا، فبعث علياً بالراية، فاستنزلهم على حكم الله وحكم رسوله، وفعل في خَيْبر مثلها!

(١) فرق، كفرح: فزع واضطراب.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٨٧.

ثم قال: يا معاوية أظنُّك لا تعلم أنّي أعلم ما دعا به عليك رسول الله ﷺ لمّا أراد أن يكتبَ كتابا إلى بني خُزيمة، فبعث إليك [ابن عباس، فوجدك تأكل، ثم بعثه إليك مرة أخرى فوجدك تأكل، فدعا عليك الرسول بجوعك](١) ونهمِك إلى أن تموت.

وأنتم أيها الرّهط: نشدتُكم الله، ألّا تعلمون أنَّ رسول الله ﷺ لعن أبا سفيان في سبعة مواطن لا تستطيعون ردّها:

أوّلها: يوم لَقِيَ رسول الله ﷺ خارجا من مكّة إلى الطائف، يدعو ثَقيفا إلى الدِّين، فوقع به وسبَّه وسفَّهَهُ وشتَمه وكذّبه وتوعّده، وهمّ أن يَبْطش به، فلعنه الله ورسوله وصُرِف عنه.

والثانية يوم العِير؛ إذ عرض لها رسول الله ﷺ وهي آتية من الشام، فطردها أبو سفيان، وساحَل بها، فلم يظفر المسلمون بها، ولعنه رسول الله ﷺ ودعا عليه، فكانت وقعة بدر لأجلها.

والثالثة يوم أُحُد، حيث وقف تحت الجبل، ورسول الله ﷺ في أعلاه، وهو ينادي: اعْلُ هُبَل! مراراً، فلعنه رسول الله ﷺ عشر مرات ولعنه المسلمون.

والرابعة يوم جاء بالأحزاب وغَطفَان واليهود، فلعنه رسول الله وابتهل.

والخامسة يوم جاء أبو سفيان في قريش فصدُّوا رسول الله ﷺ عن المسجد الحرام «و الهدْىَ معكوفاً أن يبلغ مَحلّه» ذلك يوم الحدَيبية، فلعن رسول الله ﷺ أبا سفيان، ولعن القادة والأتباع، وقال: «ملعونون كلُّهم، وليس فيهم من يؤمن»، فقيل: يا رسول الله، أفما يُرْجَى الإسلام لأحد منهم فكيف باللعنة؟

فقال: «لا تصيب اللعنة أحداً من الأتباع، وأمّا القادة فلا يفلح منهم أحد».

والسادسة يوم الجمل الأحمر.

والسابعة يومَ وقفوا لرسول الله ﷺ في العَقَبة ليستنفروا ناقته، وكانوا إثني عشر رجلاً، منهم أبو سفيان.

فهذا لك يا معاوية؛ وأما أنت يا بنَ العاص؛ فإنّ أمرَك مشترَك، وضعتْك أمك مجهولاً؛ من عُهْر وسِفاح، فتحاكم فيك أربعة من قريش، فغلب عليك جَزَّارُها، ألأمُهُمْ حَسباً، وأخبثُهم منصِباً؛ ثم قام أبوك فقال: أنا شانئ محمّد الأبتر، فأنزل الله فيه ما أنزل.

وقاتلتَ رسول الله ﷺ في جميعِ المشاهد، وهجوْتَه وآذيته بمكّة وكِدته كيدَك كلَّه، وكنتَ من أشدّ النّاس له تكذيبا وعداوةً.

---

(١) زيادة يقتضيها السياق، أخذت من قصة جاءت في ترجمة معاوية في أسد الغابة ٤/ ٣٨٦ نقلها عن صحيح مسلم.

ثم خرجتَ تريد النّجاشيّ مع أصحاب السفينة، لتأتِيَ بجعفر وأصحابه إلى أهل مكة، فلما أخطأك ما رجَوْتَ ورجَعك الله خائبا، وأكذَبَك واشِياً، جعلت حدَّك على صاحبك عُمارة بن الوليد، فوشيْت به إلى النجاشيّ، حسداً لما ارتكبَ مع حليلتك، ففضحك الله وفضحَ صاحبك.

فأنت عدوّ بني هاشم في الجاهليّة والإسلام. ثم إنك تعلم وكلّ هؤلاء الرَّهْط يعلَمُون أ نَك هجوتَ رسول الله ﷺ بسبعين بيتا من الشّعر، فقال رسول الله ﷺ: «اللّهمّ إني لا أقول الشّعر ولا ينبغي لي، اللّهمّ العنه بكل حرف ألف لعنة»؛ فعليك إذاً من الله ما لا يُحصَى من اللعن.

وأما ما ذكرتَ من أمر عثمان، فأنت سعَّرت عليه الدّنيا نارا، ثم لحقت بفلسطين فلمّا أتاك قتلُه، قلت: أنا أبوعبد الله إذا نكأتُ قَرْحة أدميتُها. ثم حبستَ نفسك إلى معاوية، وبعتَ دينك بدنياه؛ فلسنا نلومك على بُغض، ولا نعاتبك على ودّ، وبالله ما نصرت عثمان حيّاً ولا غضِبت له مقتولا، ويحك يا بن العاص! ألستَ القائل في بني هاشم لما خرجت من مكة إلى النجاشيّ:

تقول ابنتي أين هذا الرحيل ... وما السَّيْرُ مِنّي بمستنكَر
فقلت: ذرِيني فإني امرؤٌ ... أريدُ النجاشيَّ في جعفرِ
لأكْوِيَهُ عنده كيَّةً ... أقِيمُ بها نخوةَ الأصعَرِ
وشانئُ أحمدَ من بينهمْ ... وأقولُهم فيه بالمنكَرِ
وأجري إلى عتبة جاهداً ... ولو كانَ كالذَّهَبِ الأحمرِ
ولا أنثني عن بَنِي هاشم ... وما اسطعتُ في الْغَيْبِ والْمحضَرِ
فإنْ قَبِل العَتْبَ مِنّي لَهُ ... وإلاّ لَوَيْتُ له مِشْفَرِي

فهذا جوابك، هل سمعته!

وأما أنت يا وليد؛ فوالله ما ألومك على بغض عليّ، وقد جلَدك ثمانين في الخمر، وقتَل أباك بين يديْ رسول الله صبرا، وأنت الذي سمَّاه الله الفاسق، وسمّى علياً المؤمن، حيث تفاخرتما فقلتَ له: أسكت يا عليّ، فأنا أشجع منك جِنانا، وأطول منك لسانا، فقال لك عليّ: أسكُتْ يا وليد فأنا مؤمن وأنت فاسق؛ فأنزل الله تعالى في موافقة قوله: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لَا يَسْتَوُونَ﴾[1]، ثم أنزل فيك عَلَى موافقة قوله أيضاً: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾[2].

ويحَك يا وليد! مَهْمَا نسيتَ، فلا تنسَ قول الشاعر فيك وفيه:

أنزل اللّه والكتاب عزيزٌ ... في عليّ وفي الوليد قرآنا
فتبوّأ الوليد اذ ذاك فِسْقاً ... وعليٌّ مبوّأٌ إيمانا

(١) سورة السجدة، الآية: ١٨.
(٢) سورة الحجرات، الآية: ٦.

ليس من كان مؤمناً ـ عَمْرَكَ اللّه ـ كَمَنْ كَانَ فاسقاً خَوّانَا
سوف يُدعى الوليد بعد قليل وعليٌّ إلى الحساب عِيَانَا
فعليٌّ يُجزى بذاك جِناناً ووليدٌ يُجزى بذاك هَوانَا
رُبَّ جَدٍّ لِعُقْبَةَ بن أبان لابس في بلادنا تُبَّانَا[1]

وما أنت وقريش؟ إنما أنت عِلْج من أهل صَفّورية، وأقسم بالله لأنت أكبر في الميلاد، وأسنّ ممّن تدعى إليه.

وأما أنت يا عتبة؛ فوالله ما أنت بحصيف فأجيبَك، ولا عاقل فأحاورَك وأعاتِبَكَ، وما عندك خير يُرْجَى، ولا شرّ يتقى، وما عقلك وعقل أمَتِك إلّا سواء، وما يضرّ علياً لو سبَبْتَه على رؤوس الأشهاد!

وأمّا وعيدك إيّاي بالقتل، فهلّا قتلت اللّحيانيّ إذ وجدته على فراشك! أما تستحيي من قول نصر بن حجاج فيك:

يا للرجال وحادثِ الأزمان ولِسُبّةٍ تُخزى أبا سفيانِ
نُبِّئتُ عتبةَ خانه في عِرسِه جِبْسٌ لئيمُ الأصل من لِحيانِ

وبعدَ هذا، ما أربأ بنفسي عن ذكره لفحشه؛ فكيف يخاف أحدٌ سيفَك، ولم تقتلْ فاضحَك! وكيف ألومك على بغض عليٍّ، وقد قتلَ خالك الوليد مبارزةً يوم بدْر، وشَرَك حمزة في قتل جدّك عتبة، وأوْحَدَك من أخيك حنظلة في مقام واحد!

وأما أنت يا مغيرة؛ فلم تكن بخليق أن تقع في هذا وشِبْهِه، وإنما مَثَلك مثَلُ البعوضة إذ قالت للنخلة: استمسكي؛ فإني طائرة عنك.

فقالت النخلة: وهل علمتُ بكِ واقعة عليّ فأعلم بكِ طائرةً عني!

والله ما نشعرُ بعداوتك إيّانا، ولا اغتممْنا إذ علمنا بها، ولا يشقّ علينا كلامُك، وإنّ حدَّ الله في الزّنا لثابت عليك، ولقد درأ عمرُ عنك حقاً؛ اللهُ سائله عنه!

ولقد سألتَ رسول الله ﷺ: هل ينظر الرجل إلى المرأة يريد أن يتزوجها؟ فقال: «لا بأس بذلك يا مغيرة ما لم ينو الزنا»، لعلمه بأنكَ زان.

وأما فخركم علينا بالإمارة: فإن الله تعالى يقول: ﴿وَ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾[2].

---

(١) التبان: سراويل صغيرة (معرب: تمبان بالفارسية) يكون للملاحين.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١٦.

ثم قام الحسن فنفضَ ثوبه، وانصرف؛ فتعلّق عمرو بن العاص بثوبه، وقال: يا أميرالمؤمنين، قد شهدتَ قوله فيَّ وقذفَه أمّي بالزنا، وأنا مطالب له بحدِّ القذف.

فقال معاوية: خلِّ عنه لا جزاك الله خيراً. فتركه.

فقال معاوية: قد أنبأتكم أنه ممّن لا تطاق عارضتُه، ونهيتكم أن تسبّوه فعصيتموني، والله ما قام حتى أظلم عليَّ البيت، قوموا عنّي، فلقد فضحكم الله وأخزاكم بترككُم الحزمِ، وعُدولِكم عن رأي النّاصح المشفِق؛ والله المستعان(١).

ظلم معاوية وتتبعه شيعة علي عليه السلام

كتب معاوية إلى جميع عمّاله: أن لا تجيزوا لأحد من شيعة عليّ شهادة وانظروا شيعة عثمان ومحبّيه والذين يروون فضله فأدنوا مجالسهم وقرّبوهم واكتبوا إليّ بذلك، ففعلوا حتّى كثرت الرواية في عثمان وافتعلوها للصلات والخلع والقطائع فكثر في كلّ مصر، ثمّ كتب إلى عمّاله إنّ الحديث في عثمان قد كثر فادعوا الناس إلى الرواية في معاوية وفضله فإنّ ذلك أحبّ إلينا وأدحض لحجّة أهل هذا البيت فقرأ كلّ أمير وقاض كتابه على الناس، فأخذوا في الروايات في فضائل معاوية في كلّ كورة وكلّ مسجد وألقوا ذلك إلى معلّمي الكتاتيب فعلّموا ذلك صبيانهم كما يعلّمونهم القرآن حتّى علّموه بناتهم ونساءهم وحشمهم فلبثوا بذلك ما شاء الله.

وكتب زياد ابن أبيه في حقّ الحضرميّين: أنّهم على دين عليّ، فكتب إليه: أقتل كلّ من كان على دين عليّ ورأيه فاقتلهم ومثّل بهم، وكتب معاوية إلى جميع البلدان: أنظروا من اتهمتوه بأنّه شيعة عليّ فاقتلوه على التّهمة والشبهة تحت كلّ حجر وكان الرجل يرمى بالزندقة والكفر ولا يتعرّض له بمكروه والرجل من الشيعة لا يأمن على نفسه في بلد من البلدان سيما الكوفة والبصرة، حتّى أنّ الرجل يخاف خادمه ومملوكه فلا يحدّثه إلّا بعد أن يأخذ عليه الأيمان المغلّظة، ثمّ لا يزداد الأمر إلّا شدّة حتّى كثرت أحاديثهم الكاذبة حتّى نشأ عليه الصبيان وكان أشدّ الناس في ذلك القرّاء المتصنّعون فانتحلوا الأحاديث وولدوها طمعاً في الأموال والقطائع، فصارت أحاديثهم في أيديهم حقّاً وصدقاً فأحبّوا عليها وأبغضوا من شكّ فيها فاجتمعت على ذلك جماعتهم وصارت في بد المتديّنين منهم الذين لا يستحلّون الإفتعال لمثلها فقبلوها وهم يرون أنّها حقّ، ولو علموا بطلانها لأعرضوا عن روايتها فصار الصدق كذباً والكذب صدقاً .

فلمّا مات الحسن عليه السلام ازداد البلاء والفتنة، فلم يبق لله وليّ إلّا خائف أو مقتول أو طريد.

فلمّا كان قبل موت معاوية بسنتين حجّ الحسين عليه السلام وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن عبّاس وقد

---

(١) جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام: ٢/٢٢٦.

جمع الحسين ﷺ بني هاشم رجالهم ونساءهم ومواليهم وشيعتهم من حجّ ومن لم يحجّ، ثمّ لم يدع أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين إلّا جمعهم فاجتمع بمنى أكثر من ألف رجل فقام خطيباً وقال بعد الحمد والثناء: إنّ هذا الطاغية قد صنع بنا وبشيعتنا ما قد علمتم وإنّي أريد أن أسألكم عن أشياء فإن صدقت فصدّقوني، إسمعوا مقالتي واكتموا قولي ثمّ ارجعوا إلى أمصاركم وقبائلكم من أمنتم ووثقتم به فادعوهم إلى ما تعلمون فإنّي أخاف أن يندرس هذا الحقّ، فما ترك الحسين ﷺ شيئاً أنزل الله فيهم من القرآن إلّا قاله وفسّره ولا شيئاً قاله الرسول في أهل بيته إلّا رواه وكلّ ذلك يقول الصحابة: اللّهمّ نعم قد سمعناه وشهدناه، ويقول التابعون قد حدّثناه من نصدّقه، ثمّ قال: أنشدكم بالله إلّا رجعتم وحدّثتم به من تثقون به فنزل وتفرّق الناس.

وفي كتاب الأمالي عن ابن ثعلبة قال: لمّا استوثق الأمر لمعاوية أنفذ بسر بن ارطأة إلى الحجاز في طلب شيعة أمير المؤمنين ﷺ وكان على مكّة عبيدالله بن العبّاس فلم يقدر عليه، فأخبر أنّ له ولدين صبيّين فأخرجهما ولهما ذؤابتان فأمر بذبحهما فذبحا، فاجتمع من بعد عبيدالله وبسر بن ارطأة عند معاوية فقال معاوية لعبيد الله: أتعرف هذا الشيخ قاتل الصبيّين؟

قال بسر: نعم أنا قاتلهما فمه قال عبيد الله: لو أنّ لي سيفاً: قال بسر: فهاك سيفي وأومى إلى سيفه فزبره معاوية وقال: أف لك من شيخ ما أحمقك تعمد إلى رجل قتلت إبنيه فتعطيه سيفك كأنّك لا تعرف أكباد بني هاشم، والله لو دفعته إليه قتلك وثنّى بي، فقال عبيدالله: بل والله كنت أبدأ بك وأثنّي به.

وفي كتاب الاحتجاج عن صالح بن كيسان قال: لمّا قتل معاوية حجر بن عدي وأصحابه حجّ ذلك العام فلقي الحسين ﷺ فقال: يا أبا عبد الله هل بلغك ما صنعنا بحجر وأصحابه وشيعة أبيك؛ قتلناهم وكفّناهم وصلّينا عليهم.

فضحك الحسين ﷺ وقال: خصمك القوم يامعاوية، لكنّنا لو قتلنا شيعتك ما كفّناهم ولا صلّينا عليهم ولا أقبرناهم، الحديث[١].

❀ ❀ ❀

سؤالات معاوية للحسن ﷺ

روي: أنّ عليّاً ﷺ كان في الرحبة فقام إليه رجل فقال: أنا من رعيّتك وأهل بلادك قال: لست من رعيّتي ولا أهل بلادي، وأنّ ابن الأصفر (يعني ملك الروم) بعث إلى معاوية مسائل لم يعرفها وأرسلك إليّ لأجلها.

(١) الاحتجاج: ١٩/٢، والبحار: ١٢٩/٤٤.

قال: صدقت يا أمير المؤمنين أرسلني إليك خفية.

قال: اسأل ابني الحسن، فقال له الحسن عليه السلام: جئت تسأل كم بين الحقّ والباطل وكم بين السماء والأرض وكم بين المشرق والمغرب وما قوس قزح وما المخنّث وما عشرة أشياء بعضها أشدّ من بعض؟

قال: نعم.

قال الحسن عليه السلام: بين الحقّ والباطل أربع أصابع ما رأيته بعينك فهو حقّ وقد تسمع بإذنك باطل، وبين السماء والأرض دعوة المظلوم ومدّ البصر، وبين المشرق والمغرب مسيرة يوم الشمس، وقزح إسم الشيطان وهو قوس الله وعلامة الخصب وأمان لأهل الأرض من الغرق، وأمّا المخنّث فهو الذي لا يدرى أذكرٌ أم أُنثى فإنه ينتظر به فإن كان ذكراً احتلم وإن كان أُنثى حاضت وبدا ثديها وإلّا قيل له: بُلْ، فإن أصاب بوله الحائط فهو ذكر وإن انتكص بوله على رجليه كالبعير فهو أُنثى، وأمّا عشرة أشياء بعضها أشدّ من بعض فأشدّ شيء خلقه الله الحجر، وأشدّ منه الحديد يقطع به الحجر، وأشدّ من الحديد النار تُذيب الحديد، وأشدّ منها الماء وأشدّ من الماء السحاب، وأشدّ من السحاب الريح تحمل السحاب، وأشدّ من الريح الملك الذي يردها، وأشدّ من الملك ملك الموت الذي يميت الملك، وأشدّ من ملك الموت الموت الذي يميت ملك الموت، وأشدّ من الموت أمر الله الذي يدفع الموت[١].

❁ ❁ ❁

كتابه إلى معاوية بعد وفاة أمير المؤمنين

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله الحسن أمير المؤمنين إلى معاوية بن صخر.

أمّا بعد، فإنّ الله تعالى بعث محمداً صلى الله عليه وآله رحمة للعالمين، فأظهر به الحق وقمع به الباطل، وأذلّ أهل الشرك وأعزّ به العرب عامّة، وشرّف به من شاء منهم خاصة، فقال تعالى: ﴿وإنّه لذكر لك ولقومك﴾[٢] فلما قبضه الله تعالى تنازعت العرب الأمر من بعده، فقالت الأنصار: منّا أمير ومنكم أمير، فقالت قريش: نحن أولياؤه وعشيرته فلا تنازعوا سلطانه، فعرفت العرب ذلك لقريش، ونحن الآن أولياؤه وذو القربى منه ولا غرو أنّ منازعتك إيّانا بغير حق في الدين معروف، ولا أثر في الإسلام محمود، والموعد الله تعالى بيننا وبينك، ونحن نسأله تبارك وتعالى أن لا يؤتينا في هذه الدنيا شيئاً ينتقصنا به في الآخرة.

---

(١) البحار: ٤٣/ ٣٢٥ ح ٥.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٤٤.

وبعد، فإنّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ لمّا نزل به الموت، ولّاني هذا الأمر من بعده، فاتق الله يا معاوية وانظر لأمة محمد ﷺ ما تحقن به دماءهم، وتصلح به أمورهم والسلام[١].

❋ ❋ ❋

خطب السبط الأكبر الإمام الحسن بن علي عليه السلام

عن المفيد، عن محمّد بن محمّد بن طاهر، عن ابن عقده، عن أحمد بن يوسف، عن الحسن بن محمّد، عن أبيه، عن عاصم بن عمر، عن محمّد بن مسلم قال: سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول: كتب إلى الحسن بن علي ﷺ قوم من أصحابه يعزّونه عن ابنة له فكتب إليهم: أمّا بعد فقد بلغني كتابكم تعزّوني بفلانة فعند الله أحتسبها تسليماً لقضائه وصبراً على بلائه، فإن أوجعتنا المصائب وفجعتنا النوائب بالأحبة المألوفة التي كانت بنا حفية، والإخوان المحبين الذين كان يسر بهم الناظرون وتقر بهم العيون أضحوا قد اخترمتهم الأيّام ونزل بهم الحمام فخلقوا الخلوف وأودت بهم الحتوف فهم صرعى في عساكر الموتى، متجاورون في غير محلّة التجاور ولا صلات بينهم ولا تزاور ولا يتلاقون عن قرب جوارهم، أجسامهم نائية من أهلها خالية من أربابها قد أخشعها إخوانها فلم أر مثل دارها داراً ولا مثل قرارها قراراً، في بيوت موحشة وحلول مضجعة قد صارت في تلك الديار الموحشة وخرجت عن الدار المؤنسة ففارقتها من غير قلي فاستودعتها للبلى وكانت أمة مملوكة سلكت سبيلا مسلوكة صار إليها الأوّلون وسيصير إليها الآخرون والسلام[٢].

وعن الحرمازي، قال: خطب الحسن بن علي ﷺ بالكوفة فقال: إعلموا يا أهل الكوفة أنّ الحلم زينة، والوفاء مروءة والعجلة سفه، والسفه ضُعف، ومجالسة أهل الدناءة شين، ومخالطة أهل الفسوق ريبة.

وعن صدقة بن المثنى، عن جده رياح بن الحارث قال: كنت عند منبر الحسن بن علي ﷺ وهو يخطبُ الناس بالمدائن فقال: ألّا إن أمر الله واقع إذ لا له دافع وإن كره الناس، إني ما أحببت أن ألي من أمّة مُحمّد مثقال حبة من خردل يهراق فيه محجمة[٣] من دم، قد علمت ما ينفعني ممّا يضرني فالحقوا بطيّتكم[٤] [٥].

وعن الزهري قال: فكان عمرو بن العاص حين اجتمعا بالكوفة كلّم معاوية أن يأمر الحسن بن

(١) الفتوح لابن أعثم ٤/ ٢٨٦، مقاتل الطالبيين: ٥٥، مناقب ابن شهر آشوب ٤/ ٣٦.

(٢) أمالي الطوسي: المجلس السابع ح ٤٧ الرقم ٣٤٥/ ٢٠٢.

(٣) في المطبوعة: معجم من دم.

(٤) بطيتكم: طية الشي ـ بالكسر ـ جهته ونواحيه.

(٥) تاريخ مدينة دمشق: ١٣/ ٢٦٣.

علي عليه السلام فيخطب فكره ذلك معاوية وقال: ما أريد أن يخطب الناس، قال عمرو: نريد أن يبدو عيّه في الناس فإنه يتكلم في أمور لا يدري ماهي حينئذ، فقال له: قُم فكلّم الناس، فلم يزل عمرو بمعاوية حتى أطاعه، فخرج معاوية فخطب الناس، ثم أمر رجلاً فنادى الحسن بن علي عليه السلام فقال: قُم يا حسن فكلّم الناس، فقام الحسن فتشهد في بديهة أمر لم يروّ فيه ثم قال: أما بعد أيها الناس فإنّ الله عزّ وجلّ هداكم بأوّلنا وحقن دماءكم بآخرنا، وإنّ لهذا الأمر مدّة وإنّ الدنيا دول وإنّ الله قال لنبيه ﷺ: **﴿وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون، إنّه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون، وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين﴾**[1] فلما قالها أجلسه معاوية، ثم خطب معاوية ثم الناس، فلم يزل صرماً على عمرو بن العاص، وقال[2]: هذا من فعل رأيك[3].

وعن ابن شهاب، قال: كان عمرو بن العاص حين اجتمعوا بالكوفة كلّم معاوية وأمره أن يأمر الحسن بن علي عليه السلام أن يقوم ليخطب الناس فكره ذلك معاوية وقال: ما أريد أن يخطب

فقال عمرو: لكني أريد أن يبدو عيّه في الناس فإنه يتكلم في أمور لا يدري ما هي، فلم يزل بمعاوية حتى أطاعه، فخرج معاوية فخطب الناس وأمر رجلاً فنادى الحسن بن علي عليه السلام فقال: قُم ياحسن فكلّم الناس[4]، فقام الحسن فتشهد في بديهة أمر لم يروّه[5] فقال: أمّا بعد أيها الناس فإنّ الله هداكم بأوّلنا وحقن دماءكم بآخرنا، إنّ لهذا الأمر مدّة والدنيا دول وإنّ الله تعالى قال لنبيه ﷺ: **﴿وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين﴾**[6] فلما قالها، قال له معاوية: إجلس ثم إجلس، ثم خطب معاوية ولم يزل صبراً على عمرو، وقال: هذا عن رأيك[7].

وعن الشعبي، أنّ الحسن بن علي عليه السلام خطب فحمد الله وأثنى عليه وتشهد ثم قال:

إنّ أكيس الكيس التقي وإنّ أحمق الحمق الفجور وإنّ هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية إما أن يكون [حق] امرىء كان أحقّ به مني، أو كان حقاً لي تركته التماساً لصلاح أمر هذه الأمة **﴿وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين﴾**[8].

وفي رواية أنّه قيل لمعاوية: لو أمرت الحسن أن يخطب، فإنّه حديث السنّ لم يتعوّد الخطب،

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٩ ـ ١١٠.

(٢) في أسد الغابة ١/ ٤٩٢ وقال: ما أردت إلّا هذا.

(٣) تاريخ مدينة دمشق: ١٣/ ١٧٧.

(٤) في أسد الغابة ١/ ٤٩٢ فكلم الناس فيما جرى بيننا.

(٥) في أسد الغابة: لم يُروّ فيه. (٦) سورة الأنبياء، الآية: ١١١.

(٧) ذكر في العقد الفريد تفصيل هذه المحاورات: ٢/ ٣٢٣ كتاب الأجوبة.

(٨) سورة الأنبياء، الآية: ١١١.

فيجتمع الناس إليه فيحصر فيكون في ذلك ما يصغّره في أعين الناس.

فقال كما قال لهم أوّل مرّة، فقالوا: إنّه قد شمخ أنفاً ورفع رأساً واشرأبت إليه قلوب الناس بالثقة والمقة فمره بذلك حتّى ترى فأرسل إليه معاوية فأمره أن يخطب؛ فلمّا صعد المنبر وقد جمع معاوية كهول قريش وشبّانها، حمد الله تعالى وأثنى عليه وصلّى على النبيّ ﷺ ثمّ قال: أيّها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي بن أبي طالب، أنا ابن رسول الله ﷺ ما بين جابلقا وجابرصا، ما أحد جدّه نبيّ غيري وغير أخي، أنا ابن نبي الله، أنا ابن رسول الله، أنا ابن البشير النذير، أنا ابن السراج المنير، أنا ابن بريد السماء، أنا ابن من بُعث رحمةً للعالمين، أنا ابن مَنْ بُعث للجنّ والإنس، أنا ابن مَنْ قابلت معه الملائكة، أنا ابن من جعلت له الأرض مسجداً وطهوراً، أنا ابن من أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، فلمّا سمع معاوية ذلك أراد أن يسكته ويخلط عليه مخافة أن يبلغ به المنطق ما يكرهه، فقال له: يا حسن إنعت لنا الرطب فقال: يا سبحان الله أين هذا من هذا ثمّ قال: الحرّ يُنضّجه، والليل يبرّده والريح تلقّحه.

ثمّ استفتح كلامه الأوّل وقال: ـ أنا ابن مَنْ كان مستجاب الدعوة، أنا ابن الشفيع المطاع أنا ابن أوّل من تنشقّ عنه الأرض وينفض رأسه من التراب، أنا ابن أوّل من يقرع باب الجنّة، أنا ابن من رضاه رضى الرحمان وسخطه سخط الرحمان، أنا ابن من لا يسامى كرماً، فقال له قومه: حسبك يا أبا محمد ما أعرفنا بفضل رسول الله ﷺ فقال الحسن: يا معاوية إنّما الخليفة مَنْ سار بسيرة رسول الله ﷺ وعمل بطاعته، وليس الخليفة مَنْ دان بالجور وعطّل السُنن، واتّخذ الدنيا أمّاً وأباً لكن ذاك ملك تمتّع في ملكه وكان قد انقطع وانقطعت لذّته وبقيت بيعته، ثمّ قال: وإن أدري لعلّه فتنة لكم ومتاع إلى حين ثمّ نزل عن المنبر عليه السلام[١].

وعن صدقة بن المثنى، حدّثني جدّي: أنّ الناس اجتمعوا إلى الحسن بن علي عليه السلام بالمدائن بعد قتل علي فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أما بعد إنّ كلّ ما هو آت قريب، وإنّ أمر الله واقع إذلاله وإن كره الناس ـ يعني ـ دافع وإني والله ما أحببت، قال مُحمّد بن عبيد: هذه الكلمة: أن ألي من أمر أمة مُحمّد ﷺ ما يزن مثقال حبة خردل تهراق فيها محجمة من دم، فقد عقلت ما ينفعني مما يضرّني فالحقوا بطيّتكم.

وعن هلال بن يساف، قال: سمعت الحسن بن علي عليه السلام وهو يخطب الناس بالكوفة فحمد الله وأثنى عليه وصلى على مُحمّد ثم قال: يا أهل الكوفة اتّقوا الله فينا فإنّا أمراؤكم ونحن ضيفانكم

---

(١) أخرجه البيهقي والمحبّ الطبري، كما في الغدير في مسند المناقب ومرسلها بتغيير يسير، غير أن في أوّله: أنّ عمرو بن العاص هو الذي قال لمعاوية ذات يوم: ابعث إلى الحسن بن علي فمره أن يخطب على المنبر، فلعلّه يحصر فيكون ذلك ممّا نعته به. الحديث.

ونحن أهل البيت الذين قال الله عزّ وجلّ عنهم: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرِّجس أهل البيت ويُطهّركم تطهيراً﴾(١).

قال هلال: فما سمعت يوماً قطّ كان أكثر باكياً ومسترجعاً من يومئذ(٢).

وعن ميسرة بن أبي جميلة، عن الحسن بن علي ﷺ أنه بينما هُو ساجدٌ إذ وجأه إنسان في وركه فمرض منها شهرين، فلما برىء خطب الناس بعدما قتل علي فقال: أيّها الناس إنما نحن أمراؤكم وضيفانكم ونحن أهل البيت الذي قال الله عزّ وجلّ: «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً».

فكرّرها حتى ما بقي أحد في المسجد إلّا وهو يجد بكاء(٣).

وعن أبي بكر بن دُريد، قال: قام الحسن بعد موت أبيه أمير المؤمنين فقال بعد حمد الله جلّ وعزّ: إنا والله ما ثنانا عن أهل الشام شك ولا ندم، وإنما كنا نقاتل أهل الشام بالسلامة والصبر، فشيبت السلامة بالعداوة والصبر بالجزع، وكنتم في مبتدئكم(٤) إلى صفّين، ودينكم أمام دنياكم، فأصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم، ألا وإنا لكم كما كنا ولستم لنا كما كنتم، ألا وقد أصبحتم بعد قتيلين: قتيل بصفّين تبكون له، وقتيل بالنهروان تطلبُون بثأره، فأمّا الباقي فخاذل، وأما الباكي فثائر، ألا وإنّ مُعاوية دعانا إلى أمر ليس فيه عزّ ولا نصفة، فإن أردتم الموت رددناه عليه وحاكمناه إلى الله جل وعز بظُبا(٥) السيُوف، وإن أردتم الحياة قبلناه وأخذنا لكم الرّضا.

فناداه القوم من كل جانب: البقية البقية(٦). فلما أفردوه، أمضى الصلح(٧).

وقال ﷺ: أيّها الناس إنّ أكيس الكيس التّقى، وإنّ الحمق الفجور، وإنّكم لو طلبتم ما بين جابلق وجابرس رجلا جده رسول الله ﷺ ما وجدتموه غيري وغير أخي الحسين، وقد علمتم إنّ الله تعالى هداكم بجدي محمد فأنقذكم به من الضلالة، ورفعكم به من الجهالة، وأعزّكم به بعد الذلة، وكثّركم به بعد القلة، وإنّ معاوية نازعني حقاً هو لي دونه، فنظرت لصلاح الأمة، وقطع الفتنة، وقد كنتم بايعتموني على أن تسالموا من سالمت، وتحاربوا من حاربت، فرأيت أن أسالم معاوية وأضع الحرب بيني وبينه، وقد بايعته ورأيت أن حقن الدماء خير من سفكها، ولم أرد بذلك

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.
(٢) سير أعلام النبلاء: ٣/ ٢٧٠ والمستدرك: ٣/ ١٧٢ والمعجم الأوسط: ٣/ ٨٨ ح٢١٧٦.
(٣) المعجم الكبير: ٣/ ٩٦ ومجمع الزوائد: ٩/ ١٧٢، بتفاوت.
(٤) في أسد الغابة والسير: منتدبكم.
(٥) ظبا السيف جمع ظبة وهو حدّه.
(٦) في سير الأعلام: التقية.
(٧) خطبته في أسد الغابة ١/ ٤٩١ وسير أعلام النبلاء ٣/ ٢٦٩، وكتاب المجتنى: ٤٥ ط. الهند).

إلّا صلاحكم وبقاءكم، وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين[١].

وعنه ﷺ إنّه قال: لا أدب لمن لا عقل له، ولا مروّة لمن لاهمّة له، ولا حياء لمن لا دين له، ورأس العقل معاشرة الناس بالجميل وبالعقل تدرك الداران جميعاً ومن حرم العقل خسرهما جميعاً[٢].

وقال ﷺ: علّم الناس علمك، وتعلّم علم غيرك، فتكون قد أنفقت علمك (وعلمت ما لم تعلم).

وسُئل عن الصمت، فقال: هو ستر العيّ، وزين العرض، وفاعله في راحة وجليسه آمن[٣].

وقال ﷺ:

هلاك الناس في ثلاث: الكبر، والحرص، والحسد؛ فالكبر هلاك الدين ومنه لعن إبليس، والحرص عدو النفس ومنه أخرج آدم من الجنة، والحسد رائد الجوع ومنه قتل قابيل هابيل[٤].

وقال ﷺ: لا تأت رجلا إلّا أن ترجو نواله، أو تخاف يده، أو تستفيد من علمه، أو ترجو بركته ودعاءه، أو تصل رحماً بينك وبينه[٥].

وقال ﷺ: دخلت على أمير المؤمنين وهو يجود بنفسه لمّا ضربه ابن ملجم فجزعت لذلك، فقال لي أتجزع!

فقلت: وكيف لا أجزع وأنا أراك في حالك هذه.

فقال: ألا أعلّمك خصالا أربعاً إن أنت حفظتهن نلت بهن النجاة، وإن أنت ضيعتهن فاتك الداران؛ يابني لا غنى أكبر من العقل، ولا فقر مثل الجهل، ولا وحشة أشدّ من العجب، ولا عيش ألذ من حسن الخلق[٦].

فهذه سُمعت من الحسن يرويها عن أبيه تصلح أن تورد في مناقب أمير المؤمنين ﷺ وتصلح أن

---

(١) الفتوح لابن أعثم ٤: ٢٩٥، أنساب الأشراف ٣/ ٤٣/ ٥٠، حلية الأولياء ٢/ ٣٧، الاستيعاب ١/ ٣٧٤، ترجمة الإمام الحسن ﷺ من تاريخ دمشق ١/ ١٨٧/ ٣١٢، وكذا: ١٨٩/ ٣١٦، مناقب ابن شهر آشوب ٤/ ٣٩.

(٢) في بعض المصادر: ومن حزم العقل خيرهما.

(٣) الفصول المهمة: ١٥٩.

(٤) الفصول المهمة: ١٥٩.

(٥) الفصول المهمة: ١٥٩.

(٦) ربيع الأبرار ٣/ ٤١٢، البداية والنهاية ٨/ ٤٠، حلية الأولياء ٢/ ٣٦، تهذيب الكمال ٦/ ٢٣٩، الفصول المهمة: ١٦٠.

تورد في مناقب الحسن عليه السلام فاوردهما في باب أيهما شئت.

وقال عليه السلام: ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من حاسد.

وقال: إجعل ما طلبت من الدنيا فلم تظفر به بمنزلة ما لم يخطر ببالك، واعلم أنّ مروءة القناعة والرضا أكبر من مروءة الإعطاء، وتمام الصنيعة خير من إبتدائها.

وسُئل عن الذل واللؤم فقال: من لا يغضب من الجفوة، ولا يشكر على النعمة.

وسُئل عن العقوق فقال: أن تحرّمها[1].

ونقل أنّ إعرابياً دخل المسجد الحرام فوقف على الحسن عليه السلام وحوله حلقة فقال لبعض جلساء الحسن: من هذا الرجل؟ فقال له: الحسن بن علي بن أبي طالب.

فقال: الأعرابي: إياه أردت.

فقال له: وما تصنع به يا أعرابي؟ فقال: بلغني إنهم يتكلمون فيعربون في كلامهم، وإني قطعت بوادياً وقفاراً وأودية وجبالا وجئت لأطارحه الكلام، وأسأله عن عويص العربية.

فقال له جليس الحسن: إن كنت جئت لهذا فابدأ بذلك الشاب. وأومى إلى الحسين عليه السلام فوقف عليه وسلّم فرد عليه السلام ثمّ قال: (وما حاجتك يا إعرابي؟).

فقال: إني جئتك من الهرقل والجعال والأينم والهمم.

فتبسم الحسين عليه السلام وقال: (يا إعرابي لقد تكلمت بكلام ما يعقله إلّا العالمون).

فقال الأعرابي: وأقول أكثر من هذا، فهل أنت تجيبني على قدر كلامي؟

فقال له الحسين عليه السلام: (قل ما شئت فاني مجيبك عنه).

فقال الأعرابي: إني بدوي وأكثر مقالي الشعر، وهو ديوان العرب.

فقال له الحسين عليه السلام: (قل ما شئت فاني مجيبك عليه).

فأنشأ يقول:

هفا قلبي إلى اللهو وقد ودّع شرخيه ... وقد كان أنيقاً (عفريه) تجراري ذيليه
علالات ولذات فيا سقياً لعصريه ... فلما عمّم الشيب من الرأس نطاقيه
وأمسى قد عناني منه تجديد خضابيه ... تسليت عن اللهو وألقيت قناعيه
وفي الدهر أعاجيب لمن يلبس حاليه ... فلو يعمل ذو رأي أصيل فيه رأييه
لألفى عبرة منه له في كل عصريه

---

(١) وردت كلها في كشف الغمة ١/ ٥٧٢.

فقال له الحسين ﷺ: (يا إعرابي قد قلت فاسمع مني) ثم إنه ﷺ قال أبياتاً سيأتي ذكرها في الباب المختص به المعقود لمناقبه إن شاء الله.

فقال الأعرابي لمّا سمعها: ما رأيت كاليوم قط مثل هذا الغلام أعرب منه كلاماً، وأذرب لساناً، وأفصح منه منطقاً، فقال له الحسن: يا أعرابي:

هذا غلام كرّم الرحمن بالتطهير جدّيه ... كساه القمر القمقام من نور سنائيه

ولو عدّد طمّاح نفحنا عن عداديه ... وقد أرضيت من شعري وقوّمت عروضيه

فلمّا سمع الأعرابي قول الحسن قال: بارك الله عليكما مثلكما نجلته الرجال، وعن مثلكما قامت النساء، فوالله لقد انصرفت وأنا محب لكما راض عنكما فجزاكما الله خيراً وانصرف(١).

وفي الأمالي بإسناده إلى حبيب بن عمر قال: لمّا توفّي أمير المؤمنين ﷺ وكان الغد قام الحسن ﷺ خطيباً فقال بعد حمد الله والثناء عليه: أيّها الناس في هذه الليلة نزل القرآن وفي هذه الليلة رفع عيسى ابن مريم وفي هذه الليلة قتل يوشع بن نون وفي هذه الليلة مات أمير المؤمنين ﷺ، والله لا يسبق أبي أحد كان قبله من الأوصياء إلى الجنّة وان كان رسول الله ﷺ ليبعثه في السرية فيقاتل جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره وما ترك صفراء ولا بيضاء إلّا سبعمائة درهم فضلت من عطائه كان يجمعها ليشتري بها خادماً لأهله . وبويع ﷺ بعد أبيه يوم الجمعة الحادي والعشرين من شهر رمضان في سنة أربعين وكان عمره لمّا بويع سبعاً وثلاثين سنة.

ولقد قيل لمعاوية ذات يوم: لو أمرت الحسن يخطب ليظهر للناس نقصه، فقال له: عِظنا، فصعد المنبر وحمد الله وقال: أيّها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي وابن سيّدة النساء، أنا ابن خير خلق الله، أنا ابن رسول الله، أنا صاحب الفضائل، أنا ابن صاحب المعجزات والدلائل، أناابن أمير المؤمنين، أنا المدفوع عن حقّي، أنا وأخي سيّدا شباب أهل الجنّة، أنا ابن الركن والمقام، أنا ابن مكّة ومنى، أنا ابن المشعر وعرفات.

فقال له معاوية: خُذ في نعت الرطب ودع هذا، فقال: الريح تنفخه والحرّ ينضجه والبرد يطيبه ثمّ عاد في كلامه فقال: أنا إمام خلق الله وابن محمّد رسول الله فخشي معاوية أن يتكلّم بعد ذلك بما يفتتن به الناس، فقال: يا أبا محمّد إنزل فقد كفى ما جرى فنزل.

وروى أبو الحسن المدائنيّ: قال: سأل معاوية الحسن بن عليّ بعد الصلح أن يخطب الناس، فامتنع، فناشَدَه أن يفعل، فوضع له كرسيّ، فجلس عليه، ثم قال: الحمد لله الذي توحّد في مُلْكه، وتفرّد في ربوبيته، يؤتي الملك مَنْ يشاء، وينزعه عمّن يشاء. والحمد لله الذي أكرم بنا مؤمنكم،

---

(١) الصراط المستقيم ٢/ ١٧٢.

وأخرج من الشرك أوّلكم، وحقن دماء آخركم، فبلاؤنا عندكم قديماً وحديثاً أحسن البلاء، إن شكرتم أو كفرتم.

أيّها الناس، إنّ ربّ عليّ كان أعلم بعليّ حين قبضه إليه، ولقد اختصّه بفضل لم تعتادوا مثله، ولم تجدوا مثل سابقته، فهيهات هيهات! طالما قلبتم له الأمور حتى أعلاه الله عليكم وهو صاحبكم، وعدوكم في بدر وأخواتها، جرّعكم رَنقاً، وسقاكم عَلقاً، وأذلّ رقابكم، وأشرقكم بريقكم، فلستم بملومين على بغضه. وأيم الله لا ترى أمة محمد خفضا ما كانت سادتهم وقادتهم في بني أمية، ولقد وجّه الله إليكم فتنة لن تصدروا عنها حتى تهلكوا لطاعتكم طواغيتكم، وانضوائكم إلى شياطينكم، فعند الله أحتسب ما مضى وما ينتظر من سوء دَعَتكم، وحيف حكمكم.

ثم قال: يا أهلَ الكوفة لقد فارقكم بالأمس سهمٌ من مرامي الله، صائب على أعداء الله، نكّال على فجّار قريش، لم يزل آخذا بحناجرها، جاثما على أنفاسها؛ ليس بالملومة في أمر الله، ولا بالسُّرُوقة لمال الله، ولا بالفَرُوقة في حرب أعداء الله، أعطى الكتاب خواتمه وعزائمه، دعاه فأجابه، وقاده فاتّبعه، لا تأخذه في الله لومة لائم، فصلوات الله عليه ورحمته. ثم نزل.

فقال معاوية: أخطأ عَجِلٌ أو كاد؛ وأصاب مثبت أو كاد، ماذا أردت من خطبة الحسن!

وروي أنَّ الحسن بن عليّ صلوات الله عليهما خطب الناس فقال: أيها الناس أنا أُخبركم عن أخ لي كان من أعظم الناس في عيني، وكان رأس ما عظم به في عيني صغر الدنيا في عينه، كان خارجاً من سلطان بطنه، فلا يشتهي ما لا يجد، ولا يكثر إذا وجد. كان خارجاً من سلطان فرجه فلا يستخفّ له عقله ولا رأيه، كان خارجاً من سلطان الجهالة فلا يمدّ يده إلّا على ثقة لمنفعة، كان لا يتشهّى ولا يتسخّط ولا يتبرّم، كان أكثر دهره صمّاتاً فإذا قال بزّ القائلين، كان لا يدخل في مراء ولا يشارك في دعوى ولا يدلي بحجّة حتّى يرى قاضياً، وكان لا يغفل عن إخوانه ولا يخصّ نفسه بشي دونهم، كان ضعيفاً مستضعفاً فإذا جاء الجدّ كان ليثاً عادياً، كان لا يلوم أحداً فيما يقع العذر في مثله حتى يرى اعتذاراً، كان يفعل ما يقول ولا يفعل ما لا يقول، كان إذا ابتزّه أمران لا يدري أيهما أفضل نظر إلى أقربهما إلى الهوى فخالفه، كان لا يشكو وجعاً إلّا عند من يرجو عنده البرء، ولا يستشير إلّا من يرجو عنده النصيحة، كان لا يتبرّم ولا يتسخّط ولا يتشكّى ولا يتشهّى ولا ينتقم ولا يغفل عن العدو، فعليكم بمثل هذه الأخلاق الكريمة إن أطقتموها، فإن لم تطيقوها كلّها فأخذ القليل خير من ترك الكثير، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله(١).

وعن الأصبغ بن نباته قال: قال علي عليه السلام للحسن عليه السلام: «يا حسن قم فاصعد المنبر فتكلم بكلام لا تجهلك قريش بعدي فيقولون: إنّ الحسن لا يحسن شيئاً، قال الحسن: يا ابة كيف أصعد

(١) الكافي: ٢/ ١٧٦ من المعرب.

وأتكلم وأنت في الناس تسمع وترى؟ قال له: بأبي وأمّي أواري نفسي عنك وأسمع وأرى ولا تراني» فصعد عليه السلام المنبر فحمد الله بمحامد بليغة شريفة وصلى على النبيّ صلى الله عليه وآله وآله صلاة موجزة ثمّ قال: «أيها الناس سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أنا مدينة العلم وعلي بابها وهل تدخل المدينة إلّا من بابها؟»

ثمّ نزل فوثب إليه علي عليه السلام فحمله وضمه إلى صدره ثمّ قال للحسين عليه السلام: «يا بني قم فاصعد وتكلم بكلام لا تجهلك قريش من بعدي فيقولون: إنّ الحسين بن علي لا يبصر شيئاً، وليكن كلامك تبعاً لكلام أخيك».

فصعد المنبر عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلاة واحدة موجزة ثمّ قال: «معاشر الناس سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّ علياً مدينة هدىً فمن دخلها نجا ومن تخلف عنها هلك».

فوثب إليه علي عليه السلام وضمه إلى صدره فقبله ثمّ قال: «معاشر الناس إشهدوا أنهما فرخا رسول الله صلى الله عليه وآله ووديعته التي استودعنيها أستودعكموها معاشر الناس، ورسول الله صلى الله عليه وآله سائلكم عنهما»[1].

خطبة الحسن بن علي في الكوفة يستنفر الناس إلى أبيه عليه السلام

الحمد لله العزيز الجبّار، الواحد القهّار، الكبير المتعال، سواء منكم من أسرَّ القول ومن جهر به ومن هو مستخف باللّيل وسارب بالنهار، أحمده على حسن البلاء وتظاهر النعماء، وعلى ما أحببنا وكرهنا من شدَّة ورخاء، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمّداً عبده ورسوله امتنّ علينا بنبوّته، واختصّه برسالته، وأنزل عليه وحيه، واصطفاه على جميع خلقه، وأرسله إلى الإنس والجنّ حين عبدت الأوثان، وأُطيع الشيطان، وجحد الرَّحمن، فصلّى الله عليه وعلى آله، وجزاه أفضل ما جزى المسلمين!

أمّا بعد؛ فإنّي لا أقول لكم إلّا ما تعرفون أنَّ أمير المؤمنين عليَّ بن أبي طالب أرشد الله أمره، وأعزَّ نصره، بعثني إليكم يدعوكم إلى الصواب، وإلى العمل بالكتاب، والجهاد في سبيل الله، وإن كان في عاجل ذلك ما تكرهون، فإنَّ في آجله ما تحبّون إن شاء الله، ولقد علمتم أنّ علياً صلّى مع رسول الله وحده وأنّه يوم صدق به لفي عاشرة من سنّه، ثم شهد مع رسول الله جميع مشاهده وكان من اجتهاده في مرضاة الله وطاعة رسوله وآثاره الحسنة في الإسلام ما قد بلغكم ولم يزل رسول الله

---

(١) الاختصاص: ٢٣٨، نور البراهين: ٢/ ١٥٥.

راضياً عنه حتّى غمضه بيده، وغسله وحده والملائكة أعوانه والفضل ابن عمّه ينقل إليه الماء، ثمّ أدخله حفرته، وأوصاه بقضاء دينه وعداته وغير ذلك من أموره، كلّ ذلك مِن منّ الله عليه، ثمّ والله ما دعا إلى نفسه، ولقد تداكّ الناس عليه تداكّ الإبل الهيم العطاش ورودها، فبايعوه طائعين، ثمّ نكث منهم ناكثون بلا حدث أحدثه، ولا خلاف أتاه، حسداً له وبغياً عليه فعليكم عباد الله بتقوى الله وطاعته، والجدّ والصبر والإستعانة بالله، والخفوف إلى ما دعاكم إليه أمير المؤمنين وإيّاكم بما عصم به أولياءه وأهل طاعته، وألهمنا وإيّاكم تقواه، وأعاننا وإيّاكم على جهاد أعدائه، وأستغفر الله العظيم لي ولكم.

ثمّ مضى إلى الرحبة فهيأ منزلاً لأبيه أمير المؤمنين.

قال جابر: فقلت لتميم: كيف أطاق هذا الغلام ما قد قصصته من كلامه؟

فقال: ولما سقط عنّي من قوله أكثر ولقد حفظت بعض ما سمعت[١].

وروي عن موسى بن عبد الرّحمن بن أبي ليلى، عن أبيه أنّه لما دخل الحسن وعمّار الكوفة إجتمع إليهما الناس فقام الحسن فاستنفر الناس، فحمد الله وصلّى على رسوله ثمّ قال:

أيّها الناس إنّا جئنا ندعوكم إلى الله وإلى كتابه وسنّة رسوله وإلى أفقه من تفقّه من المسلمين، وأعدل من تعدّلون، وأفضل من تفضّلون، وأوفى من تبايعون، من لم يعيه القرآن، ولم تجهله السنّة، ولم تقعد به السابقة، إلى من قرّبه الله تعالى ورسوله قرابتين: قرابة الدّين وقرابة الرّحم، إلى من سبق الناس إلى كلّ مأثرة، إلى من كفى الله به رسوله والناس متخاذلون، فقرّب منهم وهم متباعدون، وصلى معه وهم مشركون، وقاتل معه وهم منهزمون، وبارز معه وهم محجمون وصدّقه وهم يكذّبون؛ إلى من لم تردّ له راية، ولا تكافأ له سابقة، وهو يسألكم النصر، ويدعوكم إلى الحقّ، ويأمركم بالمسير إليه لتوازروه وتنصروه على قوم نكثوا بيعته وقتلوا أهل الصلاح من أصحابه، ومثّلوا بعمّاله، وانتهبوا بيت ماله، فاشخصوا إليه، رحمكم الله، فمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر واحضروا بما يحضر به الصّالحون[٢].

❋ ❋ ❋

خطبة الحسن في الجمل

قال أمير المؤمنين لولده الحسن قبل حرب الجمل: قم يا بنيّ فاخطب، فقام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وقال:

---

(١) البحار: ٣٢/٨٩، وشرح النهج لابن أبي الحديد: ١٤/١٣.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٤/١١.

أيّها الناس قد بلغتنا مقالة ابن الزبير وقد كان والله يتجنّى على عثمان الذنوب، وقد ضيّق عليه البلاد حتى قتل، وأنّ طلحة راكز رايته على بيت ماله وهو حيّ، وأمّا قوله: إنّ عليّاً ابتزّ النّاس أمرهم فإنّ أعظم الناس حجّة لأبيه زعم أنّه بايعه بيده ولم يبايعه بقلبه، فقد أقرّ بالبيعة وادّعى الوليجة، فليأت على ما ادّعاه ببرهان وأنّى له ذلك، وأمّا تعجّبه من تورّد أهل الكوفة على أهل البصرة فما عجبه من أهل حقّ توردوا على أهل الباطل، ولعمري والله ليعلمنّ أهل البصرة وميعاد ما بيننا وبينهم، اليوم نحاكمهم إلى الله تعالى، فيقضي الله بالحقّ وهو خير الفاصلين.

فلمّا فرغ الحسن من كلامه قام رجل يقال له عمر بن محمود وأنشد شعراً يمدح الحسن.

فلمّا بلغ طلحة والزبير خطبة الحسن ومدح المادح له قام طلحة خطيباً في أصحابه وحرّض الناس على إثارة الفتنة وألّب وأجلب على أمير المؤمنين النّاس[١].

❋ ❋ ❋

شهادة الحسن عليه السلام

عن أبي بكر الحضرمي قال: إنّ جعدة بنت أشعث بن قيس الكندي سمّت الحسن بن عليّ[٢] وسمّت مولاة له، فأمّا مولاته فقاءت السمّ وأمّا الحسن فاستمسك في بطنه ثم انتفط به فمات.

وقد سمّته بإغواء معاوية ومروان بن الحكم طريد رسول الله ﷺ لعنهما الله.

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قبض الحسن بن عليّ عليه السلام وهو ابن سبع وأربعين سنة في عام خمسين، عاش بعد رسول الله ﷺ أربعين سنة[٣].

وقيل توفي الحسن بن علي عليه السلام سنة خمسين أو نحوها قاله البخاري. وقيل: سنة تسع وأربعين، وقيل، سنة ثمان وخمسين، وقال الهيثم بن عدي: سنة أربع وأربعين.

وقال الزبير بن بكّار، قال: توفي الحسن بن علي عليه السلام في سنة تسع وأربعين، وهو ابن ست وأربعين سنة[٤].

قال أبو الحسن المدائني: وكانت وفاته في سنة تسع وأربعين، وكان مرضه أربعين يوما، وكان سنّه سبعاً وأربعين سنة، دسّ إليه معاوية سمّا على يد جَعْدة بنت الأشعث بن قيْس زوجة الحسن، وقال لها: إن قتلِتيه بالسّمّ فلك مائة ألف، وأزوّجك يزيد ابني. فلما ماتَ وفَى لها بالمال، ولم

---

(١) الجمل للمفيد: ١٧٦.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٤٨، وربيع الأبرار: ٤/٢٠٨، والاستيعاب: ١/٣٧٥، والبداية والنهاية: ١٦/٤٩.

(٣) الكافي: ١/٤٦١ ح ٢.

(٤) طبقات خليفة بن خياط: ٣٠ رقم ٨ وكرر في: ٤٠٣ برقم ١٩٦٨.

يزوّجها من يزيد. قال: أخشى أن تصنع بابني كما صنعت بابن رسول الله ﷺ.[١]

قال ابن أبي الحديد: قال أبو الفرج: فحدّثني أحمد بن عبيد الله بن عمّار، عن عيسى بن مِهْران، عن عبيد بن الصبّاح الخرّاز، عن جرير، عن مغيرة، قال: أرسل معاوية إلى بنت الأشعث بن قيس ـ وهي تحت الحسن ـ فقال لها: إنّي مزوّجك يزيد ابني عَلَى أن تَسُمّي الحسن[٢]، وبعث إليها بمائة ألف درهم. ففعلت، وسمّتِ الحسن، فسوّغها المال ولم يزوّجها منه، فخلف عليها رجل من آل طلحة، فأولدها؛ فكان إذا وقع بينهم وبين بُطون قريش كلام عَيّروهم، وقالوا: يا بني مُسِمّة الأزواج[٣].

قال: حدّثني أحمد، قال: حدّثني يحيى بن بُكير، عن شعبة، عن أبي بكر بن حَفْص، قال: تُوفّيَ الحسن بن عليّ وسعد بن أبي وقاص في أيّام متقارِبة؛ وذلك بعد ما مضى من ولاية إمارة معاوية عشر سنين؛ وكانوا يروون أنه سقاهما السمّ[٤].

قال أبو الفرج: فأمّا يحيى بن الحسن صاحب كتاب «النسب»، فإنه روى أنّ عائشة ركبت ذلك اليوم بغلاً واستنفرت بنو أميّة مروان بن الحكم ومن كان هناك منهم ومن حشمهم وهو قول القائل:

* فيوماً على بغلٍ ويوماً على جَمَلٍ[٥] *

وعن عبد الله بن سنان، عمّن سمع أبا جعفر عليه السلام يقول: لمّا حضرت الحسن عليه السلام الوفاة بكى، فقيل له: يابن رسول الله تبكي ومكانك من رسول الله ﷺ الّذي أنت به؛ وقد قال فيك ما قال؛ وقد حججت عشرين حجّة ماشياً، وقد قاسمت مالك ثلاث مرّات حتّى النعل بالنعل؟ فقال: إنّما أبكي لخصلتين، لهول المطّلع وفراق الأحبّة[٦].

وعن عباد بن عبد الله بن الزبير، قال: سمعت عائشة تقول يومئذ: هذا الأمر لا يكون أبداً يدفن ببقيع الغرقد ولا يكون لهم رابعاً، والله إنه لبيتي أعطانيه رسول الله ﷺ في حياته، وما دفن فيه عمر وهو خليفة إلّا بأمري، وما آثر عليّ عندنا بحسن[٧].

وعن عائشة بنت سعد، قالت: حدّت نساءُ بني هاشم على الحسن بن علي عليه السلام سنة[٨].

ونقل الشيخ محبّ الدين بن النجار رحمه الله أنّ الحسن عليه السلام دفن بجنب أُمّه فاطمة ومعه في القبر ابن أخيه علي بن الحسين، ومحمد بن علي الباقر، وابنه جعفر الصادق[٩].

هذا هو المشهور والمعروف، وإلى جانبه أيضاً قبر العبّاس بن عبد المطّلب عمّ الرسول ﷺ،

---

(١) تاريخ مدينة دمشق: ١٣/٣٠٣.
(٢) مقاتل الطالبيين «ابن علي».
(٣) مقاتل الطالبيين ٧٣.
(٤) مقاتل الطالبيين ٧٣: «سقاهما سما».
(٥) مقاتل الطالبيين ٧٤.
(٦) الكافي: ١/٤٦١ ح ١.
(٧) سير أعلام النبلاء ٣: ٢٧٦ تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢١٤.
(٨) أسد الغابة ١/ ٤٩٣. والمستدرك ٣/ ١٧٣.
(٩) ذخائر العقبى: ١٤١.

وكانت قد بنيت عليها قبّة عالية البناء قديمة، بناها بعض خلفاء بني العبّاس قلعتها يد أعداء الدين.

وعن عمرو بن نعجة، قال: أول ذلّ دخل على العرب موت الحسن بن علي.

مساور مولى بني سعد بن بكر، قال: رأيت أبا هريرة قائماً على مسجد رسول الله ﷺ يوم مات الحسن بن علي ﷺ ويبكي وينادي بأعلى صوته: يا أيها الناس مات اليوم حبّ رسول الله ﷺ فابكوا[١].

وعن عمر بن علي بن أبي طالب، قال: لما قبض الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ ووقف على قبره أخوه مُحمّد بن علي فقال:

يرحمك الله أبا مُحمّد فإن عزّت حياتك لقد هدّت وفاتك، ولنعم الروح روح تضمّنه بدنك[٢]، ولنعم البدن بدن تضمّنه كفنك، وكيف لا يكون هكذا وأنت سليل[٣] الهدى وحليف[٤] أهل التقى، وخامس أصحاب الكساء، غذّتك أكفّ الحق، وربيّت في حجور[٥] الإسلام، ورضعت ثدي[٦] الإيمان، وطبت حياً وميتاً، إن كانت أنفسنا غير طيبة[٧] بفراقك، فلا نشكّ في الخير لك يرحمك الله، ثم انصرف عن قبره.

وقال المفيد رحمه الله: قبض مسموماً يوم الخميس سابع صفر لسنة تسع وأربعين أو سنة خمسين من الهجرة[٨].

وفي كتاب المناقب [أنّ عمره لمّا][٩] بويع سبعاً وثلاثين سنة فبقي في خلافته أربعة أشهر وثلاثة أيّام ووقع الصلح بينه وبين معاوية سنة إحدى وأربعين وخرج إلى المدينة فأقام بها عشر سنين، وكان بذل معاوية لجعدة بنت الأشعث الكندي وهي ابنة أُمّ فروة أُخت أبي بكر بن أبي قحافة عشرة آلاف دينار واقطاع عشرة ضياع من سواد الكوفة على أن تسمّ الحسن ﷺ وكان أشبه الناس برسول الله ﷺ.

وروى الحافظ في الحلية بإسناده إلى عمر بن إسحاق قال: دخلت أنا ورجل على الحسن بن علي نعوده فقال: يا فلان سلني.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣: ٢٧٧.

(٢) في تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٢٥: عمّر به بدنك.

(٣) في مروج الذهب ٢/٤٧٧: عقبة الهدى.

(٤) مروج الذهب: «وخلف أهل التقوى» وفي تاريخ اليعقوبي: «حلف».

(٥) مروج الذهب واليعقوبي: حجر الإسلام.

(٦) مروج الذهب واليعقوبي: «وأرضعك» وفي اليعقوبي: ثديا.

(٧) مروج الذهب: «غير سخية»، وفي اليعقوبي: وإن كانت أنفسنا غير قالية لحياتك، ولا شاكة في الخيار لك.

(٨) البحار: ٤٤/١٣٤ ح ٢، والكافي: ١/٤٦١.

(٩) في بعض المصادر: كان عمره لمّا.

قال: حتّى يعافيك الله، قال: سلني قبل أن لا تسألني فإنّي ألقيت طائفة من كبدي وإنّي قد سقيت السمّ مراراً فلم أسق مثل هذه المرّة ثمّ دخلت عليه من الغد وهو يجود بنفسه والحسين عليه السلام عند رأسه.

فقال: يا أخي مَنْ تتّهم؟

قال: لِمَ لتقتله؟

قال: نعم، قال: إن يكن الذي أظنّ فإنّه أشدّ بأساً وأشدّ تنكيلاً ولا يكن فما أحبّ أن يقتل بي بريء وقبض عليه السلام.

وروي أنّ الحسن عليه السلام لمّا أشرف على الموت قال له الحسين: أُريد أن أعلم حالك يا أخي، فقال الحسن عليه السلام: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: لا يفارق العقل منّا أهل البيت مادام الروح فينا فضع يدك في يدي حتّى إذا عاينت ملك الموت أغمز يدك فوضع يده في يده، فلمّا كان بعد ساعة غمزه غمزاً خفيفاً فقرّب الحسين عليه السلام أذنه فقال: قال لي ملك الموت: إبشر فإنّ الله عنك راض وجدّك شافع[1].

وفي كتاب المناقب: إنّ بني أُميّة بأمر عائشة ومروان رموا جنازته عليه السلام حتّى سلّ منها سبعون نبلاً.

وفي ربيع الأبرار للزمخشري أنّه لمّا بلغ معاوية موت الحسن عليه السلام سجد وسجد من حوله وكبّروا.

وفي كتاب النصوص عن جنادة قال: دخلت على الحسن عليه السلام في مرضه وبين يديه طشت يقذف عليه الدم ويخرج عليه كبده قطعة قطعة من السمّ الذي أسقاه معاوية، فقلت: يا مولاي لِمَ لا تعالج نفسك؟

فقال: يا عبد الله بماذا أعالج الموت؟

قلت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ثمّ قال: لقد عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ هذا الأمر يملكه إثنا عشر إماماً من ولد علي وفاطمة، ما منّا إلّا مسموم أو مقتول، ثمّ رفع الطشت وبكى[2].

وفي كتاب عيون المعجزات للمرتضى أنّ سبب مفارقة أبي محمّد الحسن عليه السلام الدُّنيا أنّ معاوية بذل لجعدة وبعث إليها سمّاً فجعلته في طعام، فلمّا وضعته بين يديه قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون والحمد لله على لقاء سيّد المرسلين وأبي سيّد الوصيّين وأُمّي سيّدة نساء العالمين وعمّي جعفر الطيّار وحمزة سيّد الشهداء صلوات الله عليهم أجمعين.

---

(١) مدينة المعاجز: ٣/ ٣٧٥ ح ٢، والبحار: ٤٤/ ١٣٨.

(٢) البحار: ٢٧/ ٢١٧، معجم أحاديث الإمام المهدي: ٣/ ١٧٢.

ودخل عليه أخوه الحسين فقال: كيف تجد نفسك؟

قال: أنا في آخر يومٍ من الدُّنيا وأوّل يوم من الآخرة على كره منّي لفراقك وفراق إخوتي ثمّ أوصى إليه وسلّم إليه الأعظم ومواريث الأنبياء التي سلّمها إليه أمير المؤمنين عليه السلام.

ثمّ قال: يا أخي إذا متّ فجهّزني واحملني إلى جدّي حتّى تلحدني إلى جانبه فإن منعت من ذلك فاردد جنازتي إلى البقيع حتّى تدفني مع أمّي، فلمّا أراد دفنه مع جدّه ركب مروان بن الحكم طريد رسول الله بغلته وأتى عائشة فقال: يا أمّ المؤمنين إنّ الحسين يريد أن يدفن أخاه مع رسول الله، والله إن دفن معه ليذهبنّ فخر أبيك وصاحبه إلى يوم القيامة فنزل عن بغلته وركبتها وكانت تحرّض بني أميّة على المنع. فلمّا وصلت إلى القبر رمت بنفسها من البغلة وقالت: لا يدفن الحسن هاهنا أبداً أو يجزّ شعرها فأراد بنو هاشم المجادلة فقال الحسين عليه السلام: الله الله لا تضيّعوا وصيّة أخي واعدلوا به إلى البقيع.

فقام ابن عبّاس وقال: يا حميراء أليس يومنا منك بواحد يوم على الجمل ويوم على البغلة أما كفاك أن يقال يوم الجمل حتّى يقال يوم البغل؟

فقالت له: إليك عنّي وأف لك ولقومك[1].

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام: إنّ الأشعث بن قيس شرك في دمِ أمير المؤمنين عليه السلام وابنته جعدة سمّت الحسن عليه السلام ومحمّد ابنه أشرك في دم الحسين عليه السلام.

وفيه أيضاً عن الباقر عليه السلام: أنّ عائشة خرجت ذلك اليوم مبادرة على بغل بسرج فكانت أوّل امرأة ركبت في الإسلام سرجاً فقالت: نحّوا إينكم عن بيتي ولا يهتك على رسول الله حجابه.

فقال لها الحسين عليه السلام: قديماً هتكت أنت وأبوك حجاب رسول الله وأدخلتِ بيته من لا يحبّ قربه، يا عائشة إنّ أخي أمرني أن أقرّبه من أبيه رسول الله ليحدث به عهداً وهو أعلم بتأويل كتاب الله من أن يهتك على رسول الله ستره لأنّ الله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾[2] وقد أدخلتِ بيت رسول الله الرّجال بغير إذنه وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾[3].

ولعمري لقد دخل أبوك وفاروقه على رسول الله صلى الله عليه وآله بقربهما منه الأذى وما رعيا من حقّه ما أمرهما الله على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله إنّ الله حرّم من المؤمنين أمواتاً ما حرّم منهم أحياءً، يا عائشة لو كان هذا الذي كرهتيه من دفن الحسن عند أبيه جائزاً فيما بيننا وبين الله لعلمت أنّه سيدفن وإن رغم معطسك ثمّ تكلّم محمّد بن الحنفيّة وقال: يا عائشة يوماً على جمل ويوماً على بغل.

---

(١) عيون المعجزات: ٥٨، والبحار: ٤٤/١٤١.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥٣. (٣) سورة الحجرات، الآية: ٣.

فقالت: يابن الحنفيّة هؤلاء الفواطم يتكلّمون فما كلامك؟

فقال لها الحسين عليه السلام: وأنّى تبعدين محمّداً من الفواطم، فوالله لقد ولدته ثلاث فواطم.

ثمّ قالت: نحّوا ابنكم [واذهبوا به](١) فأنتم قومٌ خصمون.

وفي كتاب البشائر عن حريز قال: أرسل معاوية إلى جعدة بأن يزوّجها يزيد إذا سمّت الحسن عليه السلام.

فلمّا قتل عليه السلام لم يفِ معاوية لها وتزوّجها رجل من آل طلحة فأولدها وكان إذا وقع بينهم وبين بطون قريش عيّروهم وقالوا: يابني مسمّة الأزواج(٢).

وفي الكافي عن الحضرمي أنّ جعدة بنت الأشعث سمّت الحسن بن علي وسمّت مولاة له، فأمّا مولاته فقاءت السمّ وأمّا الحسن فاستمسك في بطنه(٣).

وفي كتاب بحار الأنوار لشيخنا المعاصر أبقاه الله تعالى نقلاً من كتب علمائنا: أنّ الحسن عليه السلام لمّا دنت وفاته وجرى السمّ في بدنه تغيّر لونه واخضرّ، فقال له الحسين عليه السلام: مالي أرى لونك مائلاً إلى الخضرة، فبكى الحسن وقال: يا أخي لقد صحّ حديث جدّي فيّ وفيك فاعتنقا وبكيا.

قال: أخبرني جدّي قال: دخلت ليلة المعراج في روضات الجنان فرأيت قصرين متجاورين على صفة واحدة إلّا أنّ أحدهما من الزبرجد الأخضر والآخر من الياقوت الأحمر، فقلت: يا جبرئيل لمن هذان القصران؟

فقال: أحدهما للحسن والآخر للحسين، فقلت: يا جبرئيل لِمَ لا يكونا على لون واحد فسكت ولم يردّ جواباً، فقلت: لِمَ لا تتكلّم؟

قال: حياءً منك، فقلت له: سألتك بالله إلّا ما أخبرتني، فقال: أمّا خضرة قصر الحسن فإنّه يموت بالسمّ ويخضرّ لونه عند موته، وأمّا حمرة قصر الحسين فإنّه يُقتل ويحمرّ وجهه بالدمّ فعند ذلك ضجّ الحاضرون بالبكاء(٤).

وفي كتاب الاحتجاج عن ابن أبي الجعد قال: حدّثني رجل منّا قال: أتيت الحسن عليه السلام فقلت: يابن رسول الله أذللت رقابنا بتسليمك الأمر لهذا الطاغية فقال: لو وجدت أنصاراً لقاتلته ليلاً ونهاراً وأهل الكوفة قلوبهم معنا وسيوفهم علينا، فتنخّع الدم وهو يكلّمني فدعا بطشت وملأه من الدّم فقلت: ما هذا يابن رسول الله؟

---

(١) زيادة من المصدر.

(٢) البحار: ٤٤/١٥٦، وكشف الغمة: ٢/٢٠٨.

(٣) الكافي: ١/٤٦٢ ح ٣، والبحار: ٤٤/١٤٥ ح ١٢.

(٤) مدينة المعاجز: ٣/٣٣١، والبحار: ٤٤/١٤٥ ح ١٣.

قال: دسّ إليّ هذا الطاغية من سقاني سمّاً فقد وقع على كبدي فهو يخرج قطعاً كما ترى.

قلت: أفلا تداوى؟

قال: قد سقاني مرّتين وهذه الثالثة لا أجد لها دواءً، ولقد كتب إليّ أنّه كتب إلى ملك الروم يسأله أن يوجّه إليه السمّ القتّال شربة فكتب إليه ملك الروم إنّه لا يصلح في ديننا أن نعين على قتال من لا يقاتلنا، فكتب إليه: إنّ هذا الرجل الذي خرج بأرض تهامة قد خرج يطلب ملك أبيه وأنا أريد أن أدسّ إليه من يسقيه ذلك فأريح العباد والبلاد منه ووجّه إليه بهدايا وألطاف فوجّه إليه ملك الروم بهذه الشربة التي سقيتها واشترط عليه في ذلك شروطاً[١].

وروي أنّ معاوية دفع السمّ إلى جعدة وقال: إسقيه السمّ فإذا مات زوّجتك ابني يزيد فلمّا سقته السمّ ومات جاءت إلى معاوية فقالت: زوّجني يزيد فقال: إذهبي فإنّ امرأة لا تصلح للحسن بن علي لا تصلح لابني يزيد[٢].

وفي الأمالي عن ابن عبّاس قال: إنّ رسول الله ﷺ كان جالساً ذات يوم إذ أقبل الحسن عليه السلام، فلمّا رآه بكى ثمّ أجلسه على فخذه وقال: إنّه حجّة الله على الأمّة ولمّا نظرت إليه تذكّرت ما يجري عليه من الهوان بعدي ولا يزال الأمر به حتّى يُقتل بالسمّ ظلماً وعدواناً، فعند ذلك تبكي عليه الملائكة والسبع الشداد ويبكيه كلّ شيء حتّى الطير في جوّ السماء والحيتان في جوف الماء فمن بكاه لم تعم عينه يوم تعمى العيون ومن حزن عليه لم يحزن قلبه يوم تحزن القلوب، ومن زاره في بقيعه ثبت قدمه على الصراط يوم تزلّ فيه الأقدام[٣].

وفيه أيضاً عن ابن عبّاس إنّه لمّا جيء بالحسن عليه السلام إلى قبر جدّه ﷺ قالت عائشة: لقد اجترأتم عليّ تؤذونني مرّة بعد أخرى تريدون أن تدخلوا بيتي من لا أهوى ولا أحبّ.

فقلت: واسوأتاه يومٌ على جمل ويومٌ على بغل، إنصرفي فقد رأيت ما سرّك.

فنادت بأعلى صوتها: أوما نسيتم الجمل يابن عبّاس إنّكم لذو أحقاد.

فقلت: والله ما نسيته أهل السماء فكيف تنساه أهل الأرض، فانصرفت وهي تقول شعر:

فألقت عصاها واستقرّ بها النوى ... كما قرّ عيناً بالإياب المسافر

وفي كتاب الخرائج عن الصادق عليه السلام إنّ الحسن عليه السلام قال لأهل بيته: إنّي أموت بالسمّ كما مات رسول الله قالوا: ومن يفعل ذلك؟

قال: امرأتي جعدة فإنّ معاوية يدسّ إليها ويأمرها بذلك، قالوا: أخرجها من منزلك.

---

(١) الاحتجاج: ٢/١٢، والبحار: ٤٤/١٤٧.

(٢) الاحتجاج: ٢/١٣، والبحار: ٤٤/١٤٨ ح ١٤.

(٣) أمالي الصدوق: ١٧٦، والبحار: ٢٨/٣٩.

قال: لم تفعل بعد شيئاً ولو أخرجتها ما قتلني غيرها وكان لها عذر عند الناس فما ذهبت الأيّام حتّى بعث إليها معاوية مالاً جسيماً وشربة سمّ فأتى وقت الإفطار وكان صائماً فأخرجت شربة لبن قد ألقت فيها ذلك السمّ فشربها وقال: يا عدوّة الله قتلتيني فمكث يومان ومضى.

وفيه أيضاً: إنّه لمّا منعت عائشة من دفن الحسن عليه السلام قال لها ابن عبّاس: يوماً تجمّلت ويوماً تبغّلت وإن عشت تفيّلت، فأخذه الشاعر البغدادي وقال شعر:

يا بنت أبا بكر لا كان ولا كنت　　　لك التسع من الثمن وبالكلّ تملّكت[1]

توضيح:

وقوله: لك التسع من الثمن، إنّما كان في مناظرة فضال بن الحسن مع أبي حنيفة قال له فضّال قول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ**﴾[2] منسوخ أو غير منسوخ؟

قال: هذه الآية غير منسوخة. قال: ما تقول في خير الناس بعد رسول الله أبو بكر وعمر أم عليّ بن أبي طالب؟

قال: أما علمت أنّهما ضجيعا رسول الله في قبره، فأيّ حجّة تريد في فضلهما أفضل من هذه؟

فقال له فضّال: لقد ظلما إذ أوصيا بدفنهما في موضع ليس لهما فيه حقّ، وإن كان الموضع لهما فوهباه لرسول الله صلى الله عليه وآله لقد أساءا إذ رجعا في هبتهما وقد أقررت أنّ قوله تعالى: ﴿**لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ**﴾[3] غير منسوخة.

فأطرق أبو حنيفة ثمّ قال: لم يكن له ولا لهما خاصّة ولكنّهما نظرا في حقّ عائشة وحفصة فاستحقّا الدفن في ذلك الموضع لحقوق ابنتيهما.

فقال له فضّال: أنت تعلم أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله مات عن تسع وكان لهنّ الثمن لمكان ابنته فاطمة فإذن لكلّ واحدة منهنّ تسع الثمن، ثمّ نظرنا في تسع الثمن فإذا هو شبر والحجرة كذا وكذا طولاً وعرضاً فكيف يستحقّ الرجلان أكثر من ذلك؟

وبعد فما بال عائشة وحفصة يرثان رسول الله وفاطمة ابنته منعت الميراث فالمناقضة في ذلك ظاهرة من وجوه كثيرة؟

فقال أبو حنيفة: نحّوه عنّي فإنّه والله رافضي خبيث[4].

---

(١) الخرائج والجرائح: ١/٢٤٣، والبحار: ٤٤ ١٥٥ ح ٢٤.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥٣.　　(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٥٣.

(٤) الخرائج والجراوح: ١/٢٤٤، والبحار: ٤٤/١٥٥.

نعي الحسن عليه السلام

قال أبو الحسن المدائنيّ: وصل نعيُ الحسن عليه السلام إلى البَصْرة في يومين وليلتين، فقال الجارود بن أبي سَبْرة:

إذا كان شرٌ سارَ يوماً وليلةً ... و إن كان خيرٌ أخّر السَّيْر أرْبعَا
إذا ما بَرِيد الشرُّ أقبل نحوَنَا ... بإحدى الدّواهي الرُّبْد سارَ وأسْرَعا

وفي الحسن عليه السلام يقول سليمان بن قتّة يرثيه، وكان محبّاً له:

يا كذّب الله مَنْ نَعَى حَسَناً ... ليس لتكذيبِ نَعْيِه ثَمَنُ[1]
كنتَ خليلي وكنتَ خالصتي ... لكلّ حيّ من أهله سَكَنُ
أجول في الدّار لا أراك وفي الـ ... ـدّار أناسٌ جِوارُهم غَبَنُ
بُدّلتهم منك ليت أنّهُمُ ... أضحَوْا وبيني وبينهم عَدَنُ

***

فضل زيارة الإمام أبي محمّد الحسن بن علي عليه السلام

الصدوق رفعه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام انّه قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا أبتاه ما جزاء من زارك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يابُنيّ من زارني حيّاً أو ميّتاً أو زار أباك أو زار أخاك كان حقّاً عليّ أن أزوره يوم القيامة وأخلّصه من ذنوبه[2].

الصدوق رفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله انّه قال لعلي عليه السلام: ياعلي من زارني في حياتي أو بعد مماتي أو زارك في حياتك أو بعد مماتك أو زار إبنيك في حياتهما أو بعد مماتهما ضمنت له يوم القيامة أن أخلّصه من أهوالها وشدائدها حتى أصيّره معي في درجتي[3].

الصدوق، عن ابن موسى الأسدي، عن النخعي، عن النوفلي، عن ابن البطايني، عن أبيه، عن ابن جبير، عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: ... من زاره (الحسن عليه السلام) في بقيعه ثبتت قدمه على الصراط يوم تزلّ فيه الأقدام، الحديث[4].

المفيد، عن ابن قولويه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن محمّد بن خالد، عن القاسم بن يحيى، عن جده الحسن بن راشد، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام

---

(١) مقاتل الطالبيين ٧٧، الإمامة والسياسة ١: ١٤٤.

(٢) الفقيه: ٢/ ٥٧٧. (٣) الفقيه: ٢/ ٥٧٨.

(٤) أمالي الصدوق: المجلس الرابع والعشرون ح ١٧٧/٢ الرقم ١٧٨، ونقل عنه في بحار الأنوار: ٩٧/ ١٤١.

(قال: بينا) الحسن عليه السلام في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله إذ رفع رأسه فقال: يا أبه ما لمن زارك بعد موتك؟ قال: يابنيّ من زارني بعد موتي فله الجنة. ومن أتى أباك زائراً بعد موته فله الجنّة. ومن أتى أخاك زائراً بعد موته فله الجنّة. ومن أتاك زائراً بعد موتك فله الجنّة(١).

السيّد المرتضى عن النبي صلى الله عليه وآله انّه قال للحسن عليه السلام في حديث: تزورك طائفة من أُمّتي يريدون به برّي وصلتي، فإذا كان يوم القيامة زرتها في الموقف وأخذت بأعضادها فأنجيتها من أهواله وشدائده(٢).

الطوسي بإسناده إلى الحسن بن علي عليهما السلام انّه قال: يارسول الله ما لمن زارنا؟ قال: من زارني حيّاً أو ميّتاً أو زار أباك حيّاً أو ميتاً أو زار أخاك حيّاً أو ميتاً أو زارك حيّاً أو ميتاً كان حقاً عليَّ أن أستنقذه يوم القيامة(٣).

الطوسي بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام انّه قال: بينا الحسين بن علي عليه السلام في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله إذ رفع رأسه فقال: يا أبه ما لمن زارك بعد موتك؟

فقال: يابنيّ من أتاني زائراً بعد موتي فله الجنّة ومن أتى أباك زائراً بعد موته فله الجنّة. ومن أتى أخاك زائراً بعد موته فله الجنّة ومن أتاك زائراً بعد موتك فله الجنّة(٤).

الحميري بإسناده عن أبي البختري، عن جعفر، عن أبيه عليهما السلام: إنّ الحسين بن علي كان يزور قبر الحسن عليه السلام في كلّ عشية جمعة(٥).

وصيّة علي للحسن عليه السلام

مِنَ الْوَالِدِ الْفَانِ، الْمُقِرِّ لِلزَّمَانِ، الْمُدْبِرِ الْعُمْرِ، الْمُسْتَسْلِمِ لِلدَّهْرِ، الذَّامِّ لِلدُّنْيَا، السَّاكِنِ مَسَاكِنَ الْمَوْتَى، الظَّاعِنِ عَنْهَا غَداً.

إِلَى الْمَوْلُودِ الْمُؤَمِّلِ مَا لَا يُدْرِكُ، السَّالِكِ سَبِيلَ مَنْ هَلَكَ؛ غَرَضِ الأَسْقَامِ، وَرَهِينَةِ الأَيَّامِ، وَرَمِيَّةِ الْمَصَائِبِ، وَعَبْدِ الدُّنْيَا، وَتَاجِرِ الْغُرُورِ، وَغَرِيمِ الْمَنَايَا، وَأَسِيرِ الْمَوْتِ، وَحَلِيفِ الْهُمُومِ، وَقَرِينِ الأَحْزَانِ، وَنُصُبِ الآفَاتِ، وَصَرِيعِ الشَّهَوَاتِ، وَخَلِيفَةِ الأَمْوَاتِ.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ فِيمَا تَبَيَّنْتُ مِنْ إِدْبَارِ الدُّنْيَا عَنِّي، وَجُمُوحِ الدَّهْرِ عَلَيَّ، وَإِقْبَالِ الآخِرَةِ إِلَيَّ، مَا

(١) مزار المفيد: ١٥٦.
(٢) الفصول المختارة: ٩٥، ونقل عنه في مستدرك الوسائل: ١٠/٢٢٨.
(٣) التهذيب: ٦/٤٠.
(٤) التهذيب: ٦/٤٠.
(٥) قرب الإسناد: ١٣٩ ح ٤٩٢.

يَزَعُنِي[1] عَنْ ذِكْرِ مَنْ سِوَايَ، وَالِاهْتِمَام بِمَا وَرَائِي، غَيْرَ أَنِّي حَيْثُ تَفَرَّدَ بِي دُونَ هُمُوم النَّاسِ هَمُّ نَفْسِي - فَصَدَّقَنِي رَأْيِي، وَصَرَفَنِي عَنْ هَوَايَ، وَصَرَّحَ لِي مَحْضُ أَمْرِي،

فأفضى بِي إِلَى جِدٍّ لَا يَكُونُ فِيهِ لَعِبٌ، وَصِدْق لَا يَشُوبُهُ كَذِبٌ - وَجَدْتُكَ بَعْضِي، بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّي، حَتَّى كَأَنَّ شَيْئاً لَوْ أصابَكَ أَصَابَنِي، وَكَأَنَّ الْمَوْتَ لَوْ أَتَاكَ أَتَانِي، فَعَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِينِي مِنْ أَمْرِ نَفْسِي، فَكَتَبْتُ إِلَيْكَ كِتَابِي هَذَا مُسْتَظْهِراً بِهِ إِنْ أَنَا بَقِيتُ لَكَ أَوْ فَنِيتُ.

فَإِنِّي أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ - أي بُنَيّ - وَلُزُوم أَمْرِهِ؛ وَعِمَارَةِ قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ، وَالاعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ، وَأَيُّ سَبَب أَوْثَقُ مِنْ سَبَب بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ؛ إِنْ أَنْتَ أَخَذْتَ بِهِ!

أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ، وَأَمِتْهُ بِالزَّهَادَةِ، وَقَوِّهِ بِالْيَقِينِ، وَنَوِّرْهُ بِالْحِكْمَةِ، وَذَلِّلْهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ؛ وَقَرِّرْهُ بِالْفَنَاءِ، وَبَصِّرْهُ فَجَائِعَ[2] الدُّنْيَا؛ وَحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ وَفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي وَالأَيَّامِ؛ وَأَعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْمَاضِينَ، وَذَكِّرْهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الأَوَّلِينَ.

وَسِرْ فِي دِيَارِهِمْ وَآثَارِهِمْ، فَانْظُرْ فِيمَا فَعَلُوا، وَعَمَّا انْتَقَلُوا، وَأَيْنَ حَلُّوا وَنَزَلُوا! فَإِنَّكَ تَجِدُهُم انْتَقَلُوا عَنِ الأَحِبَّةِ، وَحَلُّوا دَارَ الْغُرْبَةِ؛ وَكَأَنَّكَ عَنْ قَلِيل قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ.

فَأَصْلِحْ مَثْوَاكَ، وَلَا تَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ؛ وَدَعِ الْقَوْلَ فِيمَا لَا تَعْرِفُ وَالْخِطَابَ فِيمَا لَمْ تُكَلَّفْ؛ وَأَمْسِكْ عَنْ طَرِيق إِذَا خِفْتَ ضَلَالَتَهُ، فَإِنَّ الْكَفَّ عِنْدَ حَيْرَةِ الضَّلَالِ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ الأَهْوَالِ.

وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ، وَأَنْكِرِ الْمُنْكَرَ بِيَدِكَ وَلِسَانِكَ، وَبَايِنْ مَنْ فَعَلَهُ بِجُهْدِكَ، وَجَاهِدْ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ، وَلَا تَأْخُذْكَ فِي اللهِ لَوْمَةُ لَائِم.

وَخُضِ الْغَمَرَاتِ إِلَى حَيْثُ كَانَ، وَتَفَقَّهْ فِي الدِّينِ، وَعَوِّدْ نَفْسَكَ الصَّبْرَ عَلَى الْمَكْرُوهِ؛ وَنِعْمَ الْخُلُقُ التَّصَبُّرُ فِي الْحَقِّ!

وَأَلْجِئْ نَفْسَكَ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا إِلَى إِلهِكَ، فَإِنَّكَ تُلْجِئُهَا إِلَى كَهْف حَرِيز، وَمَانِع عَزِيز.

وَأَخْلِصْ فِي الْمَسْأَلَةِ لِرَبِّكَ؛ فَإِنَّ بِيَدِهِ الْعَطَاءَ وَالْحِرْمَانَ، وَأَكْثِرِ الاسْتِخَارَةَ، وَتَفَهَّمْ وَصِيَّتِي، وَلَا تَذْهَبَنَّ عَنْكَ صَفْحاً، فَإِنَّ خَيْرَ الْقَوْلِ مَا نَفَعَ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي عِلْم لَا يَنْفَعُ، وَلَا يُنْتَفَعُ بِعِلْم لَا يَحِقُّ تَعَلُّمُهُ.

أَيْ بُنَيّ، إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُنِي قَدْ بَلَغْتُ سِنّاً، وَرَأَيْتُنِي أَزْدَادُ وَهْناً، بَادَرْتُ بِوَصِيَّتِي إِلَيْكَ، وَأَوْرَدْتُ خِصَالاً مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يَعْجَلَ بِي أَجَلِي دُون أَنْ أُفْضِيَ إِلَيْكَ بِمَا فِي نَفْسِي، أَوْ أَنْ أُنْقَصَ فِي رَأْيِي كَمَا نُقِصْتُ فِي جِسْمِي، أَوْ يَسْبِقَنِي إِلَيْكَ بَعْضُ غَلَبَاتِ الْهَوَى وَفِتَنِ الدُّنْيَا، فَتَكُونَ كَالصَّعْبِ النَّفُورِ.

---

(١) يزعني: يمنعني ويصدني.

(٢) الفجائع جمع الفجيعة وهي المصيبة تفزع بحلولها.

وَإنَّمَا قَلْبُ الْحَدَثِ كالأَرْضِ الْخَالِيَةِ مَا أُلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبِلَتْهُ؛ فَبَادَرْتُكَ بِالأدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُوَ قَلْبُكَ، وَيَشْتَغِلَ لُبُّكَ، لِتَسْتَقْبِلَ بِجِدِّ رَأْيِكَ مِنَ الأمْرِ مَا قَدْ كَفَاكَ أَهْلُ التَّجَارِبِ بُغْيَتَهُ وَتَجْرِبَتَهُ، فَتَكُونَ قَدْ كُفِيتَ مَئُونَةَ الطَّلَبِ، وَعُوفِيتَ مِنْ عِلاجِ التَّجْرِبَةِ، فَأَتَاكَ مِنْ ذَلِكَ مَا قَدْ كُنَّا نَأْتِيهِ، وَاسْتَبَانَ لَكَ مَا رُبَّمَا أَظْلَمَ عَلَيْنَا مِنْهُ.

أي بُنَيَّ، إنِّي وَإنْ لَمْ أَكُنْ عُمِّرْتُ عُمُرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي، فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَفَكَّرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ، وَسِرْتُ فِي آثَارِهِمْ؛ حَتَّى عُدْتُ كأَحَدِهِمْ؛ بَلْ كأَنِّي بِمَا انْتَهَى إلَيَّ مِنْ أُمُورِهِمْ؛ قَدْ عُمِّرْتُ مَعَ أَوَّلِهِمْ إلَى آخِرِهِمْ؛ فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذَلِكَ مِنْ كَدَرِهِ، وَنَفْعَهُ مِنْ ضَرَرِهِ؛ فَاسْتَخْلَصْتُ لَكَ مِنْ كُلِّ أَمرٍ جَلِيلَهُ، وَتَوَخَّيْتُ لَكَ جَمِيلَهُ، وَصَرَفْتُ عَنْكَ مَجْهُولَهُ، وَرَأَيْتُ حَيْثُ عَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِي الْوَالِدَ الشَّفِيقَ، وَأَجْمَعْتُ عَلَيْهِ مِنْ أَدَبِكَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ وَأَنْتَ مُقْبِلُ الْعُمْرِ وَمُقْتَبَلُ الدَّهْرِ، ذُو نِيَّةٍ سَلِيمَةٍ، وَنَفْسٍ صَافِيَةٍ، وَأَنْ أَبْتَدِئَكَ بِتَعْلِيمِ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَأْوِيلِهِ وَشَرَائِعِ الإسلامِ وَأَحْكَامِهِ، وَحَلالِهِ وَحَرَامِهِ، لا أُجَاوِزُ ذَلِكَ بِكَ إلَى غَيْرِهِ. ثُمَّ أَشْفَقْتُ أَنْ يَلْتَبِسَ عَلَيْكَ مَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِ مِنْ أَهْوَائِهِمْ وَآرَائِهِم، مِثْلَ الَّذِي الْتَبَسَ عَلَيْهِمْ، فَكَانَ إحْكَامُ ذَلِكَ عَلَى مَا كَرِهْتُ مِن تَنْبِيهِكَ لَهُ أَحَبَّ إلَيَّ مِن إسْلامِكَ أَمرٍ لا آمَنُ عَلَيْكَ فِيهِ الْهَلَكَةَ، وَرَجَوْتُ أَنْ يُوَفِّقَكَ اللهُ فِيهِ لِرُشْدِكَ، وَأَنْ يَهْدِيَكَ لِقَصْدِكَ، فَعَهِدْتُ إلَيْكَ وَصِيَّتِي هَذِهِ.

وَاعْلَمْ يا بُنَيَّ أَنَّ أَحَبَّ ما أَنْتَ آخِذٌ بِهِ إلَيَّ مِنْ وَصِيَّتِي تَقْوَى اللهِ وَالإقْتِصَارُ عَلى ما فَرَضَهُ اللهُ عَلَيْكَ، وَالأخْذُ بِما مَضَى عَلَيْهِ الأوَّلُونَ مِنْ آبائِكَ، والصَّالِحُونَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ، فإنَّهُمْ لَمْ يَدَعُوا أَنْ نَظَرُوا لِانْفُسِهِمْ كَما أَنْتَ ناظِرٌ، وفَكَّرُوا كَما أَنْتَ مُفَكِّرٌ، ثُمَّ رَدَّهُمْ آخِرُ ذَلِكَ إلَى الأخْذِ بِما عَرَفُوا، والإمْساكِ عَمَّا لَمْ يُكَلَّفُوا، فإنْ أَبَتْ نَفْسُكَ انْ تَقْبَلَ ذَلِكَ دُونَ انْ تَعْلَمَ كَما عَلِمُوا؛ فَلْيَكُنْ طَلَبُكَ ذَلِكَ بِتَفَهُّمٍ وَتَعَلُّمٍ، لا بِتَوَرُّطِ الشُّبُهاتِ، وَعُلَقِ الخُصُوماتِ.

وَابْدَأْ قَبْلَ نَظَرِكَ فِي ذَلِكَ بِالإسْتِعانَةِ بِإلهِكَ والرغْبَةِ إلَيهِ في تَوْفِيقِكَ، وَتَرْكِ كُلِّ شائِبَةٍ أَوْلَجَتْكَ فِي شُبْهَةٍ، أَوْ أَسْلَمَتْكَ إلَى ضَلالَةٍ، فَإنْ أَيْقَنْتَ أَنْ قَدْ صَفا قَلْبُكَ فَخَشَعَ، وَتَمَّ رَأْيُكَ فاجْتَمَعَ، وكانَ هَمُّكَ في ذَلِكَ هَمّاً وَاحِداً، فانْظُرْ فِيما فَسَّرْتُ لَكَ؛ وَإنْ أَنتَ لَمْ يَجْتَمِع لَكَ ما تُحِبُّ مِنْ نَفْسِكَ؛ وفَرَاغِ نَظَرِكَ وفِكْرِكَ، فاعْلَمْ أنكَ إنَّما تَخبِطُ العَشْواءَ، وَتَتَوَرَّطُ الظَّلماءَ، وَلَيْسَ طالِبُ الدِّينِ مَنْ خَبَطَ أَوْ خَلَطَ، وَالإمْساكُ عَنْ ذَلِكَ أَمْثَلُ.

فَتَفَهَّمْ يا بُنَيَّ وَصِيَّتِي، وَاعْلَمْ أَنَّ مَالِكَ الْمَوْتِ هُوَ مَالِكُ الْحَيَاةِ، وَأَنَّ الْخَالِقَ هُوَ الْمُمِيتُ، وَأَنَّ الْمُفْنِيَ هُوَ الْمُعِيدُ، وَأَنَّ الْمُبْتَلِيَ هُوَ الْمُعَافِي، وَأَنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَكُنْ لِتَسْتَقِرَّ إلَّا عَلَى مَا جَعَلَهَا اللهُ عَلَيْهِ مِنَ النَّعْمَاءِ وَالإبْتِلاءِ وَالْجَزَاءِ فِي الْمَعَادِ، أَوْ مَا شَاءَ مِمَّا لا تَعْلَمُ، فَإنْ أَشْكَلَ عَلَيْكَ شَيْءٌ مِن ذَلِكَ فَاحْمِلْهُ عَلَى جَهَالَتِكَ فَإنَّكَ أَوَّلُ مَا خُلِقْتَ بِهِ جَاهِلاً ثم عُلِّمْتَ وَمَا أَكْثَرَ مَا تَجْهَلُ مِنَ الأمرِ وَيَتَحَيَّرُ فِيهِ رَأْيُكَ، وَيَضِلُّ فِيهِ بَصَرُكَ، ثُمَّ تُبْصِرُهُ بَعْدَ ذَلِكَ!

فَاعْتَصِمْ بِالَّذِي خَلَقَكَ وَرَزَقَكَ وَسَوَّاكَ، فَلْيَكُنْ لَهُ تَعَبُّدُكَ، وَإِلَيْهِ رَغْبَتُكَ، وَمِنْهُ شَفَقَتُكَ.

واعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ أَحَداً لَمْ يُنْبِئْ عَنِ اللهِ سُبْحَانَهُ كما أَنْبَأَ عنه نَبِيُّنا صلّى اللهُ عليهِ وسلّم؛ فَارضَ بِهِ رَائِداً، وَإِلَى النَّجَاةِ قَائِداً، فَإِنّي لَمْ آلُكَ نَصِيحَةً، وَإِنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ فِي النَّظَرِ لِنَفْسِكَ، وَإِنِ اجْتَهَدْتَ مَبْلَغَ نَظَرِي لَكَ.

وَاعلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ لَأَتَتْكَ رُسُلُهُ، وَلَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَلَعَرَفْتَ أَفْعَالَهُ وَصِفَاتِهِ، وَلَكِنَّهُ إِلٰهٌ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ، لَا يُضَادُّهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ، وَلَا يَزُولُ أَبَداً وَلَمْ يَزَلْ، أَوَّلٌ قَبْلَ الأَشْيَاءِ بِلَا أَوَّلِيَّةٍ، وَآخِرٌ بَعْدَ الأَشْيَاءِ بِلَا نِهَايَةٍ، عَظُمَ أَنْ تُثْبَتَ رُبُوبِيَّتُهُ بِإِحَاطَةِ قَلْبٍ أَوْ بَصَرٍ.

فَإِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ فَافْعَلْ كَمَا يَنْبَغِي لِمِثْلِكَ أَنْ يَفْعَلَهُ فِي صِغَرِ خَطَرِهِ، وَقِلَّةِ مَقْدِرَتِهِ، وَكَثْرَةِ عَجْزِهِ، وَعَظِيمِ حَاجَتِهِ إِلَى رَبِّهِ، فِي طَلَبِ طَاعَتِهِ، وَالرَّهْبَةِ مِنْ عُقُوبَتِهِ، وَالْخَشْيَةِ مِنْ عُقُوبَتِهِ، وَالشَّفَقَةِ مِنْ سُخْطِهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْمُرْكَ إِلَّا بِحَسَنٍ، وَلَمْ يَنْهَكَ إِلَّا عَنْ قَبِيحٍ.

يَا بُنَيَّ، إِنِّي قَدْ أَنْبَأْتُكَ عَنِ الدُّنْيَا وَحَالِهَا، وَزَوَالِهَا وَانْتِقَالِهَا، وَأَنْبَأْتُكَ عَنِ الآخِرَةِ وَمَا أُعِدَّ لِأَهْلِهَا، وَضَرَبْتُ لَكَ فِيهِمَا الأَمْثَالَ، لِتَعْتَبِرَ بِهَا، وَتَحْذَرَ عَلَيْهَا.

إِنَّمَا مَثَلُ مَنْ خَبَرَ الدُّنْيَا كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفْرٍ، نَبَا بِهِمْ مَنْزِلٌ جَدِيبٌ، فَأَمُّوا مَنْزِلاً خَصِيباً، وَجَنَاباً مَرِيعاً، فَاحْتَمَلُوا وَعْثَاءَ الطَّرِيقِ، وَفِرَاقَ الصَّدِيقِ، وَخُشُونَةَ السَّفَرِ، وَجُشُوبَةَ المَطْعَمِ؛ لِيَأْتُوا سَعَةَ دَارِهِمْ، وَمَنْزِلَ قَرَارِهِمْ، فَلَيْسَ يَجِدُونَ لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَلَماً، وَلَا يَرَوْنَ نَفَقَةً فِيهِ مَغْرَماً. وَلَا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِمَّا قَرَّبَهُمْ مِنْ مَنْزِلِهِم وأَدْنَاهُمْ إِلَى مَحَلَّتِهِمْ.

وَمَثَلُ مَنِ اغْتَرَّ بِهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ كَانُوا بِمَنْزِلٍ خَصِيبٍ، فَنَبَا بِهِمْ إِلَى مَنْزِلٍ جَدِيبٍ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهُ إِلَيْهِمْ، وَلَا أَفْظَعُ عِنْدَهُمْ، مِنْ مُفَارَقَةِ مَا كَانُوا فِيهِ؛ إِلَى مَا يَهْجِمُونَ عَلَيْهِ، وَيَصِيرُونَ إِلَيْهِ.

يا بُنَيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيما بَيْنَكَ وبَيْنَ غَيْرِكَ، فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ ما تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، واكْرَهْ لَهُ ما تَكْرَهُ لَهَا، ولَا تَظْلِمْ كَما لا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ، وأَحْسِنْ كَما تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ، واسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ ما تَسْتَقْبِحُهُ مِنْ غَيْرِكَ، وارْضَ مِنَ النَّاسِ بِما تَرْضاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِك، وَلَا تَقُلْ ما لَا تَعْلَمُ وإِنْ قَلَّ ما تَعْلَمُ، ولَا تَقُلْ ما لَا تُحِبُّ أَنْ يُقالَ لَكَ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الإِعْجابَ ضِدُّ الصَّوَابِ، وآفَةُ الأَلْبابِ؛ فَاسْعَ في كَدْحِكَ، ولَا تَكُنْ خازِناً لِغَيْرِكَ، وإِذا أَنْتَ هُدِيتَ لِقَصْدِكَ، فَكُنْ أَخْشَعَ ما تَكُونُ لِرَبِّكَ.

وَاعْلَمْ أَنَّ أَمامَكَ طَرِيقاً ذا مَسافَةٍ بَعِيدَةٍ، وَمَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ، وَأَنَّهُ لَا غِنىً بِكَ فِيهِ عَنْ حُسْنِ الإِرْتِيادِ، وقَدْرِ بَلاغِكَ مِنَ الزَّادِ، مَعَ خِفَّةِ الظَّهْرِ، فَلَا تَحْمِلَنَّ عَلَى ظَهْرِكَ فَوْقَ طَاقَتِكَ، فَيَكُونَ ثِقْلُ ذَلِكَ وَبالاً عَلَيْكَ، وإِذا وَجَدْتَ مِنْ أَهْلِ الْفَاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ لَكَ زَادَكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيامَةِ، فَيُوَافِيكَ بِهِ غَداً حَيْثُ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَاغْتَنِمْهُ وحَمِّلْهُ إِيَّاهُ، وأَكْثِرْ مِنْ تَزْوِيدِهِ وَأَنْتَ قادِرٌ عَلَيْهِ، فَلَعَلَّكَ تَطْلُبُهُ فَلَا تَجِدُهُ.

وَاغتَنِمْ مَنِ اسْتَقْرَضَكَ في حالِ غِناكَ، لِيَجْعَلَ قَضاءَهُ لَكَ في يَوْمِ عُسْرَتِكَ.

وَاعْلَمْ أنَّ أمامَكَ عَقَبَةً كَئُوداً، الْمُخِفُّ فيها أحْسَنُ حالاً مِنَ الْمُثْقِلِ، والمُبطِئُ عَلَيْها أقبَحُ أمْراً مِنَ الْمُسْرِعِ، وأنَّ مَهْبِطَها بِكَ لَا مَحالَةَ؛ إمَّا عَلَى جَنَّةٍ أوْ عَلَى نار، فارتَدْ لِنَفْسِكَ قَبلَ نُزُولِكَ، وَوَطِّئِ الْمَنْزِلَ قَبْلَ حُلُولِكَ، فَلَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ، ولَا إلَى الدُّنْيا مُنْصَرَفٌ.

وَاعْلَمْ أنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأرْضِ قَدْ أذِنَ لَكَ فِي الدُّعاءِ، وَتَكَفَّلَ لَكَ بالإجابَةِ، وَأمَرَكَ أنْ تَسْألَهُ لِيُعْطِيَكَ، وَتَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحَمَكَ، وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَهُ وَبَيْنَكَ مَنْ يَحْجُبُكَ عَنْهُ، وَلَمْ يُلْجِئْكَ إلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إلَيْهِ، وَلَمْ يَمْنَعْكَ إنْ أسَأتَ مِنَ التَّوْبَةِ، وَلَمْ يُعَاجِلْكَ بِالنِّقْمَةِ، وَلَمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ تَعَرَّضْتَ لِلْفَضِيحَةِ، وَلَمْ يُشَدِّدْ عَلَيْكَ فِي قَبُولِ الإنابَةِ، وَلَمْ يُنَاقِشْكَ بِالْجَرِيمَةِ، وَلَمْ يُؤْيِسْكَ مِنَ الرَّحْمَةِ، بَلْ جَعَلَ نُزُوعَكَ عَنِ الذَّنْبِ حَسَنَةً، وَحَسَبَ سَيِّئَتَكَ وَاحِدَةً، وَحَسَبَ حَسَنَتَكَ عَشْراً. وَفَتَحَ لَكَ بَابَ الْمَتَابِ، وَبَابَ الإسْتِعْتَابِ؛ فَإذَا نَادَيْتَهُ سَمِعَ نِدَاكَ، وَإذَا نَاجَيْتَهُ عَلِمَ نَجْوَاكَ، فَأفْضَيْتَ إلَيْهِ بِحَاجَتِكَ، وَأبْثَثْتَهُ ذَاتَ نَفْسِكَ، وَشَكَوْتَ إلَيْهِ هُمُومَكَ، وَاسْتَكْشَفْتَهُ كُرُوبَكَ، وَاسْتَعَنْتَهُ عَلَى أُمُورِكَ، وَسَألْتَهُ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى إعْطَائِهِ غَيْرُهُ، مِنْ زِيَادَةِ الأعْمَارِ، وَصِحَّةِ الأبْدَانِ، وَسَعَةِ الأرْزَاقِ.

❊ ❊ ❊

ثُمَّ جَعَلَ فِي يَدَيْكَ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِهِ، بِمَا أذِنَ لَكَ فِيهِ مِنْ مَسْألَتِهِ؛ فَمَتَى شِئْتَ اسْتَفْتَحْتَ بِالدُّعَاءِ أبْوَابَ نِعْمَتِهِ، وَاسْتَمْطَرْتَ شَآبِيبَ رَحْمَتِهِ، فَلَا يُقْنِطَنَّكَ إبْطَاءُ إجَابَتِهِ، فَإنَّ الْعَطِيَّةَ عَلَى قَدْرِ النِّيَّةِ، وَرُبَّمَا أُخِّرَتْ عَنْكَ الإجَابَةُ لِيَكُونَ ذَلِكَ أعْظَمَ لأجْرِ السَّائِلِ، وَأجْزَلَ لِعَطَاءِ الآمِلِ. وَ رُبَّمَا سَألْتَ الشَّيءَ فَلَا تُعْطَاهُ، وَأوتِيتَ خَيْراً مِنْهُ عَاجِلاً أوْ آجِلا، أوْ صُرِفَ عَنْكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ، فَلَرُبَّ أمْرٍ قَدْ طَلَبْتَهُ فِيهِ هَلَاكُ دِينِكَ لَوْ أُوتِيتَهُ، فَلْتَكُنْ مَسْألَتُكَ فِيمَا يَبْقَى لَكَ جَمَالُهُ، وَيُنْفَى عَنْكَ وَبَالُهُ؛ فَالْمَالُ لَا يَبْقَى لَكَ، وَلَا تَبْقَى لَهُ.

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أنَّكَ إنَّمَا خُلِقْتَ لِلآخِرَةِ لَا لِلدُّنْيَا، وَلِلْفَنَاءِ لَا لِلْبَقَاءِ، وَلِلْمَوْتِ لَا لِلْحَيَاةِ؛ وَأنَّكَ فِي مَنْزِلِ قُلْعَةٍ، وَدَارِ بُلْغَةٍ، وَطَرِيقٍ إلَى الآخِرَةِ؛ وَأنَّكَ طَرِيدُ الْمَوْتِ الَّذِي لَا يَنْجُو هَارِبُهُ، وَلَا يَفُوتُهُ طَالِبُهُ، وَلَا بُدَّ أنَّهُ مُدْرِكُهُ، فَكُنْ مِنْهُ عَلَى حَذَرِ أنْ يُدْرِكَكَ وَأنْتَ عَلَى حَالٍ سَيِّئَةٍ؛ قَدْ كُنْتَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مِنْهَا بِالتَّوْبَةِ، فَيَحُولَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذَلِكَ، فَإذَا أنْتَ قَدْ أهْلَكْتَ نَفْسَكَ.

يَا بُنَيَّ، أكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ وَذِكْرِ مَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ، وَتُفْضِي بَعْدَ الْمَوْتِ إلَيْهِ، حَتَّى يَأتِيَكَ وَقَدْ أخَذْتَ مِنْهُ حِذْرَكَ، وَشَدَدْتَ لَهُ أزْرَكَ، وَلَا يَأتِيَكَ بَغْتَةً فَيَبْهَرَكَ.

❊ ❊ ❊

وَإيَّاكَ أنْ تَغْتَرَّ بِمَا تَرَى مِنْ إخْلَادِ أهْلِ الدُّنْيَا إلَيْهَا، وَتَكَالُبِهِمْ عَلَيْهَا، فَقَدْ نَبَّأكَ اللهُ عَنْهَا،

وَنَعَتَتْ لَكَ نَفْسَهَا، وَتَكَشَّفَتْ لَكَ عَنْ مَسَاوِيهَا، فَإِنَّمَا أَهْلُهَا كِلَابٌ عَاوِيَةٌ، وَسِبَاعٌ ضَارِيَةٌ، يَهِرُّ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، وَيَأْكُلُ عَزِيزُهَا ذَلِيلَهَا، وَيَقْهَرُ كَبِيرُهَا صَغِيرَهَا.

نَعَمٌ مُعَقَّلَةٌ، وَأُخْرَى مُهْمَلَةٌ، قَدْ أَضَلَّتْ عُقُولَهَا، وَرَكِبَتْ مَجْهُولَهَا.

سُرُوحُ عَاهَةٍ بِوَادٍ وَعْثٍ، لَيْسَ لَهَا رَاعٍ يُقِيمُهَا، وَلَا مُسِيمٌ يُسِيمُهَا. سَلَكَتْ بِهِمُ الدُّنْيَا طَرِيقَ الْعَمَى، وَأَخَذَتْ بِأَبْصَارِهِمْ عَنْ مَنَارِ الْهُدَى، فَتَاهُوا فِي حَيْرَتِهَا، وَغَرِقُوا فِي نِعْمَتِهَا، وَاتَّخَذُوهَا رَبّاً فَلَعِبَتْ بِهِمْ وَلَعِبُوا بِهَا، وَنَسُوا مَا وَرَاءَهَا.

رُوَيْداً يُسْفِرُ الظَّلَامُ، كَأَنْ قَدْ وَرَدَتِ الأَظْعَانُ! يُوشِكُ مَنْ أَسْرَعَ أَنْ يَلْحَقَ!

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ مَنْ كَانَتْ مَطِيَّتُهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، فَإِنَّهُ يُسَارُ بِهِ وَإِنْ كَانَ وَاقِفاً، وَيَقْطَعُ الْمَسَافَةَ وَإِنْ كَانَ مُقِيماً وَادِعاً.

وَاعْلَمْ يَقِيناً أَنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ أَمَلَكَ، وَلَنْ تَعْدُوَ أَجَلَكَ، وَأَنَّكَ فِي سَبِيلِ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ.

فَخَفِّضْ فِي الطَّلَبِ، وَأَجْمِلْ فِي الْمُكْتَسَبِ، فَإِنَّهُ رُبَّ طَلَبٍ قَدْ جَرَّ إِلَى حَرَبٍ؛ وَلَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ بِمَرْزُوقٍ، وَلَا كُلُّ مُجْمِلٍ بِمَحْرُومٍ.

وَأَكْرِمْ نَفْسَكَ عَنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ وَإِنْ سَاقَتْكَ إِلَى الرَّغَائِبِ، فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتَاضَ بِمَا تَبْذُلُ مِنْ نَفْسِكَ عِوَضاً. وَلَا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللهُ حُرّاً. وَمَا خَيْرُ خَيْرٍ لَا يُنَالُ إِلَّا بِشَرٍّ، وَيُسْرٍ لَا يُنَالُ إِلَّا بِعُسْرٍ.

وَإِيَّاكَ أَنْ تُوجِفَ بِكَ مَطَايَا الطَّمَعِ، فَتُورِدَكَ مَنَاهِلَ الْهَلَكَةِ. وَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَلَّا يَكُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ ذُو نِعْمَةٍ فَافْعَلْ، فَإِنَّكَ مُدْرِكٌ قَسْمَكَ، وَآخِذٌ سَهْمَكَ، وَإِنَّ الْيَسِيرَ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ أَكْرَمُ وَأَعْظَمُ مِنَ الْكَثِيرِ مِنْ خَلْقِهِ وَإِنْ كَانَ كُلٌّ مِنْهُ.

وَتَلَافِيكَ مَا فَرَطَ مِنْ صَمْتِكَ أَيْسَرُ مِنْ إِدْرَاكِكَ مَا فَاتَ مِنْ مَنْطِقِكَ، وَحِفْظُ مَا فِي الْوِعَاءِ بِشَدِّ الْوِكَاءِ، وَحِفْظُ مَا فِي يَدَيْكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ طَلَبِ مَا فِي يَدَيْ غَيْرِكَ، وَمَرَارَةُ الْيَأْسِ خَيْرٌ مِنَ الطَّلَبِ إِلَى النَّاسِ، وَالْحِرْفَةُ مَعَ الْعِفَّةِ خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى مَعَ الْفُجُورِ، وَالْمَرْءُ أَحْفَظُ لِسِرِّهِ، وَرُبَّ سَاعٍ فِيمَا يَضُرُّهُ!

مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ، وَمَنْ تَفَكَّرَ أَبْصَرَ.

قَارِنْ أَهْلَ الْخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ، وَبَايِنْ أَهْلَ الشَّرِّ تَبِنْ عَنْهُمْ.

بِئْسَ الطَّعَامُ الْحَرَامُ! وَظُلْمُ الضَّعِيفِ أَفْحَشُ الظُّلْمِ!

إِذَا كَانَ الرِّفْقُ خُرْقاً، كَانَ الْخُرْقُ رِفْقاً.

رُبَّمَا كَانَ الدَّوَاءُ دَاءً، وَالدَّاءُ دَوَاءً، وَرُبَّمَا نَصَحَ غَيْرُ النَّاصِحِ، وَغَشَّ الْمُسْتَنْصَحُ.

وَإِيَّاكَ وَالاتِّكالَ على المُنى فإنَّها بَضائِعُ النَّوْكى. والعَقْلُ حِفْظُ التَّجارِبِ، وَخَيْرُ ما جرَّبْتَ ما وعَظَكَ. بادِرِ الفُرْصَةَ قَبْلَ أنْ تكونَ غُصَّةً. لَيْسَ كُلُّ طالِبٍ يُصِيبُ ولا كُلُّ غائِبٍ يئوب، وَمِنَ الفَسادِ إضاعَةُ الزَّادِ وَمَفْسَدَةُ المَعادِ. ولِكُلِّ أمْرٍ عاقِبَةٌ، سَوْفَ يَأْتِيكَ ما قُدِّرَ لَكَ.

التَّاجِرُ مُخاطِرٌ، ورُبَّ يَسِيرٍ أنْمى مِنْ كَثِيرٍ!

لا خَيْرَ فِي مُعِينٍ مُهِينٍ، وَلَا فِي صَدِيقٍ ظَنِينٍ.

سَاهِلِ الدَّهْرَ مَا ذَلَّ لَكَ قَعُودُهُ، وَلَا تُخاطِرْ بِشَيْءٍ رَجاءَ أَكْثَرَ مِنْهُ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَجْمَحَ بِكَ مَطِيَّةُ اللَّجاجِ.

احْمِلْ نَفْسَكَ مِنْ أَخِيكَ عِنْدَ صَرْمِهِ عَلَى الصِّلَةِ، وَعِنْدَ صُدُودِهِ عَلَى اللَّطَفِ وَالمُقَارَبَةِ؛ وَعِنْدَ جُمُودِهِ عَلَى البَذْلِ، وَعِنْدَ تَباعُدِهِ عَلَى الدُّنُوِّ، وَعِنْدَ شِدَّتِهِ عَلَى اللِّينِ، وَعِنْدَ جُرْمِهِ عَلَى العُذْرِ، حَتَّى كَأَنَّكَ لَهُ عَبْدٌ، وَكَأَنَّهُ ذُو نِعْمَةٍ عَلَيْكَ.

وَإِيَّاكَ أنْ تَضَعَ ذَلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، أَوْ أَنْ تَفْعَلَهُ بِغَيْرِ أَهْلِهِ.

* * *

لا تَتَّخِذَنَّ عَدُوَّ صَدِيقِكَ صَدِيقاً فَتُعَادِيَ صَدِيقَكَ، وَامْحَضْ أَخاكَ النَّصِيحَةَ؛ حَسَنَةً كَانَتْ أَوْ قَبِيحَةً، وَتَجَرَّعِ الغَيْظَ فَإِنِّي لَمْ أَرَ جُرْعَةً أَحْلَى مِنْهَا عاقِبَةً؛ وَلَا أَلَذَّ مَغَبَّةً. وَلِنْ لِمَنْ غَالَظَكَ فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَلِينَ لَكَ، وَخُذْ عَلَى عَدُوِّكَ بِالفَضْلِ فَإِنَّهُ أَحَدُ الظَّفَرَيْنِ، وَإِنْ أَرَدْتَ قَطِيعَةَ أَخِيكَ فَاسْتَبْقِ لَهُ مِنْ نَفْسِكَ بَقِيَّةً يَرْجِعُ إِلَيْهَا إِنْ بَدَا لَهُ ذَلِكَ يَوْماً مَا. وَمَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْراً فَصَدِّقْ ظَنَّهُ، وَلَا تُضِيعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ اتِّكالاً عَلَى مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ بِأَخٍ مَنْ أَضَعْتَ حَقَّهُ. وَلَا يَكُنْ أَهْلُكَ أَشْقَى الخَلْقِ بِكَ. وَلَا تَرْغَبَنَّ فِيمَنْ زَهِدَ عَنْكَ، وَلَا يَكُونَنَّ أَخُوكَ أَقْوَى عَلَى قَطِيعَتِكَ مِنْكَ عَلَى صِلَتِهِ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَى الإِسَاءَةِ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى الإِحْسَانِ. وَلَا يَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ ظُلْمُ مَنْ ظَلَمَكَ، فَإِنَّهُ يَسْعَى فِي مَضَرَّتِهِ وَنَفْعِكَ، وَلَيْسَ جَزَاءُ مَنْ سَرَّكَ أَنْ تَسُوءَهُ.

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ الرِّزْقَ رِزْقَانِ: رِزْقٌ تَطْلُبُهُ، وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ، فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ.

مَا أَقْبَحَ الخُضُوعَ عِنْدَ الحَاجَةِ، وَالجَفَاءَ عِنْدَ الغِنَى!

إِنَّمَا لَكَ مِنْ دُنْيَاكَ، مَا أَصْلَحْتَ بِهِ مَثْوَاكَ، وَإِنْ كُنْتَ جَازِعاً عَلَى مَا تَفَلَّتَ مِنْ يَدَيْكَ، فَاجْزَعْ عَلَى كُلِّ مَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ.

إِسْتَدِلَّ عَلَى مَا لَمْ يَكُنْ بِمَا قَدْ كَانَ، فَإِنَّ الأُمُورَ أَشْبَاهٌ؛ وَلَا تَكُونَنَّ مِمَّنْ لَا تَنْفَعُهُ العِظَةُ إِذَا بَالَغْتَ فِي إِيلَامِهِ، فَإِنَّ العَاقِلَ يَتَّعِظُ بِالآدَابِ، وَالبَهَائِمَ لَا تَتَّعِظُ إِلَّا بِالضَّرْبِ.

إِطْرَحْ عَنْكَ وَارِدَاتِ الهُمُومِ بِعَزَائِمِ الصَّبْرِ وَحُسْنِ اليَقِينِ.

مَنْ تَرَكَ الْقَصْدَ جَارَ. وَالصَّاحِبُ مُنَاسِبٌ، وَالصَّدِيقُ مَنْ صَدَقَ غَيْبُهُ، وَالْهَوَى شَرِيكُ الْعَمَى، وَرُبَّ بَعِيدٍ أَقْرَبُ مِنْ قَرِيبٍ، وَقَرِيبٍ أَبْعَدُ مِنْ بَعِيدٍ، وَالْغَرِيبُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَبِيبٌ.

❋ ❋ ❋

مَنْ تَعَدَّى الْحَقَّ ضَاقَ مَذْهَبُهُ، وَمَنِ اقْتَصَرَ عَلَى قَدْرِهِ كانَ أَبْقَى لَهُ، وَأَوْثَقُ سَبَبٍ أَخَذْتَ بِهِ سَبَبٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ سُبْحَانَهُ. وَمَنْ لَمْ يُبَالِكَ فَهُوَ عَدُوُّكَ.

قَدْ يَكُونُ الْيَأْسُ إِدراكاً، إِذَا كَانَ الطَّمَعُ هَلَاكاً.

لَيْسَ كُلُّ عَوْرَةٍ تَظْهَرُ، وَلَا كُلُّ فُرْصَةٍ تُصَابُ، وَرُبَّمَا أَخْطَأَ الْبَصِيرُ قَصْدَهُ، وأَصَابَ الأَعْمَى رُشْدَهُ.

أَخِّرِ الشَّرَّ فَإِنَّكَ إِذَا شِئْتَ تَعَجَّلْتَهُ، وَقَطِيعَةُ الجَاهِلِ تَعْدِلُ صِلَةَ الْعَاقِلِ.

مَنْ أَمِنَ الزَّمَانَ خَانَهُ، وَمَنْ أَعْظَمَهُ أَهَانَهُ.

لَيْسَ كُلُّ مَنْ رَمَى أَصَابَ.

إِذَا تَغَيَّرَ السُّلْطَانُ، تَغَيَّرَ الزَّمَانُ.

سَلْ عَنِ الرَّفِيقِ قَبْلَ الطَّرِيقِ، وَعَنِ الجَارِ قَبْلَ الدَّارِ.

إِيَّاكَ أَنْ تَذْكُرَ مِنَ الْكَلَامِ مَا يَكُونُ مُضْحِكاً، وَإِنْ حَكَيْتَ ذَلِكَ عَنْ غَيْرِكَ.

وَإِيَّاكَ وَمُشَاوَرَةَ النِّسَاءِ فَإِنَّ رَأْيَهُنَّ إِلَى أَفْنٍ، وَعَزْمَهُنَّ إِلَى وَهْنٍ، وَاكْفُفْ عَلَيْهِنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ بِحِجَابِكَ إِيَّاهُنَّ، فَإِنَّ شِدَّةَ الْحِجَابِ أَبْقَى عَلَيْهِنَّ، وَلَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ مِنْ إِدْخَالِكَ مَنْ لَا يُوثَقُ بِهِ عَلَيْهِنَّ، وَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَلَّا يَعْرِفْنَ غَيْرَكَ فَافْعَلْ.

وَلَا تُمَلِّكِ الْمَرْأَةَ مِنْ أَمْرِهَا مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ رَيْحَانَةٌ، وَلَيْسَتْ بِقَهْرَمَانَة. وَلَا تَعْدُ بِكَرَامَتِهَا نَفْسَهَا، وَلَا تُطْمِعْهَا فِي أَنْ تَشْفَعَ لِغَيْرِهَا.

وَإِيَّاكَ وَالتَّغَايُرَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِ غَيْرَةٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَدْعُو الصَّحِيحَةَ إِلَى السَّقَمِ، وَالْبَرِيئَةَ إِلَى الرِّيَبِ.

وَاجْعَلْ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ خَدَمِكَ عَمَلاً تَأْخُذُهُ بِهِ، فَإِنَّهُ أَحْرَى أَلَّا يَتَوَاكَلُوا فِي خِدْمَتِكَ.

وَأَكْرِمْ عَشِيرَتَكَ، فَإِنَّهُمْ جَنَاحُكَ الَّذِي بِهِ تَطِيرُ، وَأَصْلُكَ الَّذِي إِلَيْهِ تَصِيرُ، وَيَدُكَ الَّتِي بِهَا تَصُولُ.

إِسْتَوْدِعِ اللهَ دِينَكَ وَدُنْيَاكَ، وَاسْأَلْهُ خَيْرَ الْقَضَاءِ لَكَ فِي الْعَاجِلَةِ وَالآجِلَةِ، وَالدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. والسَّلام[1].

(١) نهج البلاغة: ٣/٣٨، والبحار: ٧٤/١٩٩.

وصية الحسن لأخيه محمد ابن الحنفية

عن المفضّل بن عمر عن أبي عبد الله قال: لمّا حضرت الحسن بن عليّ ﷺ الوفاة قال: يا قنبر انظر هل ترى من وراء بابك مؤمناً من غير آل محمد فقال: الله ورسوله وابن رسوله أعلم منّي قال: ادع لي محمّد بن عليّ فأتيته فلمّا دخلت عليه قال: هل حدث إلا خير، قلت: أجب أبا محمّد فعجل على شسع نعله فلم يسوّه وخرج معي يعدو فلمّا قام بين يديه سلّم، فقال له الحسن بن علي ﷺ: اجلس فإنّه ليس مثلك يغيب عن سماع كلام يحيى به الأموات ويموت به الأحياء: كونوا أوعية العلم ومصابيح الهدى فإنّ ضوء النّهار بعضه أضوء من بعض، أما علمت أنّ الله تبارك وتعالى جعل ولد إبراهيم أئمّة وفضّل بعضهم على بعض وأتى داود زبوراً وقد علمت بما استأثر الله به محمّداً، يا محمّد بن عليّ إنّي أخاف عليك الحسد وإنّما وصف الله به الكافرين فقال الله عزّ وجلّ: ﴿كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق﴾[1] .

ولم يجعل الله للشّيطان عليك سلطاناً، يا محمّد بن عليّ ألا أخبرك بما سمعت من أبيك فيك؟ قال: بلى، قال: سمعت أباك يقوم يوم الظلة[2] من أحبّ أن يبرّني في الدّنيا والآخرة فليبرّ محمّداً ولدي، يا محمّد بن عليّ لو شئت أن أخبرك وأنت نطفة في ظهر أبيك لأخبرتك، يا محمّد بن عليّ أما علمت أنّ الحسين بن علي بعد وفاة نفسي ومفارقة روحي جسمي إمام من بعدي وعند الله جلّ اسمه في الكتاب وراثة من النبيّ أضافها الله عزّ وجلّ له في وراثة أبيه وأمّه صلى الله عليهم، فعلم الله أنكم خيرة خلقه فاصطفى منكم محمّداً واختار محمّد عليّاً واختارني عليّ بالإمامة واخترت أنا الحسين.

فقال له محمّد بن عليّ: أنت إمام وأنت وسيلتي إلى محمّد والله لوددت أن نفسي ذهبت قبل أن أسمع منك هذا الكلام ألا وإنّ في رأسي كلاماً لا تنزفه الدلاء ولا تغيّره نغمة الرّياح كالكتاب المعجم في الرّق المنمنم أهم بإبدائه فأجدني سبقت إليه سبق الكتاب المنزل أو ما جاءت[3] به الرّسل وأنّه الكلام يكلّ به لسان الناطق ويد الكاتب حتّى لا يجد قلماً ويؤتوا بالقرطاس جماً فلا يبلغ فضلك وكذلك يجزي الله المحسنين ولا قوّة إلا بالله.

الحسين أعلمنا علماً وأثقلنا حلماً وأقربنا من رسول الله رحماً كان فقيهاً قبل أن يخلق، وقرأ الوحي قبل أن ينطق، ولو علم الله في أحد خيراً غير محمّد ما اصطفى الله محمّداً فلمّا اختار الله محمّداً واختار محمّد علياً واختارك عليّ إماماً واخترت الحسين، سلمنا ورضينا من هو بغيره يرضى ومن كنا نسلم به من مشكلات أمرنا[4] .

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٩.

(٢) في نسخة: البصرة.

(٣) في نسخة: خلت.

(٤) الكافي: ١/ ٣٠١، والبحار: ٤٤/ ١٧٤.

المحتويات

تمهيد ٥
مولد الحسن عليه السلام ٦
أولاد الحسن عليه السلام ٩
النص على الإمام الحسن عليه السلام ١١
البيعة ومعانيها ١٨
أسرار الحسن بن علي عليه السلام ٢٦
شباهة الحسن بالنبي صلى الله عليه وآله ٢٨
توديع النبي للحسن عليه السلام ٢٩
إخبار الحسن عليه السلام بالغيب ٣٠
فضائل الحسن عليه السلام ٣١
نور الحسن وفضله عليه السلام ٣٨
توسل آدم بالحسن عليه السلام ٤٢
كرامات ومعاجز الحسن عليه السلام ٤٢
الآيات النازلة في الحسن عليه السلام ٥٠
عبادة الحسن عليه السلام ٦٣
أخلاق الحسن عليه السلام ٦٤
علم الحسن عليه السلام ٦٥
فطنة الحسن عليه السلام ٦٩
بركة الحسن عليه السلام ٦٩
أدب الحسن عليه السلام ٧٠
هدية الله للحسن عليه السلام ٧١
نقش خاتمه عليه السلام ٧٢
درجات الحسن عليه السلام يوم القيامة ٧٣
عصمة الحسن عليه السلام ٧٣
عظمة الحسن على الله ورسوله ٧٤
وصية أمير المؤمنين عند وفاته للحسن عليه السلام ٧٥
دعاء الحسن عليه السلام المستجاب ٧٥
إخباره عليه السلام عن شهادته ٧٦
علم الحسن عليه السلام للغيب ٧٦
شعر الحسن عليه السلام ٧٧
حلم الحسن عليه السلام ٧٨
كرم الحسن عليه السلام ٧٨
تواضع الحسن عليه السلام وجلوسه مع الفقراء ٨٢
صلح الحسن عليه السلام ٨٣
علّة مصالحة الحسن عليه السلام معاوية لعنه الله . ١٠٣
صورة كتاب الصلح ١١٠
إحتجاجات الحسن على معاوية وعمرو ١١١
بين الحسن وعمرو بن العاصي ١١٨
احتجاج الحسن عليه السلام على يزيد ١١٩
بين الحسن عليه السلام وابن الزبير ١١٩
إحتجاج ابن عباس على معاوية ١٣٠
مفاخرة بين الحسن بن عليّ ورجالات من قريش ١٣١
ظلم معاوية وتتبعه شيعة علي عليه السلام ١٣٧
سؤالات معاوية للحسن عليه السلام ١٣٨
كتابه إلى معاوية بعد وفاة أمير المؤمنين ... ١٣٩
خطب السبط الأكبر الإمام الحسن بن علي عليه السلام ١٤٠
خطبة الحسن بن علي في الكوفة يستنفر الناس إلى أبيه عليه السلام ١٤٨
خطبة الحسن في الجمل ١٤٩
شهادة الحسن عليه السلام ١٥٠
نعي الحسن عليه السلام ١٥٨
فضل زيارة الإمام أبي محمّد الحسن بن علي عليه السلام ١٥٨
وصيّة علي للحسن عليه السلام ١٥٩
وصية الحسن لأخيه محمد ابن الحنفية ١٦٧